بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سيرتي و مسيرتي

إبراهيم يوسف كردي

الطبعة الأولى

(ح) إبراهيم يوسف كردي، 1436 هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كردي، إبراهيم، يوسف
سيرتي ومسيرتي/ إبراهيم، يوسف كردي ـ جدة، 1436هـ
274 ص، 24سم

ردمك: 2ـ9461ـ01ـ603ـ978

1ـ كردي، إبراهيم بن يوسف، أ. العنوان
ديوي 923,531 9239/1436

رقم الإيداع: 9339/ 1436هـ
ردمك: 2ـ9461ـ01ـ603ـ978

للاستمتاع بمقاطع فيديو حصرية وتصفح الكتاب إلكترونياً زوروا:

www.ibrahimkurdi.com

إلى كل إنسان يملك حلماً يسعى لتحقيقه
إلى رواد الأعمال الباحثين عن النجاح والتميز
إلى الساعين للبناء..
إلى من يقودنا لمستقبل أكثر اشراقاً
إلى أي شخص يضيء شمعة في طريق الآخرين
إلى من ساعدوني في مسيرة حياتي
إلى شريكة كفاحي.. وإلى زوجتي
إلى زهرة شبابي.. أبنائي وبناتي
وإلى جميع شركائي في النجاح
وإليكم أنتم.. من تقرأون هذه السطور

تصدير

عصامي ينحت في الصخر

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد.. فقد عُرِّفت السيرة الذاتية بأنها جنس أدبي, عرفها بشكل ملحوظ عصرنا الحديث, وقالوا عنها (إنها من المجالات التي تصعب على المؤلفين الكتابة فيها, نظراً لأنها تمثل حياتهم بشكل ما وتستعرض ما فعلوها من مواقف إيجابية أو سلبية في بعض الصفحات) والمتتبع للسير الذاتية التي كتبها أصحابها عن أنفسهم يلحظ أنها تنحو عند البعض نحو الأنا المتضخمة تضخماً يعافه الذوق وتمجه الذائقة وبين السرد الموضوعي المتواضع عند البعض الآخر لمسيرة صاحبها دونما تهويل ولا تنقيص في ذات الوقت, احتراماً لذائقة المتلقي, والمتتبع أيضاً للسير الذاتية التي يكتبها أصحابها بواقعية لمسيرة حياتهم وبعيداً عن الأنا والنرجسية دائماً ما تكون معبرة عن قصة كفاح في مشوار الحياة, عنوانها العصامية, عصامية خطَّ صاحبها طريق حياته وسط الصعاب بالعزيمة والإصرار, ونحت كما يقولون في الصخر, وكوَّن نفسه وصنع ذاته بنفسه بعد توفيق الله سبحانه وتعالى بالطبع وعون المحيطين به حتى غدا يشار إليه بالبنان, وجنى ثمار كفاحه فيما أنعم الله عليه من نعم انهالت عليه تترى, وأجزم أن الأستاذ إبراهيم بن يوسف كردي الذي تركه أبوه وهو في الرابعة من عمره كذلك.

ذاق الأستاذ إبراهيم كردي مرارة اليتم وقسوة الحياة, بيد أن العزيمة والإصرار وروح التحدي للظروف المحيطة, كل ذلك مع المحيط الحاني المتمثل في والدته الشفيقة.. العمة سعاد محمد سعيد حوالة, التي أفاضت عليه بحنوها له

وحدبها عليه بما لا يوصف. وقابلها هو بإبداء كل ضروب كسب رضاها, ثم عطف إخوانه عليه, وبتوفيق الله عز وجل بلورت شخصيته العصامية. هذا الذي أوقفنا عليه كتاب إبراهيم بن يوسف كردي (سيرتي ومسيرتي).. سيرة رجل ومسيرته في دروب الحياة. سيرة ومسيرة تجذب الانتباه وتثير الإعجاب في جميع محطات حياته, فتى يدرج في حواري المدينة المنورة وأزقتها ويتلقى علومه الأولى الأساسية في المدرسة الأم الحرم النبوي الشريف. ثم شاباً متطلعاً إلى كسب العيش وصنع الذات.

طوَّفت مع الأستاذ إبراهيم كردي صبياً صغيراً, ثم فتى يافعاً ثم شاباً ممتلئاً عزيمة وطموحاً لا حدود له وسط إصرار دائب على خوض دروب الحياة, متسلحاً بالعلم الذي طلبه حثيثاً, ثم موظفاً مخلصاً في عمله. ثم دارساً دراسات عليا (الماجستير) ثم عاد بعدها مكللاً بالغار ليتسنم وظيفة مرموقة في صوامع الغلال ومطاحن الدقيق, ثم كان الانتقال إلى المنعطف الذي كانت نفسه ترنو إليه وهو توديع القطاع الحكومي إلى القطاع الخاص عندما فكر وعدد من أصدقائه بتأسيس مجموعة السنبلة (شركة صناعات الأغذية والعجائن الفاخرة) هذه الشركة التي لبَّت ـ إلى حد كبير ـ احتياج المجتمع إلى العجائن الفاخرة وما تطلبه المائدة السعودية, بل والمائدة الخليجية من أصناف غذائية متعددة. سرد لنا الأستاذ إبراهيم كردي هذا المشوار بأسلوب جميل جذاب بعيداً عن التكلف والنرجسية. أبدع الأستاذ إبراهيم كردي الذي تبين لي أنه يتمتع بذاكرة قوية لاقطة في سرد مشواره في الحياة وسيرته فيها منذ ولد وشب وترعرع في المدينة المنورة وذكرياته فيها وطبيعة الحياة العفوية فيها, ثم وهو يستقر في المنطقة الشرقية بعد أن سبقه إليها إخوانه الأكبر سناً منه: خالد ومالك وكعب. ثم سرد لنا وبذات الأسلوب طبيعة الحياة في المنطقة الشرقية آنذاك, وكيف انخرط في السلك الوظيفي في إدارة الجمارك, ثم سكنه ووالدته الكريمة مدينة جدة, المدينة التي لا تنام, وذكرياته وانطباعاته عن الحياة الاجتماعية التي اصطبغت بها هذه المدينة الساحرة, ثم زواجه وتطلعه إلى مواصلة دراسته العليا وهو ما

تحقق له, ثم عودته إلى أرض الوطن والعمل في الرياض العاصمة, ثم التفكير في ترك الوظيفة الحكومية كما أسلفت وخوض معترك القطاع الخاص وما صادفه. عبَّر عنها أصدق تعبير وهو ما احتوته عليه أبواب هذا الكتاب الذي أرخ فيه لمسيرة حياته.

إن المتتبع لهذا الكتاب تأخذ منه الدهشة مأخذها عن عصامية الأستاذ إبراهيم كردي الذي يمثل هو وأبناء جيله المتأخرون عن الجيل الذي وصفه بحق الأديب المديني الكبير صاحب العبارة المجنحة الأستاذ محمد حسين زيدان ـ يرحمه الله ـ بأنه جيل الضنك. جيل لحق به الأستاذ إبراهيم وعايش سنينه المتأخرة, ثم كان حظه كبيراً أن عاصر جيل الحمد كما قال الأستاذ محمد حسين زيدان كذلك, بعد أن أفاء الله على البلاد نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

لقد استوقفتني سيرة الأستاذ إبراهيم كردي ومسيرته عامة واستوقفتني خاصة جوانب مضيئة من محطات حياته. استوقفني ذلك الجو الأسري الذي أحيط به بعد فقد الوالد من والدته الرؤوم ـ يرحمها الله ـ التي أسبغت عليه فيضاً واسعاً من حنانها وعطفها, ثم ما أحاطه به إخوانه: عبدالله, وخالد, ومالك, , وكعب, من ذات العطف والحدب. استوقفني كذلك إصراره على مواصلة دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية وهو على رأس العمل, ثم وهو يتأهب لدخول بيت الزوجية وما قيض الله له من زوجة من فضليات النساء, رافقته في مشوار دربه قبل الابتعاث للولايات المتحدة الأمريكية وأثنائه, وعودته بعد حصوله على الماجستير, وبما أنعم الله عليهما من الذرية الصالحة خليل وسامر وشقيقتهما وسام, الذين ملأوا حياة الأبوين بهجة وحبوراً بوجودهم من نحو, وبنبوغهم من نحو ثان وبالسعادة التي أضفوها على أبويهم من نحو ثالث بحصولهم على الدرجات العلمية العالية, وقيض الله كذلك للأستاذ إبراهيم أن رُزق بابنه يوسف وأخته سارة وقد شقا طريقهما نحو العلم الجامعي.

أكبرت في الأستاذ إبراهيم كردي وفاءه لمن تقدمت له يد تجاهه, أكبرت فيه نبرة الوفاء التي كان ـ ومازال ـ يكنها لرئيسه في العمل مدير إدارة

الجمارك بجدة لفترة طويلة من الزمن الشيخ محمد نور رحيمي ـ يرحمه الله ـ. أكبرت فيه نبرة الوفاء التي يكنها لهذا الرجل الفاضل, الذي كان ينظر إليه نظرة الأب الحاني, وكان خير معين له ومؤازر, أكبرت روح الامتنان لوالدته ولإخوانه. ولكم كنت أشهد وأنا القريب منه بره بوالدته. لا يترك وجهاً من أوجه البر بوالدته ولوالدته إلا قام ويقوم به تجاهها, أكبرت توقيره لإخوانه. ومع أنه كان أصغر إخوانه. كان ينظر إليه في أسرته حتى مع وجود إخوانه أنه عميد الأسرة ثم بعد انتقالهم للرفيق الأعلى تضاعف دوره تجاه أسرته في المدينة المنورة وجدة والرياض والمنطقة الشرقية.

ومع هذا الذي انطبع في خاطري وأنا أقلب صفحات هذا الكتاب الذي حوى سيرة الأستاذ إبراهيم كردي ومسيرته, أعجبتني تلك الإضاءات الموجزة التي كان يختم بها كل باب من أبواب كتابه الماتع هذا, ففيها شذرات من جوانب الحياة وفيها انطباعاته وآراؤه. ننظر إليه يقول في إضاءة من إضاءات الفصل الثالث: علمني المثقف والمفكر أحمد عبيد, وهو كما هو معلوم قامة شامخة من رجالات الوطن بعطائه الثر وإسهاماته الإدارية والثقافية ـ يرحمه الله ـ, علمني المثقف والمفكر أحمد عبيد أول وأهم الدروس في حياتي العملية قبل أن أكمل العاشرة, عرفت أن المسؤول الناجح لا يكتفي بجلب العناصر ووضعها على رأس العمل, بل عليه أن يحفزها ويحافظ عليها, والحق أنه لمبدأ مهم من عناصر الإدارة. ثم لننظر إليه وهو يقول في إضاءة من إضاءات الفيصل الرابع وفي مقاربة تذكّر بعصاميته هو. يسرد لنا طرفاً من عصامية رجل الأعمال الشيخ صالح كامل وخوضه مجال الأعمال الخاصة, يقول تابعت المبادرات الذكية لرجل الأعمال الشيخ صالح كامل عندما كان في كلية التجارة والفكرة (البسيطة) التي خدم فيها المنتسبين لجامعة الملك سعود, ومضى الأستاذ إبراهيم في هذه الإضاءة يشير إلى المرحلة الأولى من بناء الذات للشيخ صالح كامل حتى غدا من أبرز رجال الأعمال في المملكة.

والأستاذ إبراهيم كردي شأنه شأن كثير من أبناء جيله في خمسينيات القرن العشرين الميلادي وستينياته كان وكانوا مهمومين بقضايا الأمة

العربية والأحداث التي عصفت بها والحرقة وخيبة الأمل التي صدموا بها بعد ذلك من الانكسارات والهزائم، أجل هو جيل بلاد العُرْبِ أوطاني من الشام لبغدان، وأخيراً يلفتك في سيرة ومسيرة الأستاذ إبراهيم كردي هذا الحب الجارف لوطنه وهو يرمق مسيرته نحو التطور والرفاهية والنماء.

وبعد، فسير العصاميين والأستاذ إبراهيم بن يوسف كردي فيهم، جديرة أن تدوَّن، حرية أن يحتذى بها في الظفر بعد السعي والجد والاجتهاد، إذ هي تعبير صادق لمقولة.. لكل مجتهد نصيب، وما أحوج شبابنا الناهض أن يحتذي بهم، العصاميون هؤلاء الذين قال الشاعر في رائدهم:

ونفس عصامٍ سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما

والله أسأل لأخي الأستاذ إبراهيم بن يوسف كردي التوفيق والسداد وأن يمتعه الله بالصحة والعافية، إنه جواد كريم.

د. يوسف بن أحمد حوالة

المدينة المنورة 15 شوال 1436هـ

تقديم

رحلة السنين والأماكن

تمضي بنا السنون ونحن نستذكر الأمكنة أو الأزمنة.. تشكل عمراً مضى دون أن ندرك بأن الأيام تتسرب من بين أصابع الزمان كرمل البحر المتسرب من بين أصابع الإنسان.. لا يبقى لنا غير الأوراق والأقلام وكلمات نترجم بها مشاعرنا الصادقة وأحلامنا العريضة التي رسمناها طوال عقود من الزمن.

إنها سنة الحياة أن نتحول إلى طيور مهاجرة.. حكاية من حكايات الزمن الجميل.. قصة يرددها الأبناء والأحفاد، بسمة أو دمعة، حقبة زمنية نعيش فيها وتعيش فينا.. نؤثر فيمن حولنا، ونترك بصمة واضحة، نضيء مصباحاً في نهاية الطريق أمام الجيل الجديد.

هكذا فكرت.. وهكذا هداني عقلي أن يكون هذا الكتاب أثراً طيباً إن شاء الله، أضعه في أيدي أبنائي وأحفادي والجيل الطامح في المرور بأمان في زمن تتلاطم فيه الأمواج العاتية، لم أهدف فقط إلى كتابة (سيرتي ومسيرتي)، بل حاولت الخروج بدروس مستفادة وإضاءات في المسيرة لمن يريد أن يستكشف الطريق.

فتحت عيوني فوجدت والدي وقدوتي يترك الحياة في هدوء قبل أن أكمل الرابعة من عمري، عشت طفولة صعبة في زمن مليء بالأشواك لكنه في نفس الوقت مليء بالحنان والحب والرعاية، وإن فقدت والدي ـ رحمه الله ـ فقد عوضني الله عنه بأكثر من أب متمثلاً في أشقائي وقبلهم والدتي.

هاجرت من موطن رأسي في المدينة المنورة لأكون شاهداً على البدايات الأولى للنهضة المباركة في المنطقة الشرقية، عملت موظفاً بالجمارك في الرابعة عشرة من عمري، قهرت الصعاب وسافرت مئات الأميال من أجل إكمال

دراستي الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية وأنا على رأس العمل.

تغير مسار حياتي بشكل مفاجئ على عتبة العشرين بسبب دورة في الإحصاء التحقت بها في بيروت، تحولت من الشرق إلى الغرب وقدمت إلى جدة أبحث عن حلم يسكن بداخلي، تدرجت في العمل الحكومي حتى وصلت إلى منصب رفيع في الجمارك، لكنني تركت كل شيء فجأة بحثاً عن هذا الحلم، سافرت إلى لوس انجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية وعشت فيها ما يقارب من ثلاث سنوات حصلت خلالها على درجة الماجستير في الإدارة العامة.

أتيحت لي الفرصة للسلام على عدد من الملوك والزعماء وعشت تفاصيل الطفرة في حياة المملكة العربية السعودية وأنا أتدرج داخل الهرم الوظيفي بالمؤسسة العامة لصوامع الغلال عقب عودتي من أمريكا، قضيت مرحلة ذهبية وتشرفت بلقاء رجالات الوطن.. بداية من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز ـ يرحمهم الله جميعاً ـ وصولاً إلى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز ـ أطال الله عمره ـ .

ترجلت عن العمل الحكومي برغبتي وتحقيقاً لحلم العمل الخاص الذي بدأ ينمو بداخلي منذ الصغر، غامرت بلحظات الهدوء وراحة البال ورفضت الاستمرار داخل المكاتب المكيفة، اقتحمت سوق العمل الحر، حافظت على فلسفتي ومبادئي واتجهت إلى القطاع الأكثر تأثيراً في الحياة.. قطاع الصناعة، أسست مع شركائي مجموعة السنبلة التي بدأت بمصنع صغير في المدينة الصناعية بجدة عام 1980م، ثم تحولت إلى ماركة عربية وعالمية موجودة على كل مائدة.. بداخل كل منزل.. واسم محفور في قلوب الكثيرين.

ربما تنجح الكلمات أن تبلور هويتي وانتمائي المزروع في الوجدان.. تروي تفاصيل الجهد والعرق ومشوار الكفاح الطويل الذي عشته، نعم.. لقد زرت الكثير من مدن العالم، نظرت في كل الوجوه، أبرمت العديد من العقود، عايشت عدداً كبيراً من أهم المسؤولين والاقتصاديين وصناع القرار ورجال

الأعمـــال في المملكة وخارجها، تحملت مســـؤولية القـــرار والمغامرة في مرات عديدة، حاولت أن أصل إلى أبعد نقطة يريدها حلمي.

وبعد مضي سنوات من العمر.. شعرت أنني أملك حكاية مليئة بالتفاصيل.. عامـــرة بالـــدروس.. معجونة بالتعـــب والعرق.. فلســـفة خاصة تســـتحق أن أســـجلها لجيل كامل من رواد ورائدات الأعمال والمبادرين الجدد.. آثرت أن يحمل هذا الكتاب تجربة تلامس الواقع، تبتعد عن التنظير، ربما تجدون أنفسكم فيه، أو تســـتفيدون من كلمة أو عبارة أو موقف.. فقد عاهدت نفســـي وعاهدتكم على أن أكون صادقاً وشفافاً.. أنقل الحقيقة وأبتعد عن التزييف.

والآن تكبر الأشـــياء وتخضـــر ســـنابل القمح.. تتفتح براعم جديدة وتفوح روائـــح الورد، وأنا وأنتم نســـافر عبر هذه الســـطور منذ البدايـــة.. ربما أنجح في النهاية أن أرسم ابتسامة على شفاهكم أو أحوذ على كلمة رضا.. لا أرتضي غيرها.

إبراهيم يوسف كردي

الفصل الأول

الكـــــرد

والكردية

من صلاح الدين إلى صالح

(700) عام تفصل بين ولادة جدي صالح عبد الله كردي وبين جده صلاح الدين الأيوبي القائد العسكري المبهر الذي أسس الدولة الأيوبية ووحد الحجاز وتهامة واليمن ومصر والشام تحت راية الدولة العباسية. وقضى على الخلافة الفاطمية التي استمرت 262 سنة.. الحاكم الأسطورة الذي هزم الصليبيين في موقعة حطين الشهيرة واستعاد بيت المقدس في أواخر القرن الحادي عشر.

إنها السلالة المميزة التي يعود نسبها تاريخياً إلى سيف الله المسلول وقائد الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق خالد بن الوليد. الصحابي الشجاع الذي لعب دوراً رئيسياً في بناء الدولة الإسلامية في عهد الخليفتين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب. وتوفي عام 21 هـ (642م) دون أن يهزم في أي معركة طوال حياته.

إن للكرد وأسلافهم باعاً طويلاً في بناء صرح الحضارة الإنسانية. مثلهم في ذلك مثل بقية شعوب العالم. وتقدم أمهات الكتب شواهد دامغة على دورهم الرئيسي في مختلف المجالات وعلى رأسهم القائد صلاح الدين الأيوبي.. وتؤكد المصادر التاريخية (1) وجود 45 علماً مشهوراً بينهم شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد عبده والرئيس حسني الزعيم والمؤرخ ابن أثير وأكبر موسيقيي في العصر الإسلامي

صلاح الدين الأيوبي

(1) ذكر ذلك الدكتور أحمد محمود خليل في كتاب (تاريخ الكرد في الحضارة الإسلامية). و(عباقرة كردستان في السياسة والقيادة)

زرياب، وابن شداد وابن النديم وعبد الرحمن الكواكبي ومصطفى البارزاني وأمير الشعراء أحمد شوقي والشاعر والعالم الكبير عباس محمود العقاد وغيرهم.

تعود جذور العائلة إلى ديار بكر أكبر مدينة في جنوب شرق تركيا، العاصمة الإدارية للمحافظة تحمل نفس الاسم تقع على ضفاف نهر دجلة، على موقع مدينة أميدا الأثرية، اكتسبت اسمها من العرب من بني بكر بن وائل الذين استوطنوها بعد الفتح الإسلامي في عهد معاوية، حيث تعد الحد الشمالي الشرقي للأقاليم السورية الشمالية التي خضعت لتركيا بموجب معاهدة لوزان بين تركيا من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى، وتضم هذه الأقاليم أضنة ومرسين وماردين وجزيرة ابن عمر (بوتان) وأورقة ومرعش وعنتاب.

انتقل إليها العرب واستوطنوها في أعوام 581 م بعد معارك ذي قار مما يرجح وصول خالد بن الوليد إليها على رأس الفتوحات الإسلامية للشام والعراق، ذهب إلى هناك ومعه (40) من أبنائه، وعادت سيطرة البيزنطيين والفرس عليها، ثم دخلها العرب والمسلمون عام 638 م، وفي عام 1517 م احتلها السلطان العثماني سليم الأول، ويقترب عدد سكان ديار بكر في الوقت الحالي من مليون نسمة وهي ثاني أكبر مدينة في منطقة الأناضول جنوب شرق تركيا بعد عنتاب، وغالبية سكانها من الكرد، وتعرف بحضارتها وتراثها الغني.

يعود جدي المير صالح بن عبد الله بن

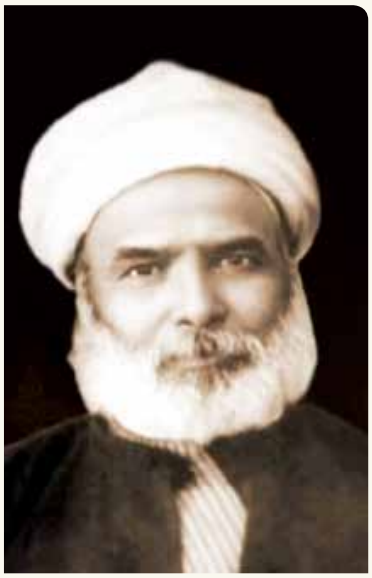

الإمام محمد عبده

(1) (عزيزان) بالكردي تعني باللغة العربية (عزيزي)

صورة تاريخية للمير بدر خان

مصطفى بن إسماعيل بن عبد العزيز إلى أسرة (عزيزان) (1) من عشيرة الكيكان الكردية العريقة التي حكمت إمارة جزيرة بوتان منذ العهد الأموي وحتى أواخر القرن التاسع عشر. ويعتقد أنه ولد في نهاية القرن الثامن عشر (بين 1780 إلى 1790 م) وكان ـ وفق الروايات التاريخية ـ ناسكاً عابداً.. زاهداً في الحكم، وضع الدنيا خلف ظهره، ووضع جل اهتمامه لإرضاء رب الكون.. الأمر الذي دفعه إلى ترك الولاية سريعاً وإفساح الطريق إلى أخيه الأصغر المير بدر خان (1) المولود عام (1794م) والذي تولى الإمارة سنة (1227 هـ 1812-م) قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره، كان الأخير يملك شخصية قيادية لافتة.. موهوب بالفطرة، رصيناً وحازماً وذا عقل راجح، غيوراً على مصالح قومه، اكتسب محبة الجميع وما أن توطد نفوذه حتى سعى لإنقاذ البلاد الكردية من الهيمنة العثمانية وإنشاء دولة كردية مستقلة.

وبينما آثر المير صالح (2) على العيش في هدوء وأمان والاكتفاء بمساعدة أخيه في بعض

(1) (خان) لقب تركي تعني الفارس
(2) (المير) في الكردية والتركية تعني (الأمير)

المهام الخاصة ومنها إقناع القبائل الكردية بالتوحد والتعاضد.. حرص بدر خان على تنظيم إمارته من الداخل، شكل مجلساً للإشراف على المالية والجيش والقضاء وأعد جيشاً نظامياً من الكرد في جزيرة بوتان، وأنشأ معملاً للسلاح وآخر للذخيرة في الجزيرة وشجع الحركة العمرانية والتجارة والزراعة، ووضع حداً للنزاعات الداخلية وأعمال السلب والنهب، ونظم جمع الضرائب ووفر الاستقرار والأمن.. فانتشر العدل في البلاد، حتى أصبحت إمارته مضرب المثل وتردد المثل الشهير (من وطن بدر خان يسافر الطفل وفي يده ذهب) وهذا دليل على الأمن والطمأنينة التي كانت تسيطر على الجميع.

عقد الأمير بدر خان اجتماعاً مع زعماء الأكراد في مدينة الجزيرة واتفقوا على الانفصال عن الدولة العثمانية، وتم تشكيل رابطة أخوية بينهم سميت (الاتحاد المقدس) بهدف تحرير كردستان وتشكيل دولة كردية مستقلة، وأثارت أعمال بدر خان هذه قلق السلطان العثماني الذي لجأ إلى إثارة النعرات القومية والدينية داخل إمارته، ساعده على ذلك البعثات التبشيرية وخصوصاً الإنجليزية والأمريكية التي كانت تنتشر في مختلف أنحاء كردستان، وأرسلت الدولة العثمانية جيشاً كبيراً للقضاء على حركته، إلا أن الأمير بدر خان ألحق هزيمة منكرة بالجيش العثماني، وأعلن استقلاله في عام 1258هـ - 1842م وضرب النقود باسمه ورفع علمه الخاص فوق مدينة الجزيرة التي اتخذها عاصمة لدولته.

لم يهدأ الباب العالي العثماني واستعان بإبراهيم باشا حاكم مصر، وأعد حملة عسكرية كبيرة بقيادة عثمان باشا سميت بحملة كردستان، وأمر السلطان بجمع قوات من المتطوعين في العراق والبلاد العربية لتنضم إلى الحملة، واتبعت الحملة في طريقها إلى كردستان سياسة الأرض المحروقة ودمرت القرى والمزارع الكردية لمنع سكانها من تقديم المساعدة لبدر خان، وعندما علم الأخير بنبأ الحملة تمركز بجيشه قرب (أورمية) والتقى الجيشان هناك، وتمكن جيش المير بدر خان من الصمود أمام القوات العثمانية رغم تفوقها بالعدد والعتاد، ومع تزايد الضغط التركي على الجزيرة، أمر بإخلاء العاصمة ولجأ إلى قلعة (أروخ) الحصينة التي حاصرها الأتراك ثمانية أشهر نفدت خلالها المؤن، وخرج بدر خان برجاله واقتحم صفوف المحاصرين مستبسلاً في القتال إلى أن انكسر جيشه والقي القبض عليه فأرسل مع اثنين من إخوانه وأولاده وكبار رجالات دولته إلى الآستانة (اسطنبول) عام 1848م.

ووفقاً للوثائق التاريخية التي توصلنا إليها ضمت قائمة المبعدين في أعقاب ثورة بدر خان (119) رجلاً بينهم شخص وحيد يحمل اسم المير صالح تؤكد كل الدلائل أنه جدي صالح كردي الذي وضع اللبنات الأولى لعائلتنا فيما بعد بشبه جزيرة العرب، حيث يعتقد أنه وصل إلى اسطنبول برفقة أخويه جدي صالح وجدي سعد ورجاله واتباعه المحاربين معه.

الوصول إلى المدينة

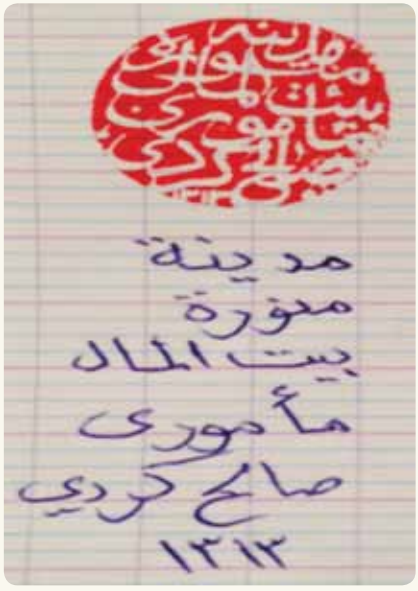

الختم الأثري الذي تركه جدي

الفروسية والشجاعة التي أظهرها جدي صالح وأخوه بدر خان ورجالهما الأوفياء كانت مضرب المثل.. وكانت سبباً وراء إعطائهم حرية اختيار المكان الذي سيتم نفيهم إليه من قبل السلطان العثماني.. اختار المير بدر خان مدينة قندية في جزيرة كريت واستقبله سكانها بحفاوة بالغة ولعب دوراً كبيراً في تسوية النزاع بين المسلمين والمسيحيين فيها. وبعد عشر سنوات انتقل إلى اسطنبول ومن ثم إلى دمشق التي عاش فيها سنتين حيث وافته المنية تاركاً اثنين وأربعين ولداً وحفيداً. وقد دفن في مقبرة الشيخ خالد النقشبندي في حي الأكراد بدمشق سنة 1868 م. أما المير سعد فقد كان الاستثناء الوحيد بقي في اسطنبول يشفع له في ذلك أنه كان وحيداً بلا ولد.

لم يكن هناك خيار آخر أمام جدي صالح عبد الله كردي إلا مغادرة اسطنبول بعد فرمان السلطان العثماني عبد المجيد.. وعلى عكس شقيقه الأصغر بدر خان رفض أن يتجه إلى الشمال، واختار أن يكون إبعاده إلى مكان يهفو إليه قلبه كثيراً.. طلب أن يذهب إلى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم، وشد رحاله إلى المدينة المنورة.

جاء الجد صالح إلى المدينة في نفس العام تقريباً (1848 م) وبدأ حياة جديدة في ربوعها، شعر بفرحة غامرة وهو يدنو من المسجد النبوي الشريف. لم يكن مجرد مكان يؤدى فيه الصلاة أو مبنى للعبادة فقط، بل امتدت

المدينة المنورة في منتصف القرن التاسع عشر عندما وصلها جدي

وظائفه إلى أبعد من ذلك، أصبح هو المدرسة التي يتعلم فيها الجميع علوم دينهم ودنياهم، والميدان العملي لتطبيق متطلبات الفرد المسلم، ودار للفتوى، ومحكمة للقضاء للفصل بين المتنازعين وإحقاق الحق بينهم، بل كان داراً لمن لا دار له، ومسكناً للفقراء والمحتاجين والغرباء، وفوق هذا كله فهو ساحة لتعليم العلوم ومقراً للشورى وإبداء الرأي نحو القضايا التي تهم الإسلام والمسلمين.

لا توجد دلائل قاطعة إذا كان جدي صالح تزوج عقب وصوله إلى المدينة المنورة مباشرة أم جاء من مسقط رأسه في جزيرة بوتان برفقة زوجته الكردية (دربيل)، لكن المؤكد أنه لم يمض تلك الفترة بمفرده فقد كانت هناك عدد من العوائل الكردية الأخرى.. بدليل أن الوثائق العثمانية الصادرة عن تلك الفترة كانت تميزه بمسمى (صالح كردي بيت المال) في دلالة على وجود أكراد آخرين.

كان صالح اسماً على مسمى.. لفت الأنظار إليه في موطنه الجديد بورعه وتدينه، واشتهر بأمانته وصلاحه.. وجاء ذلك مدخلاً منطقياً لاختياره أميناً لبيت المال في المدينة المنورة، وهو منصب يعادل مسؤول الخزانة والمسؤول عن تصريف أموال المسلمين، ويكشف الختم الرسمي الذي تركه كأثر تاريخي أنه كان يشغل المنصب حتى عام 1313 هـ (1895 م)، وتؤكد الوثائق العثمانية الرسمية التي جمعها المؤرخون وكذلك نسخ المحفوظات الموجودة في المسجد النبوي هذه الرواية.

كانت أمانة بيت المال وهي وظيفة رسمية تتجاوز الدور التقليدي وقتها باستلام الصرة السلطانية أو كما كانوا يسمونها (الصرة الهمايونية)، وهي كيس من النقود يطلق على المخصصات المالية والعينية التي ترسل دورياً كهدية من السلطان العثماني في اسطنبول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتوزع على الحكام والسادة والأشراف والأعيان والفقراء من الأهالي والمجاورين فيها، وكانت لها سجلات خاصة وتأتي في موسم الحج، كان يتجاوز ذلك إلى الإنفاق على المسجد النبوي، والمسؤولية الكاملة عن تقسيم إرث أي متوفى، فقد كان بيت المال يضع يده على التركة حتى يجري توزيعها على الورثة الشرعيين.

ورغم مسؤوليته عن خزانة المدينة المنورة إلا أنه عاش زاهداً وأصر أن يكون من الطبقة المتوسطة التي تكتفي بتوفير قوتها، لم يكن ثرياً مثل غيره حتى من الأكراد الذين وصلوا إلى المدينة معه في تلك الفترة، لكنه اكتفى مثل غيره من القادمين الجدد إلى المدينة بنقل بعض العادات التي نشأوا عليها في جزيرة بوتان ومنها لباس العمامة بطريقة مميزة، بينما كانت ملابسهم الأخرى قريبة من زي شبه الجزيرة العربية المتمثل في الثوب الأبيض أو الجلباب الطويل.

بعد سنوات قليلة من وصوله إلى المدينة المنورة أنجب جدي صالح والدي يوسف، ثم ابنه الثاني إبراهيم، والأخير توفي في سن صغيرة وكان متزوجاً من سيدة هندية، وأنجب ولداً واحداً سماه على اسم جده (صالح) وعاش ما يقارب من مئة عام وتوفي عام 1995م.

كان جدي مثل غيــره من الاكراد الذين جرى نفيهم من الباب العالي العثماني محروماً من الانتساب إلى عائلته العريقة (عزيزان)، فقد جرت العادة في تلك الحقبة على تجريد أي شــخص يتم إبعاده من نسبه، بهدف مســح هويتهم ومنعهم من العودة إلى بعضهم البعض، وحتى يكون العقاب قاسياً لا يقف على الإبعاد فقط.. بل يصل إلى حد التشتيت.

الأمين.. يوسف

يوسف صالح عبدالله كردي

فتح والدي الشيخ يوسف بن صالح بن عبد الله كردي عينيه على الحياة على بعد خطوات من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في ربيع الثاني 1271هـ (ديسمبر 1854م) في دار والده بالساحة بالقرب من بيت الصافي، وكانت الساحة في تلك الأيام من الأحياء الراقية لدرجة أن البعض كان يطلق عليها «اسطنبول الصغيرة». وكان ـ يرحمه الله ـ أبيض اللون، طويل القامة، واسع العينين، أقنى الأنف، يرتدي مثل أقرانه زياً مكوناً من الثوب الأبيض والمشلح والصديري والعمامة ويلبس الحذاء المصنوع من الجلد الذي يقوم الاسكافي بخرزه، وكان الوالد

المدينة المنورة عام ١٨٩٠م

يحتفظ بـ(العدة) اليدوية لمختلف أنواع الحرف التي يجيدها مثل الخرازة والنجارة، علاوة على حياكة وتضريب بعض الملابس الجاهزة، عرف بالصدق والنزاهة، وكان محبوباً لكل من عرفوه.

تلقى العلم على يد والده المير صالح عبد الله كردي الذي كان يحمل لقب (بيت المال) في العهد التركي، ولما بلغ عمره السادسة عشرة سافر إلى تركيا ليدرس العلوم والرياضيات واللغة التركية على حساب الدولة العثمانية، عاد مسلحاً بالعلم وعمل مع والده في بيت المال، وحين انتقل والده إلى رحمة الله، اختير يوسف صالح كردي ليخلفه في وظيفة مأمور بيت المال، ومن هنا اكتسب لقب «بيت المال» بحكم عمل والده وعمله هو.

ترعرع في أحضان المسجد النبوي الشريف في بيئة محافظة تركت كل همومها ومشاكلها خلف ظهرها وبدأت تفتح صفحة بيضاء ناصعة بعد وضع أهل المدينة جميعاً ثقتهم في الرجل الأمين صالح الذي عمل بتفان وإخلاص حتى وافته المنية خلال الفترة من 1902 إلى 1905م، وساهمت الثقة الكبيرة التي وضعت في الأسرة في تكليف الوالد بنفس المهمة ليعين أيضاً أميناً لبيت مال المسلمين عدة سنوات حتى عام 1918 م مع تهاوي وسقوط الدولة العثمانية وبداية عهد جديد أكثر إشراقاً، حيث كان ضمن المودعين لرستم باشا لدى عودته إلى اسطنبول عبر ميناء ينبع.

تزوج والدي السيدة عائشة محمد العروسي وأنجب منها ابنه البكر عبد الله، وبعد أن توفيت زوجته الأولى اقترن بوالدتي السيدة سعاد محمد سعيد حوالة والتي كانت صغيرة السن وتنتمي إلى أسرة كبيرة في المدينة المنورة، فشقيقها هو الشيخ أحمد محمد سعيد حوالة رئيس هيئة الإدلاء بالمدينة المنورة فيما بعد، وكان والده صاحب ركب الحوالة، ورزق منها بأشقائي خالد ومالك وكعب وسعد الذي توفي في سن مبكرة ويرجح أن تكون تسميته تيمناً بعمه سعد أخ جدي صالح الذي ظل في اسطنبول، وكنت أنا آخر السلالة حيث كان الفارق الزمني بيني وبين أقرب إخواني يتجاوز السنوات العشر.

ارتبط اسم العم سعد بقصة مثيرة رواها الوالد في نهاية مشواره لأخي عبدالله، حين أبلغه أنه أخفى علينا عدداً كبيراً من الرسائل كانت تصل من عمي سعد الذي بقي في اسطنبول تدعونا للسفر إلى هناك من أجل الحصول على جزء من أمواله لأنه كان يخشى أن يموت ويتركها للغرباء حيث لم يرزق بأبناء، وعندما سألنا الوالد عن سر إخفاء الخطابات وتعمد إحراقها؟ قال بعفوية شديدة: كنت أخشى أن يذهب أحدكم إلى هناك ولا يعود، فهذه أرضنا ووطننا ولا يمكن أن نخرج من المدينة المنورة.

رافق الوالد عدد من رجال المدينة المنورة وأعلامها في تلك الفترة منها آل برزنجي مثل السادة جعفر وزكي وعبد الله وحسن وهاشم وحمزة والشيخ أسعد إلياس والسيد حمزة غوث (عديله) والشيخ علي يماني والسيد أحمد بساطي والشيخ عمر حمدان والشيخ أحمد كثامي والشيخ إبراهيم بري والشيخ إبراهيم ملا والشيخ عبد الحفيظ كردي والشيخ رشيد والسيد أحمد محمود فيض أبادي «مؤسس دار العلوم الشرعية في المدينة المنورة»

من اليمين وقوفاً الشيخ خالد كردي، عبد المحسن عبد الله برزنجي، السيد علي هاشم برزنجي، الشيخ أحمد شكري، السيد عبيد جعفر برزنجي، السيد عبد الله أحمد برزنجي، السيد هاشم برزنجي، السيد رشيد حبيب الرحمة البغدادي، الشيخ يوسف كردي، من أبناء العائلة، والسيد جعفر زكي برزنجي.

والشيخ محمد بلاجي.

عقب ترك عمله مأموراً لبيت المال في المدينة المنورة، ظهر إلى الوجود مشروع مد خط سكة حديد الحجاز من المدينة المنورة إلى معان وهي مدينة أردنية تقع في الجهة الجنوبية من البلاد على الأطراف الغربية للهضبة الصحراوية الممتدة من شبه الجزيرة العربية حتى بادية الشام، ورست المناقصة على الوالد ـ يرحمه الله ـ الذي عمل فترة من حياته في مجال المقاولات، ولم تكن وسائل النقل الحديثة متوفرة في تلك الأيام، بل استعان ومن كان يعملون معه باستخدام الدواب لنقل قضبان السكة الحديد، حتى امتدت القضبان ووصل القطار إلى المدينة، ولعب موقع معان دوراً بارزاً في أهميتها خاصة وأنها همزة الوصل بين الجزيرة وبلاد الشام فلذلك كانت معبراً للقوافل القادمة من الجزيرة والعابرة إليها، وكان لابد من الوقوف فيها وخلال عمر معان زارها الكثيرون من الرحالة والأجانب.

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى خلال الفترة من (1914 إلى 1918 م) انقطعت المواصلات وأغلقت البحار وحدثت مجاعة في المدينة، وبدأت الدولة العثمانية تنشر جنودها في شوارع المدينة ويأخذون كل من يلقوه من رجل أو امرأة إلى عربات القطار ليغادر بهم إلى الأردن فينزل البعض هناك والبعض الآخر في سوريا، وقد يواصل بعضهم سفره إلى تركيا

فخلت المدينة من السكان إلا القليل منهم ما كان يسمونه «سفر برلك».

عمل الوالد في تلك الفترة على رأس كتيبة عسكرية تحمي أسوار المدينة المنورة من اللصوص وقطاع الطرق. كانوا يمتطون أحصنتهم ويدورون ليلاً كدرع واق ضد من يحاول العبث بأمن مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. وعاش حياة هادئة مستقرة اهتم خلالها بتربية أبنائه ومعهم صالح ابن أخيه إبراهيم.. حيث توفي الأخير في سن مبكرة.

الكردية.. قصة وردية

حي الكردية بالمدينة المكان السابق للمزرعة

قصة عشق للوالد مع النخيل

لم ينس والدي ـ يرحمه الله ـ وهو يزاول المهن الحرة والمقاولات على مدار مشواره الحافل الذي استمر لأكثر من 88 عاماً هوايته التي كان يعشقها منذ الصغر وهي الزراعة، اشترى مزرعة في منطقة السبعة مساجد بجوار بستان الشيخ مصطفى عزوز، وأطلق عليها مزرعة الكردية نسبة لصاحبها، وكانت له ثلاثة بساتين أخرى مستأجرة من الأوقاف، وحاول خلال حياته أن يطور الزراعة في المدينة المنورة فجلب التقاوي وبعض أنواع الخضراوات والنباتات مثل البنجر وخلافه من تركيا.

بدأت قصته مع مزرعة الكردية كأرض بور حفر فيها بئراً ثم قام باستصلاحها بعد أن رواها بطريقة (الغرغاز)، وبنى نزلة للسكن وغرس بها من أحرار النخيل، وكان يحلو له العيش فيها كثيراً ليكون قريباً يعتني بأشجارها ونخلها وما بها من زراعات، وكان يبذل جهداً إضافياً بعد أن تحولت إلى جنة خضراء في ظل صغر أولاده الذين لا يستطيعون القيام بالأعمال الشاقة.

كانت مزرعة الكردية تزخر بأنواع عديدة من النخيل اختارها بعناية، وأشرف عليها بنفسه، ونشأت بينه وبينها رابطة وجدانية كبيرة، كان ينظر لكل واحدة على أنها ابن من أبنائه، بذل

المسجد النبوي الشريف عام ١٩٠٥ م

جهداً بدنياً كبيراً لتعميرها وتهذيبها، بداية من متابعة الزراعة والتخلص من النباتات المتسلقة والأفرع اليابسة، إضافة إلى تحويل قنوات الري من اتجاه إلى آخر لكي تأخذ كل مجموعة من النخيل نصيبها من السقيا، ولاسيما وأن نظام الري كان بدائياً وغير متطور، بدءاً من رفع الماء من البئر عن طريق الاستعانة بالدواب وتفريغه في حوض، ثم فتح القنوات لتسرب الماء إلى أرجاء مختلفة من المزرعة.

ويزداد التعب والجهد مع ظهور الطلع في رؤوس النخيل والحاجة للتلقيح اليدوي خلال فترة وجيزة وفي حال لم يتم التلقيح في موعده فإن موسم الثمرة سينعكس سلباً على النتائج، وتزداد السعادة على وجه الوالد ـ يرحمه الله ـ عندما يحين موسم القطاف أو جني الثمار، يشعر بفخر واعتزاز لأن مجهوده لم يذهب سدى، ومن حسن الحظ أن ظهور الثمرة ونضجها كان يأتي بالتتابع وفي فترات متقاربة مما يتطلب المتابعة الدقيقة، وبعد فترة النضج للثمرة تأتي فترة قص الأغصان التي تنبت منها الثمرة، أو تلك التي تركت ثمرتها لتتحول إلى ثمرة جافة (التمر).

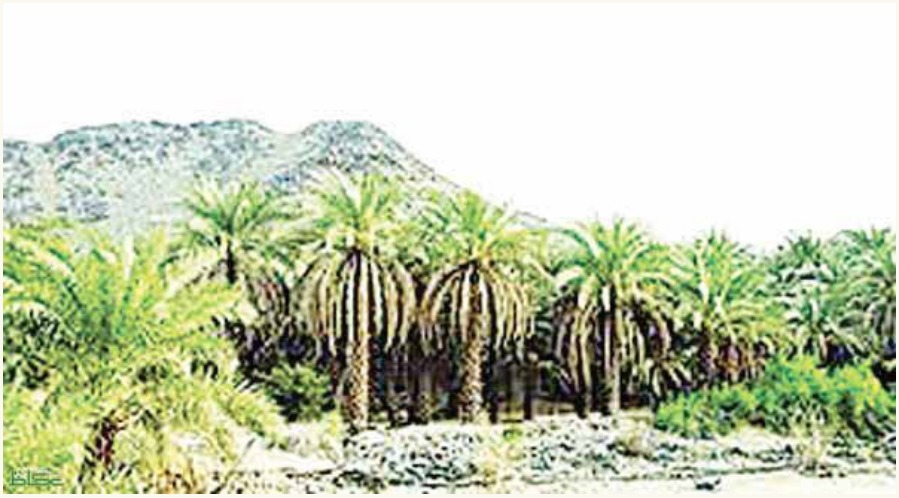

الزراعة في المدينة المنورة لها تاريخ عريق

خالد بلع الجنيه

روى لي أحد الأشقاء أن أمير منطقة المدينة المنورة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أحد الشخصيات القوية التي اختارها الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود (طيب الله ثراه) لإدارة الحكم في طيبة الطيبة.. قام ـ يرحمه الله ـ بجولة تفقد خلالها مزرعة الكردية التي جعلها والدي في تلك الفترة نموذجاً رائعاً وجذاباً للزراعة المزهرة التي تسر الناظرين.

استضاف الوالد يرحمه الله أمير منطقة المدينة المنورة على قهوة وطلب من ابنه شقيقي خالد الصعود إلى النخلة وإحضار (قنو) من الرطب الطازج لتقديمه إلى الأمير. وبالفعل صعد وفي يده المنجل وقطع القنو الذي يزن 10 كيلو تقريباً. وأتى بـ (مفتة) وهو وعاء مصنوع من الخوص ووضع التمر به وقدمه إليه.. فأبدى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إعجابه بشقيقي خالد الذي كان في عمر الثامنة عشرة تقريباً.. وقال له: بارك الله فيك يا ولدي، وأهداه قطعة من الجنيه الذهب.

لم يصدق خالد نفسه وطار فرحاً بهذه الإكرامية الكبيرة من رجل كبير وله مكانته، احتار أين يضع الجنيه الذهب، خشي أن يتركه في جيبه فيسقط على الأرض، ولم يجد مكان أكثر أماناً من وضعه في فمه.. وبعد برهة من الوقت ودون قصد بلع الجنيه ووجد نفسه في ورطة كبيرة.

عقب نهاية الزيارة سأل الوالد ابنه عن الجنيه الذهب.. بكى بخوف وقال له: لقد بلعته؟

تعامل الوالد ـ يرحمه الله ـ مع الأمر بلطف وحدد لخالد مكاناً معيناً لقضاء حاجته به حتى ينزل الذهب من معدته.. وبالفعل لم يطل الانتظار أكثر من يوم حتى تم الحصول على الجنيه، وتحولت إلى قصة طريفة يرددها الجميع، لاسيما أن الأمير عبد العزيز بن ابراهيم في تلك الفترة كان يتمتع بشخصية مميزة ويحظى على ثقة كبيرة من الحكومة السعودية الفتية نظراً لما تتمتع به منطقة المدينة المنورة من أهمية خاصة.

وروى أحد الأصدقاء الذين كانوا يزورون الوالد بصفة دائمة في الكردية، أنه عندما تقدم به العمر ولمس الجميع ما كان يعانيه من مشقة وتعب في الحرث والتهذيب والري، عرض عليه ذلك الصديق أن يبيعها ليرتاح ويريح أبناءه، وأتى المستشرق البريطاني السير جون فلبيني (عبد الله فليبي) راغباً في شرائها، إلا أن الوالد رفض الفكرة بشدة.. وسأل هذا الصديق: هل يجوز للأب أن يبيع أحداً من أولاده؟ هل يمكن أن تتخلى بسهولة عن شيء عشقته واقترنت به؟ وهي دلالة واضحة على ارتباطه بالأرض والمكان.. وظل سنوات طويلة يعمل بنفسه صامداً في وجه من حاولوا إقناعه ببيع المزرعة والابتعاد عن مصاعب مهنة الفلاحة، لكنه كان يستمتع بمنظر الثمار وهي تنمو أمام عينيه وتساهم في توفير الأمن الغذائي لأهالي المدينة.

عشقه للعلم والتجارة ورغبته في تطوير أبنائه.. دفعه أن يرسل أخي الأكبر عبد الله لتلقي العلم وامتهان التجارة في الهند، وتروي ذلك بعض الرسائل المتبادلة بينهما في تلك الفترة، أما فروسيته وشجاعته فقد قادته أن يصطحب ابنه عبد الله وابن شقيقه صالح للدفاع عن المدينة المنورة في تلك الفترة.

شهدت المدينة المنورة في بداية القرن العشرين، وخلال الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1916 م)، أطول حصار في تاريخها.. فقد كانت المدينة تتبع الدولة العثمانية، ويقيم فيها حاكماً عثمانياً، وعندما أعلن الشريف حسين بن علي، حاكم مكة، الانفصال عن الحكم العثماني باسم العرب، سار بقواته وضرب حصاراً على المدينة المنورة تمهيداً لطرد العثمانيين منها، تمكن فخري باشا من صد قوات الشريف حسين من سنة 1916 حتى سنة 1919م، لكنه اضطر للاستسلام في نهاية المطاف في العاشر من يناير من نفس العام، فدخلت قوات الشريف حسين المدينة، حيث بويع الأخير ملكاً على الحجاز وبلاد العرب، غير أن القوى العظمى وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا لم تعترف به كملك على كل الدول العربية المستقلة حديثاً، بل كملك على الحجاز فقط، وتقاسمت ما تبقى من تركة الدولة العثمانية فيما بينها.

دخلت المدينة المنورة ظلال الدولة السعودية يوم 19 جمادى الأولى عام 1344 للهجرة، (5 ديسمبر 1925م) عندما سلمها القادة الهاشميون بناء على اتفاق خاص مع الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ . وبدأت مدينة رسول الله في العقدين الأخيرين قبل وفاة الوالد تشهد تطوراً كبيراً في العصر السعودي كأزهى عصورها من

حيث أعمال التوسعة والعمران، وشهدت تقدماً في جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث وفرت الدولة السعودية الأمان لسكان المدينة بعد أن كان مفقوداً بسبب غارات القبائل.

وعندما ألزمه المرض الفراش أصر على الانتقال إلى مزرعة الكردية حيث يعشق نسيمها ويستمتع بالهدوء والصفاء الذهني، وفي نفس الوقت يسترجع ذكريات المشقة والمعاناة، وهناك شاءت إرادة الله أن يتوفاه بتاريخ 22 رجب 1360هـ (الموافق 15 أغسطس 1941م) بعد حياة استمرت 89 عاماً وتم دفنه في بقيع الغرقد غفر الله له.

يوسف وصالح كردي
في الوثائق العثمانية

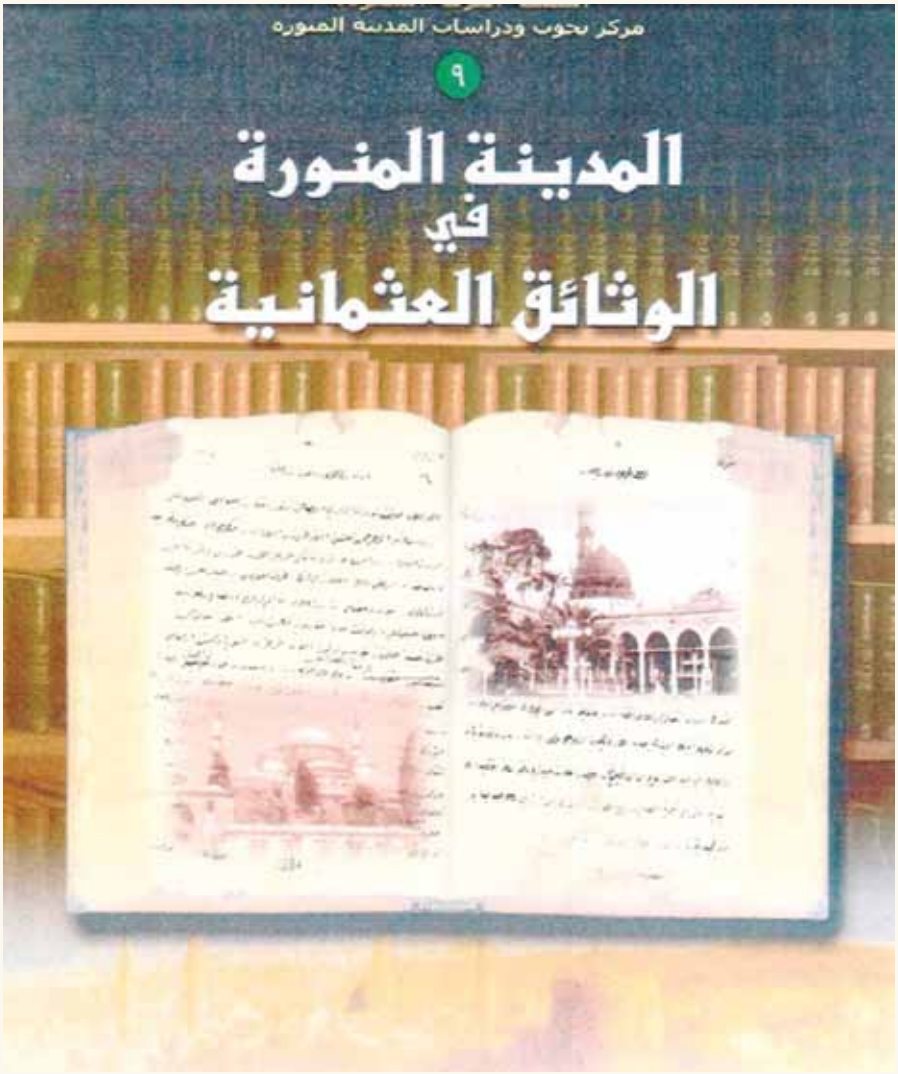

كشاف الوظائف والموظفين

(أ)

أئمة الحرم الشريف وخطباؤه - أئمة المسجد النبوي وخطباؤه، ١١٢، ٣٦٠

الأئمة الثلاثة ١٠٧

إدارة بيت المال ١٠٩

إدارة التعمير ٦٤، ٦٦، ١٠٢، ١٠٦، ٣٠٨، ٣٢٧

إدارة المشروع ٨٥، ٢٤٩، ٣٠٩

إدارة الأملاك الخاصة ٨٣، ٨٤، ٨٨

إدارة الشمال بالخط الحديدي الحجازي الخشبي ٩٠، ٩١، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٩

إدارة صحة الحجاز ١٨٦

إدارة الكهرباء ٢٢٣

إدارة المزارع المصرية ٢٠٠

الإدارة العامة للخط الحديدي الحجازي ١٦٤

الأمراء ٢١٦، ٢١٧

أمراء الحرم النبوي الشريف ٣٣، ١٣٨، ١٦٤

الأمانة العامة للمصرة العثمانية ٩١٣، ٩١٥

إنعاما سكة الكهربا ٦٧

أبو الخير ٢١٣

أبو النجح المصري والتحسين الشريف ٢٤، ٦١

أمين الصرة العثمانية الخليلة ١٧٧

أمين صندوق الخزينة بالحرم النبوي الشريف ١١٨، ١٣٤، ١٣٥

أوقاف الحرم النبوي الشريف بعدة ١٣٠

أوقاف صنتي ١٣

٥٤

المنشأ : مشيخة الحرم النبوي

التاريخ : ٢٦ من ذي الحجة ١٣١٧هـ
١٢ نيسان ١٣١٦

المرسل إليه : محافظة المدينة المنورة

الأصل : ٤٩٩/٤

الصورة : المركز ٩٤٠/١

الموضوع: طلب إرسال كشف بيانات الخزينة النبوية لضمها إلى التقويم الرسمي لسنة ١٣١٨هـ .

٥٥

المنشأ : المديرية العلية

التاريخ : ٢٦ ذو الحجة ١٣١٧هـ

المرسل إليه : رئاسة القضاء بالمدينة المنورة

الأصل : ٧١٥/٤

الصورة : المركز ١٠٤٨/١

الموضوع : بيان بالمبالغ المكلف بتسليمها صالح أفندي مسؤول بيت المال إلى الخزينة النبوية عن رسوم وأثمان التركات المباعة في بيت المال خلال أربعة أشهر من أول رمضان حتى آخر ذي الحجة ١٣١٧هـ .

٥٦

المنشأ : المديرية العلية

التاريخ : ٢٨ جمادى الآخرة ١٣١٧هـ

المرسل إليه : إدارة حسابات الخزينة النبوية

الأصل : ٧٠٩/٤

الصورة : المركز ١٠٤٥/١

الموضوع : بيان بالمبالغ النقدية والسندات الموجودة في خزينة الحرم النبوي .

٥٧

المنشأ : وكالة المديرية العلية

التاريخ : ٢٥ محرم ١٣١٧هـ

المرسل إليه : إدارة الحسابات بالخزينة النبوية

الأصل : ٦٩٧/٤

الصورة : المركز ١٠٣٩/١

الموضوع: طلب بيان بديون الأفراد المستحقة للخزينة النبوية والتي لم تثبت في دفتر إيرادات الأوقاف .

٥٨

المنشأ : ولاية الحجاز

التاريخ : ٢١ شوال ١٣١٧هـ
٩ شباط ١٣١٥

المرسل إليه : مشيخة الحرم النبوي

الأصل : ٦٨٨/٤

الصورة : المركز ١٠٣٥/١

الموضوع: طلب المحافظة على سرية المعلومات الواردة في الخطابات الرسمية والأوامر السامية .

٥٩

المنشأ : مشيخة الحرم النبوي

التاريخ : ٢٧ ذي القعدة ١٣١٧هـ

المرسل إليه : قائمقام ينبع البحر

الأصل : ٦٨٥/٤

الصورة : المركز ١٠٣١/١

الموضوع : التوصية بإرسال مهمات الحرم النبوي الشريف مع قافلة يتحقق فيها الأمن والسلامة .

وثائق عثمانية تكشف تولي جدي صالح ووالدي يوسف مأمورية بيت المال بالمدينة المنورة

٣٧

المنشأ : مشيخة الحرم النبوي

التاريخ : ٢٩ شعبان ١٣٢٥هـ
٢٤ أيلول ١٣٢٣

المرسل إليه : عزت باشا الكاتب الثاني بالشؤون الخاصة السلطانية

الأصل : ٥/٤٦٦

الصورة : المركز ١/١٢٧٩

الموضوع : وصول المصابيح المرسلة من قبل السلطان وهي في حالة سليمة وسوف يقام حفل بمناسبة قدوم شهر رمضان .

٣٨

المنشأ : المديرية العلية

التاريخ : ١٧ شعبان ١٣٢٥هـ
١٢ أيلول ١٣٢٣

المرسل إليه : السيدة الفاضلة أمينة زوجة خاتم

الأصل : ٥/٤٤٨

الصورة : المركز ١/١٢٧١

الموضوع : وصول بدل الزيت المخصص للقناديل الموجود بالحجرة النبوية مع اضدادها الأخرى .

٣٩

المنشأ : وكالة مديرية الحرم النبوي

التاريخ : ٢٣ رجب ١٣٢٠هـ

المرسل إليه : رئاسة القضاء بالمدينة المنورة

الأصل : ٣/٣٩٩

الصورة : المركز ١/١٣٨٥

الموضوع : بيان بالقيمة النقدية لبعض التركات التي بيعت في المدة من جمادى الأولى وحتى نهاية رجب ١٣٢٠هـ وسلمها مسؤول بيت المال صالح أفندي مع الرسوم والضرائب إلى خزينة الحرم النبوي .

٤٠

المنشأ : المديرية العلية

التاريخ : غرة محرم ١٣١٨هـ

المرسل إليه : خزينة الحرم النبوي

الأصل : ٣/٤٠٣

الصورة : المركز ١/١٣٨٨

الموضوع : طلب بيان بإيرادات ومصروفات الخزينة النبوية الجليلة عن عام ١٣١٧هـ والرصيد الباقي .

٤١

المنشأ : المديرية العلية

التاريخ : ٢٧ صفر ١٣١٨هـ

المرسل إليه : المحكمة الموقرة

الأصل : ٣/٤٠٥

الصورة : المركز ١/١٣٩٠

الموضوع : بيان بما يجب على مسؤول بيت المال صالح أفندي تسليمه إلى خزينة الحرم النبوي من القيمة النقدية للتركات بعد بيعها وكذا الرسوم خلال شهري محرم وصفر من عام ١٣١٨هـ .

٤٢

المنشأ : المديرية العلية

التاريخ : ١٥ ذو القعدة ١٣١٨هـ

إضاءات

- تؤكد الشواهد التاريخية أن المير صالح بن عبد الله كردي ينتمي إلى عائلة عزيزان، ويعود نسبه إلى صلاح الدين الأيوبي وسيف الله المسلول خالد بن الوليد.
- جذور العائلة تعود إلى ديار بكر أكبر مدينة في جنوب شرق تركيا، والتي حكمت جزيرة بوتان من العهد الأموي وحتى أواخر القرن التاسع عشر.
- قضاء العثمانيين على ثورة الأمير بدر خان الأخ الأصغر لجدي صالح (وفق استنتاجات تاريخية) كانت السبب وراء مجيئه إلى المدينة المنورة عام ١٨٤٨ م.
- تشير الوثائق العثمانية أن جدي صالح تولى أمانة بيت المال في المدينة المنورة قبل أن يخلفه والدي يوسف.
- رغم مسؤوليته عن خزانة المدينة المنورة.. إلا أن جدي صالح عاش زاهداً وأصر أن يكون من الطبقة المتوسطة التي تكتفي بتوفير قوتها اليومي فقط.
- ساهم الوالد في تطوير الزراعة في المدينة المنورة عندما جلب التقاوي وبعض أنواع الخضراوات والنباتات من تركيا.
- رد الوالد يوسف كردي على أحد المطالبين ببيع مزرعة الكردية: هل يجوز للأب أن يبيع أولاده؟ ورفض بشدة التخلي عنها للمستشرق البريطاني السير جون فلبيني (عبد الله فليبي) وظل حتى وفاته مرتبطاً بترابها.
- الفروسية والشجاعة قادته أن يصطحب ابنه عبد الله وابن شقيقه صالح للدفاع عن المدينة المنورة أيام الحصار.
- شهدت المدينة المنورة طفرة هائلة مع العصر السعودي.. وشهدت تقدماً في جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث وفرت الدولة السعودية الأمان لسكان المدينة بعد أن كان مفقوداً بسبب غارات القبائل.

الفصل الثاني

أيـــام

الحب والرعب

همسات نساء

البيوت التقليدية في المدينة المنورة

عندما أشرقت عيناي على الضوء في 21 ذي القعدة 1356هـ (22 يناير 1938م) لم يكن والدي يوسف كردي الرجل المهاب الذي يتناقلون حكاياته يعيش طوال الوقت معنا، كانت مزرعة الكردية تستولي على نصيب الأسد من حياته، وحينما بدأت أتلمس الأشياء وأشعر بمن حولي وأتعرف على وجوههم، كان قد انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل أن أكمل العام الرابع من عمري.

ورغم صغر سني إلا أنني مازلت أتذكر تلك اللحظات الحزينة التي عاشتها الأسرة كلها، خصوصاً والدتي سعاد، فعقب وفاته أحضروا جسده من مزرعة الكردية في سيارة نقل، وكنت مع والدتي نرافقه حتى منزلنا قبل أن يغسل ويذهب به إلى مثواه الأخير.

لم أكن أدرك ـ وقتها ـ ماذا يدور حولي، أشاهد النسوة يتهامسن ويتحدثن بصوت خافت عن الطفل اليتيم الذي تركه يوسف كردي يواجه أمواج الحياة المتلاطمة، لم أدرك ماذا تعني هذه الكلمات، لكن والدتي رمقتهم بنظرة غضب واحتوتني بعيداً، وحاولت على مدار سنوات طويلة أن تعوضني حنان الأب، لاسيما أن الفارق الزمني بيني وبين أقرب أشقائي كان يزيد عن العشر سنوات، ومع الوقت بدأت أتأقلم مع الوضع الجديد.. غير أن أمي والأشقاء لم يتخلصوا من الصدمة بسهولة.

كنا نسكن في منزل صغير مستأجر من دورين تعود من أوقاف الأغوات (1) العاملين

(1) الأغوات مجموعة من الرجال قدموا من إفريقيا مسخرين أنفسهم أو أبناءهم لخدمة الحرمين الشريفين

في المسجد النبوي، كانت جميع المباني التقليدية متجانسة في عناصرها الداخلية ومتشابهة في استعمالاتها، حيث كانت الواجهات تشكل نسقاً جمالياً متميزاً، كما تقوم بوظيفة مناخية مهمة، حيث توفر الظلال، وتخفف من وطأة الحر، وكانت تحتوي على فتحات النوافذ والرواشين، وأبواب الواجهات، والزخارف والنقوش، حيث تبرز التغطية الخشبية البارزة للنوافذ والفتحات الخارجية وتحمل هذه الرواشين في الغالب على اساسيات من الحجر.

لازلت أذكر تفاصيل منازل المدينة المنورة في مرحلة الطفولة، كانت جلسة الروشان في مكان الصدارة وهي من الأماكن المفضلة للجلوس وخاصة لكبار السن، حيث كانت الأفضل من حيث الإضاءة والتهوية والمكان الذي يطل من خلاله البيت التقليدي على الزقاق أو الحوش أو الحارة، وجلسة الروشان عبارة عن دكة من الحجر أو الطوب يبلغ ارتفاعها حوالي ستين سنتيمتر، وبعرض يساوي عرض الحائط المكون لفتحة الروشان في الغالب، وكان أهل المدينة يعتبرون الرواشين المكان المناسب لوضع آنية مياه (الشرب) لتبريد مياهها نظراً لملامستها المستمرة لحركة الهواء، كما أن وجود الماء في الرواشين يساعد على تلطيف الجو للجالس على دكة الروشان.

علاوة على النقوش البديعة التي تميزت بها المباني التقليدية في المدينة المنورة، فقد استفاد البيت التقليدي وقتها من الأجواء المناخية، حيث عرفت أجواء المدينة بأنها شديدة الحرارة صيفاً وقارسة البرودة شتاءً، علاوة على كثرة الجبال ومجاري السيول التي توفر التربة الخصبة، مما أدى إلى ازدهار الزراعة وتوفر الأخشاب التي تأتي من النخيل، علاوة على الجريد والخوص.

ظهر البيت التقليدي مبني حوائطه من الطين والحجر، وسقفه من جذوع النخل والجريد، يتكون في العادة من طابقين أو ثلاثة، وفي حالات قليلة من أربعة، حيث تستخدم الطوابق العليا منها للسكن في فصل الشتاء، نظراً لكونها أكثر دفئاً من الطوابق السفلى بسبب تعرض مسطحات الحوائط في الطوابق العليا لأشعة الشمس، في حين تستخدم الطوابق السفلى للسكن في فصل الصيف، وتميزت المدينة برشاقة وجمال مبانيها، وشكلها المعماري الجذاب.

لم يكن هناك تقسيم للغرف "نوم وصالة وطعام" كما يحدث حالياً، بل كانت كل غرفة تؤدي كل الأغراض، لكن هذا البيت المتواضع الذي كان يبعد خطوات قليلة عن الحرم النبوي وبالتحديد باب مجيدي، يحمل الكثير من الذكريات الجميلة التي مازالت محفورة في ذاكرتي، وكان قريباً من منزل خالي الذي يمثل نقطة جذب لمساحته الكبيرة وحديقته وبركة السباحة وأماكن اللعب لكل الأطفال في عمري.

حكايات مليئة بالحب والرعب أتذكرها في منزلنا الذي فتحت عيناي عليه.. أتذكر تلك اللحظات الحالكة التي كانت تسيطر عليّ عندما تطفأ لمبة الجاز ليلاً من أجل الخلود

للنوم. استحضر حكايات الجن والعفاريت وأمنا الغولة والدجيلة التي يقصونها لنا بالنهار عندما أنظر إلى بعض الحوائط المشققة. أشعر وكأن الجني يخرج من بين الحوائط ويقترب مني.. أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وأكتم خوفي. ولم يكن ينقذني وقتها إلا شقاوة النهار حيث يحل التعب على جسدي النحيل وأذهب في نوم عميق!

ألعاب الحارة في المدينة المنورة على بعد أمتار من الحرم النبوي الشريف قصة أخرى.. كنا نلعب بوسائل تقليدية من البيئة أهمها الكبوش. يقوم كل واحد فينا بجمع قطع عظام الماشية والخراف والماعز وخصوصاً قطع المفاصل. ومن يملك أكبر كمية من العظام يعد أكثرنا ثراءً بمنظور ذلك الوقت. كنا نعشق أيضاً الكرة الشراب والجلة التي تصنع من الحجارة والصخر والتي ندحرجها في حفرة نصنعها خصيصاً للعبة.. وهي شبيهة بلعبة الجولف بعد تطورها وشكلها الجديد. ولم تكن ظهرت الألعاب الموجودة حالياً التي تشغل أوقات معظم أطفالنا.

أسواق المدينة المنورة قديماً

يا ويلكم يا أمي

لم نكن نعرف شيئاً عن الكهرباء.. وكنا نشرب مياه الآبار، حيث كان وجود آبار المياه أحد مستلزمات البيوت الأساسية، حيث يتم رفع المياه عن طريق دلو، ووضعها في وعاء نحاسي، أما ماء الشرب فيوضع في الزير الفخاري الذي يملأ بواسطة السقا، وأتذكر أن إخواني عندما كانوا يلعبون مع أفراد الأسرة يقومون بإلقاء الدلو في البير ويمسكونه من أعلى بحيث لا يستطيع الموجود أسفل أن يلحق به.. ويظل يصرخ: فك الدلو يا ولد؟ وكنا نستمتع بهذه المزحة البسيطة التي تكسر جمود الحياة.

كانت الحياة بسيطة.. مليئة بالحنان والمحبة والقناعة.. الطعام بسيط يتشكل أغلبه من الخضراوات والمواد الأساسية الموجودة في البيئة وخصوصاً التمر والحليب الذي نحصل عليه من الماعز التي نربيها، لم تكن هناك ثلاجات، كانت والدتي تقوم بتسخين طعامنا الذي جهزته عدة مرات، وتضعه في أماكن عالية بها تيارات هواء حتى لا يتعرض للحموضة.

أما ما يتعلق بالحمامات وبيت الراحة فقد كانت هناك حلول بسيطة تناسب هذا العصر تتمثل في وجود مكان مخصص لذلك، وحينما قالوا إن أعظم اختراع شهدته العصور الحديثة يتمثل في تصميم دورات المياه وكرسي الحمام فقد أصابوا كثيراً، حيث

كان المكان وقتها مصدراً أساسياً للحشرات والعقارب والروائح الكريهة. وأتذكر وقتها أنني رأيت قعربة (عقربة) في مجلس العائلة.. وحولتها إلى أنشودة أرددها "يا ويلكم يا أمي.. عقربة صغيرة فوق البقشة".. واذكر ان شقيقي خالد هم بارتداء جورب واذا بعقربة كانت داخل الجورب لدغته فاستنجد بالوالدة ومن كان بالمنزل.. كانت منازلنا متواضعة لا تخلو من المخاطر والمشاكل. لكننا كنا نتعامل مع معوقات الحياة ببساطة.. وكان لدينا شعور كبير بالقناعة.

زير المياه

لم تكن الحارة هي المكان المناسب لاحتواء طاقاتنا وألعابنا.. وكنا نذهب إلى منزل خالي الشيخ أحمد محمد سعيد حوالة رئيس هيئة الإدلاء على بعد أمتار قليلة. المكون من ثلاثة طوابق وبه حديقة تشتمل على عدد من أشجار النخيل المثمرة ومسبح مياه (بركة) مربعة مساحتها حوالي 4 في 4 م تقريباً. وكانت تمثل قمة المتعة لكل الأهل كبيرهم وصغيرهم عندما تملأ بالماء ويغطس فيها الكبار قبل الصغار. كان الخال ـ يرحمه الله ـ يعد وقتها من الأثرياء. لاسيما أنه امتلك ثلاث عمائر مجاورة للبيت الكبير. وكان ـ يرحمه الله ـ يتباهى بكل واحدة ويأخذني مثل باقي الزوار من الأسرة والأقارب في جولة على العمارة الجديدة ومرافقها. ودخلت تلك العمائر تباعاً في توسعة الحرم النبوي الشريف وليس لتلك العمائر آثر الآن فقد تحولت إلى مجرد ذكريات.

الدلو

كان خالي أحمد حوالة ـ يرحمه الله ـ فارع الطول يتميز بهندام فريد وعمة من نوع القباني مطرزة ملفوفة بعناية. تضفي عليه مزيداً من الوقار والهيبة. جاداً في مظهره. نادراً ما كان يبتسم إلا أنه كان ودوداً مع الأطفال الصغار. وحازماً وجاداً مع الأطفال كبار السن. فإذا دخل المنزل فإن كل من فيه يلزم الصمت أو الهمس حتى يفرغ من تناول الطعام

ويأخذ قسطاً من الراحة ويغادر لعمله في المناخة، حيث كان يمتلك بقالة متوسطة الحجم بمقاييس ذلك الوقت تحتوي على كافة أنواع البقوليات والسكر والشاي والسمن.

عندما يفتح متجره يقوم بترحيل صناديق الأصناف من داخل المتجر إلى مقدمته، وتلك مهمة شاقة كان يعاونه فيها أحد المساعدين، علاوة على الدور الذي يقوم به ابنه البكر محمد سعيد حوالة ـ يرحمه الله ـ وعندما كان يحين موعد إغلاق المحل تعاد جميع تلك الصناديق بما تحتويه إلى داخل المحل وتوضع على بعضها البعض للسهولة والتنظيم، علاوة على انشغاله بالمتجر فإنه كان من الأشخاص المخولين بإرشاد الزوار لمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، وتلاوة دعاء الزيارة وخصوصاً للأسرة المالكة المغربية والوزراء وكبار الشخصيات.

الخال أحمد محمد سعيد حوالة الاول وقوفاً من اليمين

وقبل توافر الفنادق في المدينة كان يستضيف تلك الشخصيات في إحدى بناياته وتقدم لهم الأطعمة المغربية والشاي الأخضر بالنعناع، ويحصل الأطفال الصغار على الهدايا الرمزية وكان ذلك يمثل قمة السعادة لهم، وكان يعيش في منزل الخال الواقع في منطقة باب المجيدي بناته غير المتزوجات وابنه الكبير محمد سعيد وزوجاته وأخواته غير المتزوجات، أو الأرامل مع بنات الأخوات، حيث كان بمثابة المنزل الكبير للأسرة، حيث كان الخال أخاً بمثابة الأب لخمس شقيقات.

كان الخال ـ يرحمه الله ـ لا يبدي حماساً لاستمرار أولاده أو بناته في التعليم مؤكداً أن مساهماتهم في العمل المنزلي وخدمة الزوار لها الدور الأساسي والمنتج، واستمر في تطبيق ذلك المبدأ حتى استطاع ابنه يوسف أحمد حوالة أن يصر على استكمال الدراسة حتى حصل على درجة الدكتوراه والاستاذية في جامعة طيبة، وأصبح التقليد المتبع في العائلة هو الدراسة والتحصيل العلمي للبنين والبنات.

ومن شقاوة الأطفال وانعدام وسائل اللعب والترفيه ما حدث عندما استأجر خالي أحد العمال الذين يجهزون الطين استعداداً للبناء، كنا نتجمع ونأخذ هذا الطين ونحوله إلى

الخال أحمد محمد سعيد حوالة

الشيخ محمد سعيد أحمد حوالة
يرحمه الله

الدكتور يوسف أحمد حوالة

كرات صغيرة ونضرب به الحوائط. وعندما وصل الخال ورأى المنظر، اشتاط غضباً وتساءل عمن فعل ذلك ولم يجرأ أحد أن يفتح فمه.. فكانت النتيجة هي العقاب الجماعي.

ولعل هذه التجربة التي مررت بها في هذه السن الصغيرة بالمدينة المنورة كانت الدافع الأساسي وراء إنشاء (غرفة ألعاب) في منزلي الحالي بجدة تضم أرجوحة وزحالق وكرات وألعاب متنوعة للأطفال والأحفاد والحفيدات وضيوفهم.. أتصور أنها من أفضل الاستثمارات المفيدة التي اتخذتها.. فعلاوة على الجاذبية الكبيرة التي تمثلها الغرفة للأطفال، فهي إحدى وسائل التعليم الحديثة والمتطورة أيضاً، حيث كتبنا على بابها بالعربية والإنجليزية " فضلاً ابقي الغرفة في حالة نظيفة ومرتبة".. وقد اعتاد أحفادي بمجرد وصولهم المنزل هم ومرافقوهم الدخول إلى هذه الغرفة مباشرة لتفريغ طاقاتهم، ونجحنا أن نعودهم على النظام والترتيب، ولاشك أن وضع الألعاب كلها في مكان واحد يساهم في بقاء المنزل كله مرتباً بعيداً عن اللهو والعبث.

وعلى بعد خطوات من المنزل الكبير لخالي كان يقع المنزل الذي يضمني ووالدتي وأخي الكبير عبد الله وزوجته وإخواني خالد ومالك وكعب، وكان المنزل مشهوراً بمنزل أبو القرون وأخذت التسمية من وجود كبش كبير على بوابته، وكان التواصل كبيراً مع باقي الأسرة والأقارب وكنت أشعر بسعادة كبيرة عند قيامنا بزيارة للأقارب أو عندما يأتون لزيارتنا.

العيدية والحمار

الأعياد والمناسبات قصة أخرى.. وحكاية جديدة لها طقوسها وجمالها.. فعيد الفطر هو موسم يلبس فيه الأطفال والكبار من كل الأعمار الثياب الجديدة، ويتبادلون الزيارات للمعايدة وتقدم فيه الحلويات والشربات للزوار، يتلقون "العيدية" وهي عبارة عن مبلغ من الدراهم أقله ريال أو مضاعفاته وتكون حصيلة كل طفل مبلغاً لا بأس به، فيشتري بعض الألعاب البسيطة أو يستأجر مرجيحة أو يدفع لصاحب الدابة كالحمار أو الجحش قيمة استخدامهم تلك الوسيلة، فكان الطفل يعيش في انتظار الدراهم والعيدية لكي يزاول بها ما كان يحلم به طوال العام، وكنت أنتظر طوال العام مثل تلك المناسبات لأتمكن من استئجار دابة وأمتطي ظهرها لمدة وجيزة، وفي الأعياد تنتعش الحالة الاقتصادية لغالبية الناس وبالذات أولئك الذين يقيمون الألعاب والمراجيح وشتى أنواع الأنشطة وكذلك بائعي ألعاب الأطفال ومقدمي الشربات وبائعي الحلويات.

وفي إحدى تلك المناسبات عرض عليّ أحد أولاد الحارة بأن يأخذني معه في دراجة هوائية استأجرها فرحبت بالفكرة، وفعلاً أخذنا جولة قصيرة، ولسوء الحظ إذا بأخي الكبير "سيدي عبد الله" يمر في نفس الطريق وهو يستقل سيارة لوري مكشوفة ويراني على الدراجة فأرسل لي إشارة بيده تحمل التهديد والوعيد على تلك الفعلة، وبطبيعة الحال سبب لي ذلك الخوف والقلق لأن ركوب الدراجة الهوائية في ذلك الزمان غير مستحسن اجتماعياً، فعدت إلى البيت وأنا تحت طائلة الخوف من العقاب على تلك الفعلة، فظننت أنه إذا جاء "سيدي عبد الله" ووجدني نائماً فسوف أنجو من العقاب، وفعلاً نمت مبكراً إلا أن ذلك لم يجنبني العقاب الذي لم يحدث تلك الليلة ولكنه حدث في اليوم التالي.

تميز مجتمع المدينة في تلك الفترة بتعايش الجيران من أصول متعددة حيث يتجاورون ويتواصلون بشكل متكرر، ومنهم الجيران ذوو الأصول البخارية، الأتراك، الهنود، والمصريون وكثير منهم من تبوأ مناصب مرموقة في الحكومة أو كان يمارس التدريس في الحرم النبوي الشريف، وكان أكثر ما يميز المدينة في تلك الفترة صغر مساحتها ونظافة شوارعها، حيث كانت ترش يومياً بالمياه عبر الرشاش وهو عبارة عن سيارة تحمل صهريج ماء مزود بفتحات في مقدمة السيارة ومؤخرتها لاحتواء الغبار المتطاير وتبريد الجو وكنا نستمتع ونحن نشاهدها يومياً.

علاقتي بأشقائي في تلك الفترة كانت مختلفة، حيث كنت أتعامل مع كل واحد فيهم على أنه والدي وليس أخي نظراً للفارق العمري الكبير، لم أزاول اللعب أو المرح معهم، لكنهم كانوا عطوفين يهتمون بي كثيراً، في حين كان أبناء خالي قريبين من عمري، كنا نقتسم الحكايات والأحلام الصغيرة، ساعدنا على ذلك العادة المنتشرة في هذه الفترة

شارع العينة بالمدينة المنورة

وهي الرضاعة المشتركة التي دعمت مبدأ "المحارم"، حيث كانت الأمهات يتبادلن رضاعة الأبناء والبنات مما ينشئ الإخوة في الرضاعة، وبناءً عليه كان مسموحاً لإخوتي الكبار ولي أنا مقابلة بنات الخال والخالات نظراً لوجود مبدأ الرضاعة حيث أصبحوا جميعاً في منزلة الأشقاء والشقيقات بالرضاعة، وبالتالي عشنا حياة مكنتنا من التآلف أكثر وإزالة العراقيل والحواجز.

ساعد هذا الأمر إخواني الكبار وساعدني على بناء علاقات أخوية قوية بين الأولاد والبنات تحت إشراف من الأسرة، وكانت قمة سعادتي عندما تقرر والدتي القيام بزيارة شقيقتها الخالة "أم السعد" زوجة السيد حمزة إبراهيم غوث -يرحمه الله- في منطقة العنبرية حيث ننتقل في عربية حنطور مزينة من الداخل والخارج يسحبها حصان.

اللحاق بالطائرة

أضحك كثيراً حينما أتذكر قصة اللحاق بالطائرة التي تسببت في ضياعنا. ذهبنا في أحد الأيام إلى منطقة "العاقول" وهي منطقة منخفضة تقع شرق المدينة المنورة ومعنا عدد من الرجال الأقارب والأرحام لتمضية يوم ممتع حيث تشتهر المنطقة بوجود مياه تتجمع بها بعد هطول الأمطار، وتنمو بها نباتات طويلة أشبه بالخيزران.

كنا في منطقة قريبة من مطار المدينة الذي تم افتتاحه مؤخراً، رأينا طائرة تحلق عالياً، فإذا بأحد الأشخاص البالغين يعلن للأولاد الصغار وأنا واحد منهم بأن نحاول اللحاق بالطائرة، فتجاوب للنداء معظم الأولاد وتتراوح أعمارهم بين 6 - 8 سنوات فانطلق الأولاد خلفه وكان اسمه عم "مالك" وكان تركيز الأطفال وتخيلاتهم أنهم سوف يلحقون بالطائرة التي سرعان ما اختفت عن الأنظار، ثم بدأنا رحلة العودة إلى حيث يجلس الأهل وكبار المجموعة، لكن معالم طريق العودة قد ضاعت ولم يستطع حتى العم مالك معرفة الطريق فأمضينا ساعات في البحث عن السبيل الذي يؤدي بنا إلى مكان تواجد كبار المجموعة، ودب بنا القلق والكل يحاول أن يتذكر الطريق الذي سلكناه عند بداية اللحاق بالطائرة، وبعد محاولات عديدة وقبل مغيب الشمس تمكنا من الوصول للأهل حيث قوبلنا بعاصفة من التأنيب، وبلغ العقاب بأن قام السيد يوسف وهو أحد كبار القوم بإنزال عقاباً بدنياً على ابنه عبد العزيز. أما أنا فحمدت الله بأنني لم أتعرض لذلك العقاب البدني الذي تعرض له بقية الأولاد، ربما لأنني "يتيم". وحتى الآن أتذكر تلك الحادثة ولا أضع اللوم على الأطفال الصغار بل إن اللوم كله يقع على العم "مالك" الذي تسبب في توريطهم ولم يحسن التقدير، رحمه الله رحمة واسعة.

ألعاب العجل والكبوش في المدينة زمان

نصبة الشاي

لم ينتظر إخواني كثيراً بعد وفاة الوالد فقد اضطروا مع ظروف الحياة الصعبة ومطالبها الكثيرة إلى بيع مزرعة الكردية، لم يكن أحد من بينهم يهوى الزراعة كحال الوالد، اتفقوا جميعاً على أن سعرها سيساهم في حلحلة الأمور.. فقد كنا ملتزمين بدفع إيجار سنوي للمنزل الذي نسكنه، فيما كان أخي الكبير عبد الله مقبلاً على الزواج، وبقية الأسرة لديها التزامات متنوعة، اشترى أحد جيراننا المزرعة، ولحسن الحظ كان الوالد صنع سياجاً من أشجار الطرفة الأثل لم يتم بيعه مع المزرعة، لكنه بيع في مرحلة لاحقة لظروف قدروها إخواني.

الوالدة سعاد حوالة –يرحمها الله–

قاد أخي عبد الله الأسرة بحنكته وحكمته وتوازنه وتعاطفه.. أخذ دور الوالد تماماً.. لم نشعر في أي لحظة أنه غير شقيق لنا، فقد كان يملك شخصية قيادية رائعة جعلتنا جميعاً نحترم رأيه ونسمع له.. ونلجأ إليه من أجل النصيحة، لا يخلو من المداعبة والملاطفة، عمل بالتجارة في بداية شبابه، حيث كان يملك محلاً صغيراً بالقرب من باب السلام في الحرم النبوي الشريف، وعمل أيضاً في وزارة الصحة عقب حصوله على الشهادة الابتدائية التي كانت تمثل قيمة كبيرة وقتها.

أما والدتي (سعاد حوالة) فقد كانت شخصية رائعة يتفق عليها الجميع، كان أفراد أسرتنا يعشقونها ويتمنون الجلوس معها أو أن تذهب لزيارتهم، وكانت لديها حكاياتها حلوة، لا تتفوه بأي كلمة جارحة لصغير أو كبير، تملك ذاكرة لماحة وأسلوباً شيقاً وتعشق التفاصيل، طباخة ماهرة، إنها المدرسة التي تعلمت فيها كل زوجات إخواني، أجمل لحظاتها كانت بعد الغداء، عندما تجلس وتضع أمامها (نصبة الشاي) على الفحم، يلتف حولها الجميع كباراً أو صغاراً يستمتعون بأحاديثها ويتذوقون الشاي ذي النكهة المميزة من يديها.

تحولت المدينة المنورة في تلك الفترة إلى واحة خضراء من النخيل.. الخضراوات والفواكه متوفرة فيها بشكل كبير، لكننا لم نكن نعرف سوى الفاكهة المتوفرة في تلك الفترة

ومنها الموز أو البرتقال الذي يأتينا في فترات متباعدة، وكنت أعشق هذا الأخير كثيراً، لدرجة أنهم كانوا عندما يأتوني ببرتقالة واحدة كانوا يخبئونها في أحد الأماكن ويطالبوني أن أبحث عنها طويلاً، ويا لها من فرحة عندما كنت أعثر عليها، بينما كان التمر موجوداً بكل أنواعه، إضافة إلى التين والمشمش، وكان طعامنا يعتمد على الخضراوات الطازجة في موسمها أو الجافة خارج الموسم مثل الملوخية والبامية والبقوليات، إضافة إلى اللحوم، ولم يكن هناك وجود للأسماك سوى تلك التي تأتي مجففة ومملحة، وكان الدجاج أيضاً من النوادر، حيث كانت والدتي تملك صندقة تسمى (خن) تربي به ديك وعدة دجاجات، وأحياناً يكون الديك شرساً ويهاجم الأطفال وأتذكر أن أحد الأطفال قد تعرض لهجمة من ديك شرس، ونادراً ما كنا نلجأ إلى ذبح الدجاج أو الديك، لذا أتصور أن رجال الأعمال الذين أنشأوا مزارع دواجن بهذا الكم الهائل خدموا البشرية.. فقد أصبح الدجاج مصدراً رئيسياً للطعام في شتى بقاع المعمورة.

تعددت وتلاقحت الثقافات خلال حياتنا البسيطة في فترة الطفولة بالمدينة المنورة، عشنا متحابين متقاربين مع المصري والتركي والبخاري والهندي، نسأل عن بعضنا في حال غياب أحد، لم يكن هناك تمييز بين شخص أو آخر، تجمعنا كلنا راية الإسلام، وحب المكان الذي نسكن به، يذهب كل واحد إلى عمله ثم نلتقي وقت الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

جارتنا التركية الأصل ولقبها "الخوجة" تتولى تدريس القرآن الكريم لكل بنات الحارة، وفي الحرم النبوي الشريف نلتف نحن الأولاد في حلقات تحفيظ القرآن ولا نسأل عن أصل أو جنس المعلم، بل لم يظهر في هذا الوقت من يقول أن هذا سني أو شيعي، كنا جميعا متحابين يجمعنا كتاب الله وسنة رسوله، ولم تظهر تلك السوسة التي تنخر في جدران الأمة.. والتي يجب أن نتحد جميعاً على منعها والقضاء عليها، وتجريم من يدعو لها.

سيطر القطن الهندي والمصري على ملابسنا في تلك الفترة، لم تكن الخيوط الصناعية قد ظهرت، وكانت جميع الحرف والصناعات اليدوية موجودة في المدينة.. الخياط، صانع الأحذية الجلدية، الخباز، الطباخ، الحلاق، البناء، عامل النظافة.. وأغلبهم من أهل المدينة، ولم يكن هناك تأفف عند الشباب من مزاولة أي مهنة، ولم يفكر أحدهم في هذا الوقت في تصنيف هذه المهنة أو تلك على أنها "وضيعة"، واللافت أن ما كان يحدث وقتها هو ما تدعو إليه حكومتنا الرشيدة الآن من ضرورة احترام العمل المهني والإقبال عليه لتحقيق التنمية الشاملة.

الكتاتيب والمدرسة

الطريق إلى المدرسة في المدينة المنورة لابد أن يمر من خلال كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم في رحاب أطهر البقاع، حيث كانت تنتشر حلقات التحفيظ في الحرم النبوي، والتحقت بكتاب (العريف بن سالم) وهو من أصول مصرية، ويقع الكتاب في الجانب الشمالي من مدخل الحرم النبوي بالقرب من باب المجيدي، يجلس التلاميذ على الأرض ويستمعون للدروس ويحفظون قصار السور من القرآن الكريم.

يجلس العريف على كرسي مرتفع ويهش بعصاه الطويلة على من يقوم بحركة غير نظامية، يزرع بداخلنا أساسيات التأدب والتهذب ونحن نتلوا كتاب الله، لازلت أذكر كلمات هذا الرجل، حيث زرع فينا الكثير من المبادئ واللبنات الأولى في التعليم، وحب القرآن وحسن التلاوة، أمضيت في هذا الكتاب فترة قصيرة قبل بلوغ السنوات الست، وكان حلمي الكبير في هذه السن مجيء أيام العيد وركوب دابة مقابل نصف ريال.

تمثل المدرسة الأميرية "الناصرية" محطة مهمة في حياتي.. لا أنسى اليوم الدراسي الأول ولحظات الترقب التي عشتها، بل وناظرها الأستاذ محمد عبد الحميد سناري بصورته الصارمة، أتذكر مبناها المكون من طابقين، حيث كان التلاميذ يذهبون إلى الحرم النبوي لأداء صلاة الظهر، وحدث ذات مرة أن أحدهم أثناء وقوفه للصلاة أحس برغبة في الذهاب إلى دورة المياه ولم يستطع تمالك نفسه، وإذا به يصيح ويستنجد بأمه (يا أمي أريد الذهاب إلى الحمام) ثم أسرع في الخروج من الحرم ليقضي حاجته.

المسافة قصيرة جداً بين مدرسة الناصرية والحرم النبوي الشريف، وفي تلك الفترة كان للحرم خمس مآذن، أربع موزعة على جميع الجهات بجانب المأذنة الرئيسية، وكان يؤدي الآذان 5 مؤذنون، يصعدون إلى أعلى المأذنة، ويبدأ المؤذن الرئيسي في الصدح بالآذان، ثم يتبعه الآخرون وكل منهم يوجه صوته نحو أحد الاتجاهات، كان للآذان روحانية، حيث كانت العائلات تتوارث هذه المهنة التي تحتاج إلى أصوات قوية وجميلة ومنها عائلات البخاري والعينوسة والنعمان وغيرها.

نقلت المدرسة الابتدائية الناصرية فيما بعد التعليم الأولي بالمدينة المنورة من مرحلة الكتاتيب إلى التعليم الحكومي المؤسسي حيث كانت خطتها الدراسية من الصف الأول حتى الصف السادس وموادها الدراسية تشمل القرآن الكريم، والفقه، واللغة العربية، والخط والتاريخ، وعاصرت هذه المدرسة العريقة العهد التركي ثم العهد الشريفي وبدأت خطوات ازدهارها أول دخول الحكم السعودي الزاهر المدينة، وكانت آنذاك تحت إشراف

الكتاتيب البداية الحقيقية لكل أطفال المدينة

مكتبة عارف حكمت
أحد المعالم السابقة
في المدينة

مدرسة الناصرية قبل
هدمها ودخولها في
ساحة الحرم

الشيخ عبد القادر شلبي وتحديداً في عام 1344هـ ويوقع عنه محمد سالم الحجيلي ثم استقال وتولى إدارة المدرسة محمود الحمصي إلى عام 1352هـ وزامله في هذه الفترة الأساتذة أحمد صقر ومحمد صقر والشيوخ محمد سالم الحجيلي ومحمد زيدان ومحمد سعيد مدرس ومحمد الكتامي.

تقع المدرسة ناحية باب المجيدي شمال شرق المسجد النبوي الشريف لذا ادخل مبناها في مشروع توسعة الحرم النبوي عام 1372هـ وقضت 8 سنوات تستأجر مباني بين الساحة والمناخة إلى أن استقرت عام 1380هـ في مبناها الحكومي الحديث في باب الشامي وحول اسمها من المدرسة الابتدائية الأميرية إلى الناصرية عام 1361هـ. ومن أبرز معلمي هذه المدرسة محمد حسين زيدان والشيخ عبد الحق نقشبندي وعثمان حافظ وعبد الفتاح كردي وأمين مرشد وعمر الحيدري وعبد العزيز الربيع والشيخ محمد صقر، والأستاذ عبد الحميد سناري.. وغيرهم، وأبرز زملاء الدراسة عبد الرحمن الطيب الأنصاري، وزين توفيق، ومحمد سعيد حوالة.

أول دفعة من الطلاب تخرجت من المدرسة عددهم (10) هم: علي سعيد مدرس، وعلي حسين عامر، وعارف علي برادة، وحسن إسماعيل أفندي، وعلي سعيد الكندرجي، وهاشم مصطفى كردي، وأحمد إسماعيل أفندي، وأنور يوسف بصراوي، والسيد ناصر غوث، والسيد يوسف زين مدني.

والمدرسة الناصرية هي أحد المعالم الرئيسية التي اختفت من المدينة المنورة مع الكثير من المباني والمكتبات والآثار التي ذهبت نتيجة التوسعات المتتالية في المنطقة الغربية من الحرم، ورغم التطور الحضاري الكبير الذي تظهر عليه المدينة الآن.. وأشعر بكثير من الأسى عندما أتذكر المباني والآثار التي دفنت تحت الأرض، تمنيت التعامل مع هذه الآثار والمعالم بشكل أفضل، فقد اختفى موقع أول مطبعة في المدينة التي جلبها السيدان علي وعثمان حافظ لطباعة صحيفة المدينة المنورة، وكنت أمر أمام الدكان الذي تتواجد به المطبعة وأرى الزخارف الرائعة التي تزين الشارع، وكذلك مكتبة عارف حكمت التي كانت تشتمل على العشرات من أمهات الكتب، بل مازلت أتذكر حمامات البخار التركية التي كنا نذهب إليها ليلة العيد مع الإخوان والأشقاء.

أكملت الدراسة في المدرسة الناصرية حتى الرابعة الابتدائية في منتصف عام 1947م، وبعدها تقرر سفرنا مع الوالدة وأخي خالد وعائلته وانتقلنا إلى الدمام.. لكن لماذا قررنا

(1) مصدر المعلومات عن المدرسة الناصرية.. يعود إلى بحث نشر عن المدارس بالمدينة المنورة قبل العهد السعودي

بشكل مفاجئ ترك كل شيء خلف ظهرنا والانتقال إلى المنطقة الشرقية التي كانت في بداية عهد التعمير والإنشاء؟.. تلك قصة أخرى.

وتصادفت فكرة رحيلنا من المدينة المنورة إلى المنطقة الشرقية مع حرب فلسطين والأحداث الطاحنة التي شهدها الوطن العربي في تلك الفترة. وأذكر أننا كنا نردد في المدارس:

" بلادُ العُربِ أوطاني منَ الشّـامِ لبغدانِ
ومن نجدٍ إلى يَمَـنٍ إلى مِصـرَ فتطوانِ
فـلا حـدٌّ يباعدُنا ولا ديـنٌ يفـرّقنا
لسان الضَّادِ يجمعُنا بغـسَّانٍ وعـدنانِ"

كانت المدارس تغرس بداخلنا حب العروبة. حيث شهدت هذه الفترة حالة من التعاضد الاجتماعي والسياسي في الوطن العربي. بداية من إنشاء الجامعة العربية عام 1945م في مصر. ثم سفر الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ إلى القاهرة ولقائه بالملك فاروق والمثقفين والساسة في تلك الفترة. وبدأ الاهتمام بالقضية الفلسطينية خلال الحرب التي سببت حالة كبيرة من الحزن في قلوب الجميع ولم تندمل آثارها حتى الآن.

إضاءات

- لم نكن نعرف شيئاً عن الكهرباء.. كنا نشرب مياه الآبار، ورغم ذلك كانت الحياة بسيطة.. مليئة بالحنان والمحبة والقناعة.
- حينما قالوا إن أعظم اختراع شهدته العصور الحديثة هو تصميم دورات المياه وكرسي الحمام أصابوا كثيراً، حيث كان البديل السابق مصدراً أساسياً للحشرات والعقارب والروائح الكريهة.
- تجربة اللعب في الحارة بالمدينة قديماً كانت الدافع الأساسي وراء إنشاء غرفة ألعاب في منزلي الحالي بجدة لأطفال العائلة تضم أرجوحة وزحالق وكرات وألعاب متنوعة.. أتصور أنها من أفضل القرارات التي اتخذتها في حياتي.
- لم يتجاوز عمري ٩ سنوات عندما أقيم أول مطار بالمدينة المنورة عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م).
- لم يظهر في هذا الوقت من يقول هذا سني أو شيعي، كنا متحابين يجمعنا كتاب الله وسنة رسوله، ولم تظهر تلك السوسة التي تنخر في جدران الأمة.
- رغم التطور الحضاري الكبير الذي تظهر عليه المدينة الآن.. إلا أنني أشعر بكثير من الأسى عندما أتذكر المباني والآثار التي دفنت تحت الأرض، اختفت مكتبة عارف حكمت وأول مطبعة والزخارف الرائعة التي تزين الشوارع.
- كانت المدارس تغرس بداخلنا حب العروبة، بداية من إنشاء الجامعة العربية عام ١٩٤٥م ، ثم سفر الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - إلى القاهرة وبداية الاهتمام بالقضية الفلسطينية.

الفصل الثالث

رحـــلة

الصعاب والآمال

أطول رحلة في حياتي

رائحة الهواء الزكية والجو قارس البرودة وأصوات خطوات المصلين المتجهين في سكينة إلى الحرم النبوي الشريف مع آذان الفجر.. كلها تفاصيل مازالت محفورة في ذاكرتي، لكن المدينة التي تسكن بداخلنا باتت مسكونة بعدد كبير من الشباب الباحث عن العمل، أكملوا مراحل تعليمهم الابتدائي والمتوسط - وبينهم إخواني - لم يجدوا الوظيفة التي تشعرهم بالأمان على المستقبل، بينما بدأت تباشير النفط تلوح في الأفق بالمنطقة الشرقية التي سميت وقتها مقاطعة الظهران، وسعت الدولة السعودية الفتية إلى استثمار الموارد البشرية والاستعانة بالشباب المتعلم من شتى المناطق، وكانت المدينة المنورة أحد المصادر الرئيسية لهذه الثروة التي يمكن أن تشارك في البناء وتساهم في النهضة.

جاء رجل الفكر والثقافة والأدب السيد أحمد عبيد - يرحمه الله - إلى موطن رأسه في المدينة المنورة يحمل قائمة طويلة من الفرص الوظيفية المغرية، حيث كان وقتها أحد كبار المسؤولين في وزارة المالية، قاد حملة الاستقطاب والتوظيف للإدارات الحكومية في الدمام ورأس تنورة مع ظهور إدارات جديدة للجمارك والمالية واللاسلكي بالتواكب مع

الدمام قديما

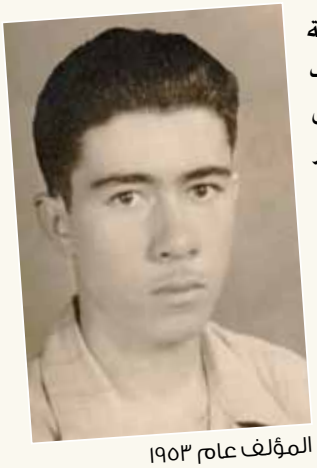

المؤلف عام ١٩٥٣

تدفق النفط وبداية حركة التنمية الكبرى، قدم مجموعة من المحفزات للراغبين في الانضمام إلى العمل أهمها الراتب الشهري الثابت الذي يعد وقتها فرصة لا تقاوم في ظل الظروف الصعبة والشعور بعدم الأمان المالي، مع توفير وسائل مواصلات لنقل الموظفين إلى مقاطعة الظهران.

طار إخواني «خالد ومالك وكعب» من الفرح عندما عرضت عليهم فرصة السفر والهجرة إلى الظهران، تجاوزوا مثل غيرهم من الشباب سن الـ18 ربيعاً ولم يعد لديهم مصدر رزق ثابت، يتطلعون إلى الزواج وتكوين أسرة جديدة، اتفقوا على أن يبقى خالد قليلاً في المدينة ويذهب مالك وكعب في البداية، لكنهم تفاجأوا بالاعتراض الكبير من والدتي، رفضت الفكرة جملة وتفصيلاً، لم تتصور ترك أبنائها يسافرون بعيدا عنها، قالت لهم بحزم: «لا تفكروا في هذا الأمر نهائياً، لن أترككم تذهبون إلى آخر الدنيا وتبتعدون عني».

ازداد الأمر تعقيداً، ولم يكن أمامهم وسيلة إلا استثمار نقطة ضعفها التي كانت

تتمثل في شقيقها الوحيد، ذهبوا إلى خالي الشيخ أحمد محمد سعيد حواله طالبين النجدة، لم يخيب ظنهم واستطاع بحنكته أن يقنع الوالدة ويؤثر على قرارها، قال لها إنهم لن يذهبوا إلا برضاها وأنها ستلحق بهم إلى هناك بعد فترة وجيزة برفقة خالد، رضخت إلى صوت العقل ووافقت على سفر مالك وكعب.

علمني المثقف والمفكر السيد أحمد عبيد أول وأهم الدروس في حياتي العملية قبل أن أكمل العاشرة من عمري.. عرفت وقتها أن الحوافز أحد المقومات الرئيسية للحفاظ على الموارد البشرية الجيدة، وأن المسؤول الناجح لا يكتفي بجلب العناصر ووضعها على رأس العمل، بل عليه أن يحفزها ويحافظ عليها، كان السيد أحمد عبيد صحفياً وناشراً ولد في المدينة المنورة عام 1334هـ وهو من أوائل من أدخل المطابع الاتوماتيكية للمملكة، وكذلك من أوائل من أدخل صف الحروف آلياً، وأول من أدخل الزنكوغراف المتطور والحديث، وقام بتأسيس مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة، وأصدر مجلة «الرياض» المصورة وهي أول مجلة تصدر في المملكة عام 1373هـ وبعد عام واحد من صدورها توقفت عن الصدور.

جرأته كانت سبب شهرته الواسعة.. فقد أصدر مجلة «صرخة العرب» المصورة الأسبوعية عام 1955م / 1374هـ في مصر، وتوقفت عن الصدور بعد إصدار عشرة أعداد منها، كما كان له نشاط ملموس في دنيا الأدب والصحافة، وهو أحد الكتاب الأوائل في مجال الكتابة الاجتماعية الصادقة، وتميز بالحس الوطني الذي كان ينشد المصلحة العامة والبناء، وكتب مقالات يومية على مدى سنوات في جريدة الندوة تحت عنوان «رأي الشعب»، وفي جريدة البلاد تحت عنوان «صراع المبادئ»، وساهم في تحرير مجلة المنهل، وله 4 أبناء و4 بنات بينهم الدكتورة ثريا عبيد عضو مجلس الشورى ونائب الأمين العام للأمم المتحدة والمديرة التنفيذية لصندوق الأمم المتحدة للسكان، وتوفي 4 رمضان 1414هـ (14 فبراير 1994م) ودفن بالمدينة المنورة.

بدأت أرتب نفسي للسفر إلى مقاطعة الظهران برفقة والدتي وأخي خالد وزوجته عام 1948م، حيث وضعت سيارة لوري تحت تصرفنا، كانت مخصصة لنقل البريد وتابعة للشركة العربية للسيارات، تحرك خيالي في الاتجاهات يرسم تفاصيل الرحلة المجهولة والعالم الجديد الذي ينتظرنا في مكان لم تطأه أقدامنا من قبل، صحبنا في تلك الرحلة الأستاذ عبد المنعم حمودة وأسرته الذي حصل على وظيفة أيضاً في مقاطعة الظهران.

تحركت السيارة بركابها العشرة من مختلف الأعمار نحو جدة وواجهنا مصاعب عديدة في الطريق، خصوصاً عندما وصلنا ربع حرشاء وهو مكان مرتفع تعجز الكثير من السيارات عن تسلقه، استمرت رحلتنا يوماً كاملاً حتى قدمنا إلى جدة ثم مكثنا أربعة أيام في ضيافة إحدى الأسر الصديقة، قبل أن ننتقل إلى مكة المكرمة ونؤدي مناسك العمرة، ثم ذهبنا إلى الطائف وارتحنا قليلاً عند أحد أقاربنا، وازدادت الصعوبة في الطريق إلى الرياض

صورة للمؤلف في الرابعة عشر ة من العمر ثم صديق الأسرة إبراهيم ابو غرارة ومالك كردي وصالح حركاتي والشيخ محمد عبد الرحمن الشيباني

حيث استغرقنا ثلاثة أيام تقريباً، وفي بعض المناطق الوعرة كنا ننزل من السيارة حتى نخفف حمولتها لتنجح في صعود المرتفعات، وفي الرياض استضافنا الشيخ عبد الحميد عقاد مدير اللاسلكي في منزله عند وصولنا إلى الرياض عدة أيام، رجل كريم مضياف يحمل سمات أهل طيبة الطيبة، حيث كانت هناك صلة قرابة بينه وبين رفيقنا في الرحلة الأستاذ عبد المنعم حمودة، واصلنا السير إلى الإحساء حتى وصلنا إلى الدمام بعد أطول رحلة أخوضها في بداية حياتي وربما في حياتي كلها.. استمرت ما يقارب من20 يوماً.

أحلام وعرة

المؤلف عام ١٩٥٥

ودعنا مكاناً يعج بالحياة والضوضاء في كنف مسجد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام إلى عالم من الصمت المريب. تركنا الأشجار والنخيل والحارات والأزقة المزخرفة لنجد أنفسنا فجأة في مكان صحراوي وعر. شعرنا بصدمة كبيرة لدى وصولنا إلى مكان معيشتنا الجديد في الدمام. ورغم أن عمري لم يتجاوز السنة العاشرة إلا أنني كنت أمني نفسي في الطريق بأماني كبيرة. رسمت في مخيلتي قصصاً وحكايات. واستيقظت على واقع مختلف.. تحطمت كل الأحلام فجأة عندما وجدت أسرتنا تنزل في مكان شديد الحرارة لا توجد به كهرباء ونحصل خلاله على المياه العذبة بصعوبة شديدة.

لم نرتب أمور السكن قبل وصولنا إلى هناك. لكننا استطعنا بمساعدة من سبقونا أن نستأجر منزلاً متواضعاً. ونعمل على شراء المستلزمات البسيطة الأساسية. حيث وصولنا إلى الدمام في أواخر شهر شعبان عام 1366هـ. في حين كان الشقيقان مالك وكعب يعملان في رأس تنورة ويأتيان إلينا كل أسبوع.

أخي عبد الله يميناً وابنه محمد في الوسط.. وأظهر يسار الصورة

هلّ شهر رمضان المبارك وأمورنا استقرت بشكل كبير، اعتمدنا على الكيروسين في إضاءة المنزل وطهي الطعام، وبعد فترة اشترينا ثلاجة تعمل على الكيروسين أيضاً، وبعد عامين فقط بدأت الكهرباء تتحول إلى واقع في منزلنا، وتأسست شركة كهرباء مقاطعة الظهران عام 1950م، وأعطيت الفرصة للموظفين الحكوميين للاكتتاب فيها على أن يتم تسديد قيمة الأسهم بالتقسيط حسما من الرواتب الشهرية.

الحصول على المياه في موطننا الجديد قصة كفاح أخرى.. تعرفنا على وظيفة جديدة اسمها (الرواية).. وهي امرأة سعودية من الدمام تتولى إمدادنا بالمياه يومياً من خلال وعاء مصنوع من الجلد يسمى «قربة»، تملأه عدة مرات حتى يمتلئ الوعاء الفخاري «الزير» الذي كنا نشرب منه، كانت المرأة تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل بحثاً عن الرزق.. تعمل في المهن الصعبة التي تتطلب مجهوداً كبيراً.. محاطة بعناية الله ثم قلوب طيبة تمثل أكبر سياج حماية لها.

جمع شقيقي الأكبر خالد كردي الذي قاد أسرتنا في الدمام بين روح الدعابة والشخصية الاجتماعية المحبوبة، فرض شخصيته على الجميع بأسلوبه اللطيف.. القريب من النفس، اجتماعي، مضياف، مغامر، حول بيته عندما كنا في الدمام إلى فندق لاستقبال أهل المدينة، يملك محل فواكه وخضراوات ويتقمص شخصية كبير أهل المدينة بالساحل الشرقي، يستضيف كل من يأتي للمرة الأولى، وبالطبع تدفع والدتي وزوجته الثمن، حيث تقومان بتجهيز الطعام وغرفة الضيوف دون تأفف، لكنهما كانا يفعلان ذلك دون أن تفارقهما ابتسامة الرضا، استضاف ذات مرة مهندساً زراعياً مصرياً كان يبحث عن سكن في الظهران، لم تربطنا به أي علاقة لكنه جلس في منزلنا أياماً وليالي حتى سافر إلى موطنه.

أفضل ما فعله خالد في بداية عمله بالدمام أنه اشترى قطعة أرض، لبى دعوة البلديات التي كانت في تلك الفترة تحث الناس للحصول على أراضي من أجل تطويرها وتعميرها في مقابل تكاليف بسيطة، استثمر خالد الأمر وحصل على قطعة أرض كبيرة، باع نصفها وبنى بيتنا على الجزء المتبقي، جلب البناء «عم حمزة» من المدينة المنورة ليتولى تشييد المنزل، رغم أن مواد البناء في المدينة كانت تختلف تماماً عنها في المنطقة الشرقية، حيث كانوا يستخدمون في موطننا الجديد الحجارة البحرية التي تستخرج من الخليج العربي، ويتم رصها بشكل فني مع استخدام الجبس الحجري للصقها ببعضها البعض.

نقل أهل المدينة المنورة وغيرهم من المدن الأخرى عاداتهم وتقاليدهم وبعض اختراعاتهم أيضاً إلى الدمام والظهران.. وكان لشقيقي خالد السبق في نقل زراعة الملوخية إلى هناك، حيث كان أول من جلب بذورها من المدينة المنورة، واتفق مع عدد من المتحمسين للفكرة على زراعتها في أماكن متعددة بعد أن ظنوا في البداية أنها نبات المواشي الشهير «البرسيم» وبعد أن تذوقوا طعمها كان رأيهم مختلفاً، وانتشرت الملوخية في أماكن كثيرة بالمنطقة الشرقية.

في المقابل.. كان أخي مالك يوسف كردي الذي يتردد علينا بشكل أسبوعي حيث يبعد عمله قليلاً عنا، صاحب فكر وعقل رزين، يقول كل كلمة بميزان، لديه مهارات عديدة في المهن الحرفية، النجارة، السباكة، التركيبات، فنان بطبعه في التعامل مع أي شيء، رغم أنه لم تتح له الفرصة في تنمية هذه المهارات، أما أخي كعب فقد كان يملك روح الفكاهة ومحبوباً كثيراً في الأسرة، يلتفون حوله ليسمعوا الحكايات الطريفة التي يذكرها.

حصان إبليس

بعد عام واحد من وصولنا.. بات الأستاذ زين العابدين توفيق أرناؤطي مدير المدرسة الوحيدة الموجودة في الجبيل نقطة تحول رئيسية في حياتي منذ أن عاودنا الاتصال به. مفكر وشاعر ومرب فاضل من أهالي المدينة المنورة الذين انتقلوا إلى المنطقة الشرقية.

توطدت علاقتنا بأسرته المكونة من زوجته وابنه خالد وابنته وداد. عرف أنني حصلت على شهادة الرابعة إبتدائي من المدرسة في المدينة. فدعاني إلى اللحاق بالصف الخامس الابتدائي. انتقلت إلى الجبيل التي كانت أحد الموانئ الرئيسية في المنطقة الشرقية وتتمتع بسمعة تجارية كبيرة. حيث تتواجد فيها المصالح الحكومية ومنها إدارة جمركية.. واشتهرت بوجود مجموعة من العائلات الكريمة التي شاركت في التنمية والبناء منها عائلة المعجل والسحيمي والخاطر وغيرهم.

وبقي الأستاذ زين العابدين توفيق أرناؤطي همزة الوصل بين الجميع ويحمل احترامهم وتقديرهم. حيث تخرج أغلب أبناء هذه العائلات من المدرسة التي يتولى إدارتها.

تيسرت الأمور قليلاً.. وكافأتني الأسرة بدراجة (سيكل) جلبت لي الكثير من المتاعب. فرغم شعوري بالتباهي والزهو حين أقود هذا الاختراع الجديد الذي لم يكن انتشر بشكل كاف في مقاطعة الظهران.. إلا أن الكثيرين كانوا ينظرون للدراجة بكثير من التوجس والريبة.. بل أطلق عليها البعض (حصان إبليس) على اعتبار أنها بدعة لم يسمعوا عنها من قبل.

احتج الأهالي كثيراً عندما ذهبت مرة ممتطياً الدراجة الهوائية خارج أسوار المدرسة. ولم يهدأوا إلا بعد أن تعهد لهم مدير المدرسة الأستاذ زين العابدين توفيق أرناؤطي. وكان رجلاً ذا احترام وتبجيل من كبار الشخصيات في الجبيل بعدم تكرار هذا الحدث الذي اعتبروه خروجاً عن التقاليد وخرقاً للعرف السائد. وتأسفت لما سببته له من إحراج.

ورغم التوجس والريبة التي أحاطت بالدراجة في تلك الفترة إلا أنها تحولت مع الوقت إلى وسيلة نقل نقضي بها الكثير من الاحتياجات. بل وسيلة مواصلات سريعة بديلة عن الجمل والحمار. استخدمت في نقل وإحضار الاحتياجات المنزلية واستخدمها موظفو البريد في إيصال وتوزيع الرسائل البريدية. واستخدمت أيضاً في نقل البضائع الخفيفة والمنتجات الزراعية للأسواق. وفي التنقلات إلى مكان العمل. ولقد أصبحت هذه الوسيلة مساندة عند كثير من الشعوب وهنا في المملكة صارت مقبولة تماماً.

ألقت حرب 1948م أوزارها واستولى الصهاينة على جزء كبير من فلسطين.. وتفاعل رجل العلم والفكر الاستاذ زين العابدين أرناؤطي مع أحداث الساعة. فقام بتأليف مسرحية عن فلسطين أسند لي خلالها تمثيل دور فلسطين ولم يكن عمري تجاوز الثانية عشرة. كنت أشدو خلال العرض بكلمات « أنا فلسطين.. أنا أولى القبلتين.. أنا ثالث الحرمين الشريفين.. مني عرج

بالنبي محمد إلى السماء» وكانت هناك حرب طاحنة في إحدى لوحات التمثيلية بين العرب والإسرائيليين، وحظيت المسرحية بحضور كبير يتقدمهم أمير الجبيل سعود الشويعر وكبار شخصيات البلدة مثل الشيخ عبد الرحمن السحيمي ومحمد بن علي الخاطر شيخ البوعينين وحمد وسعد المعجل، وقام بأدوار أخرى في التمثيلية تلاميذ آخرون منهم سليمان السحيمي وسعود الرقطان وعبد الرحمن المقبل حيث كانوا يرددون القصائد الحربية، كذلك حضر الحفل عدد من الأسر المتواجدة في الجبيل أو الأسر التي جاءت للحفل خصيصاً من الدمام وبينهم والدتي وأسرة شقيقي خالد (1).

كنا نعود إلى المدينة صيف كل عام تقريباً لنزور الأهل والأقارب ونشعر بلذة ذكريات الطفولة بالقرب من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، تطورت الأوضاع كثيراً وأصبحنا نسافر في طائرات برستول وهي أشبه بالطائرات الحربية لنقل الجنود.. لا تحتوي على تجهيزات كبيرة، لكنها كانت تمثل بالنسبة لنا اختراعاً عبقرياً غير مسبوق، وفي الدمام أيضاً بدأنا نذهب إلى بعض المتنزهات مع الأصدقاء منها شاطئ نصف القمر المطل على الخليج العربي.

المؤلف في منزل أسرته بالدمام مع زميله عبد العزيز هنيدي وأحد اصدقائه

المؤلف وزميل العمل محمد حمزة بالمنطقة الشرقية

(1) المعلومات عن أسر وشخصيات الجبيل مصدرها الأخ سليمان عبد الرحمن السحيمي.. فشكراً له

زيارة الملك سعود

بدأت الدولة السعودية الفتية حركة تنموية واسعة في جميع مناطق المملكة، شرعت في تمهيد الطرق والجسور وإنشاء البنية الأساسية والخدمات العامة، وتزايدت مراحل التعمير مع بدء ضخ النفط، وفي ظل التواجد اللافت لشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) وهو اسمها في تلك الأيام قبل أن تصبح شركة أرامكو السعودية.. التي لعبت دوراً مفصلياً في النهضة التي شهدتها المنطقة.

استقبلت الدمام في هذه الأثناء الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ الذي كان وقتها ولياً للعهد بعد أن صدر مرسوم من الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود بذلك منذ عام 1933م، برز دور الأمير الشاب في عدد كبير من المشاريع التعليمية والاقتصادية والثقافية، أقام أهل الدمام احتفالية كبيرة لسموه لدى افتتاحه بعض المشاريع وإطلاعه عن كثب على سير المصالح الحكومية، وعند حضورنا احتفالية ولي العهد.. ألقى الأستاذ زين العابدين أرناؤطي قصيدة شعرية رائعة صفق لها الحاضرون كثيراً، هنأه خلالها على سلامة نجاح العملية الجراحية البسيطة التي أجراها جلالته في أذنه قبل وصوله للدمام.

ظلت مدرسة الجبيل مركزاً للإشعاع في المنطقة كلها.. لكنني لم أستمر بها سوى عام واحد فقط، أكملت الصف الخامس الابتدائي فقط، ومن سوء حظي تم نقل الأستاذ زين العابدين للعمل في وزارة الدفاع بالرياض، وبالتالي عادت أدراجي إلى الدمام، فقد كان مشواري متعلقاً بالرجل الذي يرتبط بعلاقة صداقة قوية مع عائلتنا.

بدأت أتطلع إلى اللحاق بإخواني في العمل.. وتهيأت الفرصة الأولى قبل أن أكمل عامي الرابع عشر في أمانة الجمارك التي كانت إحدى الجهات الجاذبة في ذلك الوقت، عملت بمهنة «ملازم خارج الملاك» في أمانة المنطقة الشرقية التي كان على رأس الهرم الوظيفي بها الشيخ طه حسن ضليمي، تتبع المديرية العامة لمصلحة الجمارك في جدة ، كنا نعرف بعضنا نظرا لصغر حجم أمانة الجمارك،وبدأت سنوات خدمتي الحكومية تحتسب بعد أن أكملت 18 عاماً.

لازلت أتذكر تفاصيل تلك اللحظة السعيدة والمهمة في حياتي.. في صيف عام 1953هـ والأوضاع في عز اشتعالها بالعالم العربي والأحداث السياسية والاجتماعية تتصاعد.. كنت مشغولاً أنا بمشروعي الخاص والعمل الذي أتلمس خطواته الأولى في الجمارك، وتسلمت في نهاية شهر يونيو من هذا العام أول راتب في حياتي والذي كان (220) ريالاً فقط، جاءت بعد 6 أشهر من العمل بدون راتب.

شعرت بكثير من العزة والكبرياء عندما وجدت الاهتمام والتقدير في عملي الأول

زيارة الملك سعود للمنطقة الشرقية

استقبال شعبي حافل للملك سعود

البحرين كانت منطقة جذب رائعة

بالجمارك.. ومن جهة أخرى ونظراً لأنني أصبحت ذا دخل شهري بدأت أساهم بفاعلية في نفقات معيشتنا في الدمام بعد أن تسلمت أول راتب. وبدأت الأسرة تتكيف مع صعوبة الحياة خلال الفترة الأولى لوصولنا إلى الدمام. خصوصاً أننا كنا نستيقظ في بعض الأيام فلا نستطيع الخروج من منازلنا بسبب الزوابع والعواصف الرملية وكمية الأتربة والرمال المتكدسة على أبواب المنزل.. لكن مع قدوم الكثير من أهلنا في المدينة المنورة ومكة المكرمة وجدة. بدأنا ننخرط في نشاطات عديدة. ونمارس حياتنا بشكل اعتيادي خصوصاً مع انتظامي في العمل بالجمارك صباحاً والدراسة مساءً والتركيز بشكل كبير على بناء اللبنات الأولى في مستقبلي.

يا لها من فرحة ممزوجة بالتعب عندما نحمل رواتبنا نهاية كل شهر الذي نحصل عليه بالريالات الفضة. نتسلمه في كيس قماشي سميك وثقيل. ونذهب إلى البيت ونحن نحمل هذه " الصرة" التي تمثل بشرى سعيدة لكل أفراد الأسرة. وفي أحد الشهور كانت هناك مكرمة ملكية حصلنا خلالها على الراتب جنيهات ذهب.

نسافر في الأعياد إلى البحرين التي كانت تقع تحت الاحتلال البريطاني. وتمثل نقطة جذب رائعة في المنطقة. نعتبرها باريس الخليج لما تملكه من مبان رائعة وفنادق وأماكن للتنزه. ننطلق عبر المراكب الشراعية لمدة ساعتين أو ثلاثة ونجلس هناك عدة أيام. ندخل السينما أو المسرح ونجلس على المقاهي ثم نتجول في مناطق التنزه. دخلت السينما لأول مرة في حياتي هناك وشاهدت فيلم «لحن الخلود» لفريد الأطرش وفاتن حمامة. كانت تتوفر هناك السينما الداخلية والسينما الصيفية المفتوحة. حيث لعب الإنجليز دوراً كبيراً في جعلها إمارة سياحية فريدة. كونت أسرتنا صداقات عديدة مع أسر وعائلات بحرينية. البعض يستضيفنا لدى زيارتنا إلى هناك. يتميزون بالطيبة والأصالة والكرم.

شاءت الأقدار أن يتواجد في نفس المكتب الذي أعمل به في الجمارك زميلي عثمان الخويطر الذي لم يكمل هو الآخر تعليمه. شجعني على أن نكمل مراحل الدراسة سوياً عن طريق الانتساب. وبالفعل حصلنا على كتب الصف السادس الابتدائي من الإحساء. واستعنا بمعلم يلخص لنا المناهج في المنزل. وعند الاختبارات نذهب سوياً إلى الإحساء عبر القطار الذي كان بدأ العمل رسمياً. حصلت على شهادة الابتدائية. ثم الأول والثاني والثالث المتوسط. أما الزميل عثمان الخويطر فقد ترك المنطقة الشرقية. وعاد إلى صفوف الدراسة في عنيزة ثم حصل على ابتعاث لدراسة هندسة البترول في أمريكا. وعمل في أرامكو ثم أصبح نائباً للرئيس في نفس الشركة وتقاعد قبل سنوات.

وفيما بعد انضم إلينا أحد الأصدقاء وهو عبد المحسن بشاوري الذي يعمل بالسكة الحديد مع بداية الوصول إلى المرحلة الثانوية. وأكملت الدراسة حتى الثانية ثانوي.. وبعدها توقفت إجبارياً بسبب السفر إلى بيروت لدراسة الإحصاء.

تشكلت اهتماماتي وعشقت الشعر والأدب بتشجيع من معلمي الأستاذ محمد

إبراهيم الدسوقي وعبدالله العليان وشخص غير معروف والمؤلف (وقوفاً) والشيخ حمد المبارك وعبد الله الضبيب وسليمان الحميدي

المؤلف وزميل الدراسة عبد العزيز محمد هنيدي (الفريق لاحقا)

الجمل، وظهرت بعض المحاولات البسيطة في القصة والشعر وغيرها من الفنون الأدبية، ورافقت في تلك الفترة الزميل عبد العزيز محمد هنيدي.. الأديب والشاعر والمثقف الذي كان يكتب أشعاره بالعربية والإنجليزية، جمعتنا أمانة جمارك الدمام وعملنا في نفس الادارة قبل أن يشق طريقه في اتجاه مختلف ويتجه إلى الطيران، وينتهي به المطاف قائداً للقوات الجوية الملكية السعودية، ثم رئيساً للجمعية السعودية للمتقاعدين.

طريق الموت

المؤلف (يسار) وأصدقاؤه على ضفاف شط العرب

مغامرات الشباب لا تنتهي، لكن بعضها يبقى محفوراً في الأعماق سنوات طويلة، رحلتي إلى البصرة واحدة من تلك المغامرات المحفوفة بالمخاطر، قررنا أن نسافر من الدمام.. مروراً بالجبيل ورأس المشعاب عبر الحدود مع الكويت لنجلس يوماً ثم ننتقل إلى البصرة نشاهد شط العرب وعدداً من المعالم الأثرية والتاريخية، رأينا الموت خلال الرحلة، ذهبنا على متن سيارة مملوكة لأحد الأصدقاء الذي رافقنا في الرحلة، لم تكن هناك معالم واضحة أو طرق ممهدة بالشكل المطلوب، نتبع آثار إطارات السيارات على الطريق الصحراوي، نسأل بعض الأشخاص ونجتهد في أحيان كثيرة من أجل إكمال مشوارنا بالشكل الصحيح.

انتهت المياه التي نحملها معنا.. جلسنا ساعات طويلة نعاني من العطش والجوع، وارتفعت حرارة السيارة وواجهنا مشكلة كبيرة في مواصلة الرحلة، إلى أن وصلت بالصدفة سيارة دفع رباعي يقودها أحد موظفي شركة أرامكو، زودتنا بالمياه وساعدتنا على إصلاح السيارة وأنقذتنا من الحالة الصعبة التي عشناها لنواصل السير، وقبلها رأيت مع أحد زملائي خيمة تلوح من بعيد، جرينا في اتجاهها لكنها كانت تبتعد أكثر، اكتشفنا أننا نطارد السراب، وعرفت للمرة الأولى ظاهرة السراب الذي يظهر بسبب اختلاف درجات الحرارة على طبقات الأرض والظروف المناخية.

عبرنا إلى البصرة ببطاقة الهوية، جلسنا 4 أيام، شاهدنا شط العرب والمناطق الأثرية

والسياحية هناك، فكرنا في إكمال الرحلة إلى العاصمة العراقية بغداد، لكننا تراجعنا عن الفكرة في آخر لحظة، خشية تكرار مأساتنا مع طريق الموت من الدمام إلى البصرة، ورغبة في العودة للأهل، وكنا اكتسبنا الكثير من الخبرات التي سهلت لنا طريق العودة.

تفاعلت كثيراً مع الأفكار الجديدة والمتغيرات التي سيطرت على العالم العربي في تلك الفترة، حضر البكباشي محمد أنور السادات لزيارة المملكة عام 1954م، وكان وقتها عضواً في مجلس قيادة الثورة الجديدة التي انطلقت في مصر قبلها بعامين، جاء برفقته البكباشي خالد محيي الدين، وكنت بين الذين استقبلوهما مع مجموعة من الشباب، وبدأت تظهر ملامح تأثير كبيرة على المجتمع للتفاعل عما يجري في العالم العربي.

وعلى الصعيد المحلي تولى الملك سعود بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ الحكم بعد وفاة والده الملك عبد العزيز في 2 ربيع الأول 1373 هـ الموافق 9 نوفمبر 1953 ، وبويع ملكاً في 4 ربيع الأول 1373 هـ الموافق 11 نوفمبر1953 ، وبدأ جولة واسعة على جميع مناطق المملكة، دشن الكثير من المدارس والمؤسسات الحكومية لتعزيز مكانة الدولة السعودية، وسط حركة تطوير عملاقة انتشرت

شط العرب

البصرة في الخمسينيات

في جميع مدن ومناطق المملكة.

أقدمت المنطقة الشرقية على نمو كبير.. انتشرت الكهرباء وتم سفلتة الشوارع وإضاءتها، وصارت المياه متوفرة في المنازل، وتم إلغاء فكرة الآبار الارتوازية التي دأب البعض على حفرها، وتم إنشاء شبكة مياه متكاملة تصل كل البيوت وامتدت البنية الأساسية في أرجائها.

واكبت هذا التطور على الصعيد الشخصي.. تابعت كل جديد في عالم الكتب والمجلات والصحف، أذهب إلى مكتبة بايزيد في شارع الملك سعود بالدمام، في انتظار وصول المجلات المصرية التي تصل بشكل أسبوعي ومنها «المصور، روز اليوسف، آخر ساعة، البعكوكة»، وشاركت في النادي الأدبي الذي أنشأ في تلك الفترة، نتذوق الشعر ونقرأ القصص والروايات ونتابع كل جديد، ولمع في تلك الفترة الشاعر عبد السلام محمد العمري، وهو نفس الشخص الذي كان يتحدث مع والدي ـ يرحمه الله ـ ويقترح عليه بيع مزرعة الكردية بالمدينة، والده كان شيخ الروضة في الحرم النبوي الشريف، مثقف، شاعر، وخطيب متمكن.

انتشرت في تلك الفترة صحيفة «أخبار الظهران» التي استقطبت الشعراء والأدباء والمثقفين، وصار رئيس تحريرها الأستاذ عبد الكريم الجهيمان، وتغير اسمها مع الوقت إلى «اليوم» الحالية التي ورثت التاريخ الصحفي للمنطقة الشرقية، وكانت هناك مجلة «قافلة الزيت» التي تصدرها أرامكو وهي من المجلات الثقافية والعلمية الراقية، لها مكانتها الكبيرة في قلوب المثقفين، كانت تصل إلى العنوان مجاناً بمجرد الاشتراك فيها.. وحتى الآن مازلت حريصاً على اقتنائها وقراءتها.

ظهرت الإذاعة ثم تبعها التلفزيون الذي سمي بـ » تلفزيون الظهران» وهو أعجوبة ذلك الزمن، يسافر الناس من الرياض إلى المنطقة الشرقية خصيصاً لمشاهدة تلفزيون أرامكو وهو يعرض الأفلام الأجنبية جرى تطعيمها فيما بعد بأفلام عربية، وبدأ الإرسال يمتد لمناطق عديدة في الشرقية، ساهم ذلك في الكثير من الانفتاح وتلاقح الأفكار والتعرف على ثقافات مختلفة.

أشهر إذاعات تلك الفترة «إذاعة لندن» التي كانت تمثل مصدراً موثوقاً للأخبار، عندما يتجادل اثنان على أمر أو خبر أو معلومة، ينهي أحدهما النقاش بالضربة القانونية بكلمة واحدة فقط.. سمعت ذلك في إذاعة لندن، بينما كنا بدأنا نلتقط الإذاعات العراقية «هنا بغداد» التي تبث الأغاني وأشهرها للمطرب حضيري أبو عزيز الذي كان يتمتع وقتها بشهرة واسعة بين شباب المنطقة الشرقية والبحرين.

ظلت علاقتنا الأسرية وثيقة وقوية طوال فترة تواجدنا في الدمام، وذهب الشقيقان مالك وكعب إلى المدينة المنورة من أجل الزواج، لكنهما اصطدما برفض بعض العائلات ابتعاد بناتهن عن المدينة، الأمر الذي دفعهما للسفر إلى الأردن، حيث كان أحد أقاربنا وهو الشيخ عبد الله كردي يعيش في عمان، وبالفعل أراد الله أن يتزوج الاثنان من هناك بمساعدته.

المؤلف وزميله عبد المحسن أبو عائشة بالقاهرة

هنا القاهرة

زياراتي المتعددة مع الأسرة أو الأصدقاء للبحرين واتساع مداركي وتنوع مصادر ثقافتي بالتواكب مع زيادة دخلي واستقلالي المالي بشكل كبير.. جعلني أفكر في أول رحلة خارجية مع الأصدقاء. أقنعت أخي خالد بصعوبة ولم يوافق إلا بعد أن اطمأن علي بمعرفة من سيكونون معي في الرحلة. ركبت الطائرة في صيف عام 1954م واتجهت إلى منارة العلم والثقافة والتنوير في تلك الفترة بيروت. لكن بعد أيام قليلة اكتشفت أن أغلب أصدقائي اتجهوا إلى القاهرة.. غيرت مسار رحلتي وذهبت للمرة الأولى إلى مدينة الألف مئذنة.

أبهرتني تلك المدينة التي تردد اسمها في مسامعي كثيراً. فقد كانت مصدراً أساسياً لكل الأحداث والأخبار. قرأت الكثير عن تاريخها منذ أن فتحها القائد المعز لدين الله بعد أن أسس الدولة الفاطمية. وعندما قام جوهر الصقلي سنة 358 هـ (969 م) ببناء سور حول العاصمة أسماها القاهرة. بالإضافة إلى الأحياء التي طرأت عليها بعد عهد صلاح الدين الأيوبي وحتى الآن.

المؤلف في قناة السويس بمصر عام ١٩٥٧)

مجموعة من الأصدقاء في إحدى المناسبات بالقاهرة عام ١٩٥٧

شعرت بعراقة ومكانة العاصمة المصرية التي تعتبر الأكثر ازدحاما بالسكان في أفريقيا والشرق الأوسط. زرت في رحلتي الأولى إليها العديد من معالمها السياحية. جلست في مقهى بميدان ابراهيم باشا (ميدان الأوبرا) قريباً من سور الأزبكية. ومررت مع أصدقائي في ميدان التحرير أشهر ميادينها بالقرب من المبنى التاريخي لجامعة الدول العربية. التقطنا صوراً عديدة أمام نافورة ميدان التحرير. تفاعلت وأصدقائي في الرحلة عبد الرحمن الجعفري وعبد المحسن أبو عائشة وعمر حكيم وعمران العمران. وتقابلنا مع الطلبة السعوديين الذين يدرسون في القاهرة ومنهم الأخ سليمان الجبهمان وعبد الرحمن أبو العلا مع أجوائها الثقافية فذهبنا إلى المكتبات الشهيرة التي تضم أمهات الكتب. ووقفنا عند سور الأزبكية المعروف نبحث عن الكتب النادرة ونقرأ الصحف التي كانت في تلك الفترة تشهد تطوراً كبيراً وتجمع كل الكتاب والمفكرين.

فتحت الرحلة التي استمرت ثلاثة أسابيع عيوني على الكثير من الأفكار والثقافات.. حيث كانت مصر منذ عقود عديدة نقطة جذب في الثقافة والفنون والآداب للمنطقة بأثرها. وربما يكون ذلك

في مقهى بميدان إبراهيم باشا بالقاهرة عام ١٩٥٧

مع زميلي عمر حكيم في ميدان التحرير بالقاهرة أكتوبر ١٩٥٧

مع عبد الرحمن الجعفري في أحد مصايف لبنان

سبباً لرغبتي فيما بعد في إكمال دراستي والحصول على الماجستير. شعرت بقيمة ومكانة العلم والدراسة. فقد تعرفت على الكثير من الطلبة السعوديين الذين كانوا يدرسون وقتها هناك.

عدت إلى الدمام أحمل الكثير من الذكريات والحكايات الجميلة.. كنا نجتمع مرة في الشهر للاستماع إلى حفل أم كلثوم الشهير في منزل أحد الأصدقاء. نلتف حول الراديو. نجهز البطاريات وراديو آخر احتياطي. ويتم تجهيز الطعام وترتيب الجلسة لهذا الحفل الشهري. نشعر بحالة من النشوة والسعادة ونحن نردد مع الست «هو صحيح الهوى غلاب ما أعرفش أنا.. والهجر قالوا مرار وعذاب واليوم بسنة.. جاني الهوى من غير مواعيد وكل مادا حلاوته تزيد ما أحسبش يوم ح يأخدني بعيد».

عشقت أيضاً صوت المطربة فيروز الحالم واحتفظت بعدد كبير من اسطواناتها الكبيرة. وبدأنا نسمع إلى المطرب والموسيقار محمد عبد الوهاب وصاحب الصوت الشجي فريد الأطرش. ثم الجيل الجديد الذي تزعمه عبد الحليم حافظ. كنت أتذوق أيضا الفن التشكيلي وأميل إلى تمييز اللوحات. وأتابع الكثير من الفنون.

المؤلف مع بعض الطلبة السعوديين في القاهرة بشقة سليمان الجبهان الثاني من اليمين

المؤلف وزميله محمد صديقي في لبنان

فريق الاتفاق

فريق الاتفاق ويظهر المؤلف الثالث من اليسار وقوفا

شعرت وغيري من الشباب أن العمل والدراسة لا يكفيان لاستهلاك الطاقة الكبيرة التي تسكن بداخلنا، بدأت البحث عن نشاطات رياضية، مع ظهور تباشير أول فريق في المنطقة الشرقية وهو فريق (التعاون) الذي تحول فيما بعد إلى (الاتفاق)، أسسه الشيخ محمد جميل غلام الموظف في الجمارك، وكنا نسميه «شيخ» لأن والده شيخ حارة بالمدينة المنورة، ضم الفريق بين صفوفه الشباب الذين جاؤوا من طيبة للعمل في المنطقة الشرقية، انضم شقيقاي مالك وكعب وزميلنا إبراهيم أبو غرارة وعبد الله العليان وكان الأخير من أبرز اللاعبين، ننتظر البواخر الأجنبية وبها بعض الفرق لنخوض معها مباريات حماسية وتنافسية مثيرة.

لعبت في فريق التعاون بينما كان بعض الزملاء يلعبون في فريقي الشعب والاتفاق، وأبدت جماهير الشرقية إعجابها الكبير بالأندية الثلاثة مما دفع المسؤولين عنها لدمجها باقتراح من فارس الحامد تحت اسم الاتفاق، واختاروا اللونين الأخضر والأبيض كشعار له، ومن ثم تغير إلى الأخضر والأبيض، وضم مجلس إدارته الأول إضافة إلى محمد جميل غلام

وفارس الحمد (نائب الرئيس) 5 أشخاص آخرين هم عبد الله بوبشيت الذي اختير أول رئيس للنادي وعلي صالح الغامدي وعبد الله بن حسين وصالح عبد الله بوكلاب ومحمد الجريان.. وسرعان ما عكس فريق الاتفاق طموحات وإصرار شباب الدمام، فانتقل الفريق من نصر إلى آخر مما زاد شعبيته وأصبح في مكان الصدارة ليس في الدمام وحدها بل كان سفيرها الكروي وممثلها على منصات التتويج في المملكة.

لعبت في الفريق الأول لعام واحد كقلب هجوم.. وعاصرت عدداً من النجوم في تلك الفترة منهم عبد الله العليان وهو موظف في الجمارك، محمد الجعفري، إبراهيم عبد العزيز الدوسري (الفصمة) وهو لاعب مبدع عرف بالمهارة والتهديف وكان أبرز نجوم جيله، إضافة إلى أخيه محمد الفصمة، أحمد بك، علي راشد البنعلي، سعد مخيمر، محمد جمال، حسن الجيب، محمد البنعلي، سيف مخيمر، هميم سعد، علاوة على السوداني محمد زايد الذي كان يقوم بدور اللاعب والمدرب، ندفع من جيوبنا من أجل التدريب وشراء الملابس وخوض المباريات، نلعب على أرض فضاء ترابية أو مالحة، ونذهب إلى ماسورة مياه قريبة من بئر ارتوازي لنشرب المياه.. وأحياناً نكتفي باللعب في الحارة على ضوء القمر.

تخصصت في مشواري الكروي في الهجوم.. رغم أنني كنت مشغولاً طوال حياتي في الحياة العملية بعيداً عن كرة القدم التي لم يكن بها أي شيء يغريني للاستمرار، وبالفعل لم أستمر كثيراً وسرعان ما تركت الفريق الاتفاقي عندما أتيحت لي فرصة الابتعاث لدراسة الإحصاء في لبنان.. وتلك قصة أخرى، لكن عاطفتي وتشجيعي تجاه فريق الاتفاق استمرت حتى الآن.

على الجهة المقابلة.. كانت أرامكو تلعب دوراً تطويرياً وتنويرياً في الحياة بالمنطقة الشرقية.. حتى في كرة القدم كان لها دورها الريادي، فقد كانت الوحيدة التي تملك

ملاعب كرة قدم مزروعة ومجهزة، نركب في سيارات مكشوفة من الدمام إلى الظهران ونأخذ معنا بطانيات نواجه بها لسعات البرد التي تواجهنا في الطريق، نذهب إلى (كمب) العمال، وهو ثالث الأقسام من حيث المستوى، بعد قسم الموظفين الأمريكان الذي يضم ملاعب كرة القدم الأمريكية وبولينج وملاعب متنوعة، وقسم الموظفين المتوسطين ويضم ملاعب أفضل حالاً من التي نذهب لها في قسم العمال.

لم يتوقف الدور الطليعي لأرامكو في تلك الفترة على ملاعب كرة القدم فقط.. بل كان لها الريادة في مجالات عديدة خصوصاً فيما يتعلق بالتعليم والتأهيل والتدريب وخدمة المجتمع، قامت ببناء المدارس، والتي التحق بها محمد ابن أخي عبد الله، وعصام ابن أخي خالد، فكانت مدارس نموذجية بكل ما تعنيه الكلمة، بدليل بقائها حتى الآن رغم مضي أكثر من 60 عاماً عليها، واللافت أن هذه المدارس إضافة إلى الملاعب والمسارح تميزت بوجود مراوح التهوية مع بداية ظهورها، شيدت الشركة العريقة المستشفيات وفتحتها للجميع، ابتعثت مجموعة من الشباب الذين أثروا الحياة الاقتصادية والثقافية، وبينهم الاقتصادي الكبير الشيخ سليمان العليان ـ يرحمه الله ـ، والشيخ عبد الهادي القحطاني وعبدالفتاح كابلي وصالح الصوبغ وغيرهم، وأتاحت المجالات الواسعة لكثير من الرجالات والعاملين لديها للتطوير الثقافي والعلمي والبدء في أعمال ونشاطات اقتصادية بدعم مباشر منها.

غرست الشركة العملاقة في نفوس الجميع الانضباط، كان الدخول إليها أمراً ليس بالهين، يتم التحقق من الهوية ومعرفة سبب الزيارة وغيرها من الإجراءات التي جعلت الجميع يشعرون بأهمية المكان وقيمة الوقت وضرورة الحزم والانضباط، بل إنها أول من أوجدت نظاماً للمرور في تلك الفترة بالدمام خصوصاً في الأماكن المحيطة بها، كانت لي علاقات وثيقة مع الزملاء الذين يعملون داخل الشركة، نذهب إليهم للحصول على المواد التموينية التي قد لا نجدها في المحلات المنتشرة في الدمام، ندخل المطاعم لتناول أنواع لذيذة من الطعام، وأذكر أنني شاهدت المشروبات الغازية لأول مرة في حياتي داخل الشركة في الظهران.

وكانت شركة أرامكو رائدة في توظيف الطلبة الذين يدرسون خارج المملكة أثناء عطلة الصيف وأذكر العديد منهم، أمثال الدكتور رضا عبيد وأخيه الدكتور طالب عبيد وسليمان الجبهان ومحمد شرارة وآخرون.

إضاءات

- علمني المثقف والمفكر أحمد عبيد أول وأهم الدروس في حياتي العملية قبل أن أكمل العاشرة.. عرفت أن المسؤول الناجح لا يكتفي بجلب العناصر ووضعها على رأس العمل، بل عليه أن يحفزها ويحافظ عليها.
- كانت المرأة تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل بحثاً عن الرزق.. تعمل في المهن الصعبة التي تتطلب مجهوداً كبيراً.. محاطة بعناية الله ثم قلوب طيبة تمثل أكبر سياج حماية لها.
- نقل أهل المدينة المنورة وغيرهم من المدن الأخرى عاداتهم وتقاليدهم وبعض اختراعاتهم أيضاً إلى الدمام والظهران.. وكان لشقيقي خالد السبق في نقل الملوخية إلى هناك.
- لم يكن عمري تجاوز الثانية عشرة، عندما كنت أشدو بكلمات «أنا فلسطين.. أنا أولى القبلتين.. أنا ثالث الحرمين الشريفين» في العرض المسرحي الذي قدمناه بعد حرب ١٩٤٨م في مدينة الجبيل.
- والأوضاع في عز اشتعالها بالعالم العربي، كنت مشغولاً بمشروعي الخاص والعمل الذي أتلمس خطواته، تسلمت (٢٢٠) ريال كأول راتب في حياتي بعد ٦ أشهر من العمل بدون راتب.
- بدأت الدولة السعودية الفتية حركة تنموية واسعة، شرعت في تمهيد الطرق والجسور وإنشاء البنية الأساسية والخدمات، وتزايدت مراحل التعمير مع بدء ضخ النفط، واستقبلت الدمام ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز الذي لعب دوراً كبيراً في تسريع المشاريع.
- تفاعلت كثيراً مع الأفكار والمتغيرات الجديدة.. شاركت في استقبال البكباشي محمد أنور السادات عام ١٩٥٤ م، وكان وقتها عضواً في مجلس قيادة الثورة الجديدة التي انطلقت في مصر قبلها بعامين.
- ظهرت الإذاعة ثم تبعها التلفزيون الذي كان أعجوبة ذلك الزمن، يسافر الناس من الرياض إلى الشرقية خصيصاً لمشاهدة تلفزيون أرامكو وهو يعرض الأفلام الأجنبية والعربية.
- عشقت صوت فيروز الحالم واحتفظت بعدد كبير من اسطواناتها، وكنا نجتمع مرة في الشهر للاستماع إلى حفل أم كلثوم الشهير في منزل أحد الأصدقاء.
- خضت عدداً من المباريات كلاعب كرة قدم في فريق التعاون الذي تحول إلى الاتفاق.. كنا ندفع من جيوبنا للتدريب وشراء الملابس وخوض المباريات، نلعب على أرض فضاء ترابية أو مالحة، وأحياناً على ضوء القمر.
- تخصصت في مشواري الكروي في مركز قلب الهجوم.. رغم أنني كنت مشغولاً طوال حياتي في بناء مستقبل لي ولأولادي.

الفصل الرابع

منعطف بيروت

وانطلاقة جدة

سحر بيروت

على عتبة العشـــرين تتفتح براعـم الورد.. تتحول الحكايات إلى قصص وردية.. تصبح الحياة أكثر تفاؤلاً وإقبالاً، تكبر الأحلام وتهاجر بعيداً في مواســم الاغتراب، تتناثر الكلمات لتشــكل هويــة مفقودة وتصبح أحرفــاً تخط بدماء القلب وكبرت أحلامــي وتطلعاتي، أقترح عليَّ أحد المدراء المسؤولين في وزارة المالية وهو الأستاذ يوسف أديب الأعمى أن أتقدم للالتحاق بدورة في الإحصاء في بيروت أنا وزميلي في الدراسة الأخ محمد محمود الصديقي عبر القنوات الرسمية للانضمــام إلى الدورة التدريبية في المركز الدولي لتعليم الإحصاء بالعاصمة اللبنانية بيروت، وقبل أن انتهي من عملي يوم الخميس الســادس من نوفمبر 1958م، كنت أتلقى برقية رسمية من الشيخ حمد المبارك مدير عام جمارك المنطقة الشرقية في ذلك الوقت، تحمل إليّ تباشير الفرح بالموافقة على طلبي وتحثني على الاستعداد للسفر في اليوم التالي.

(24) ساعة فقط كانت تفصل بين إخباري بقرار وزارة المالية بالموافقة على سفري للانضمام على عجالة للدورة الســابعة في المركز الدولي للإحصاء في بيروت مع صرف 600 ليرة لبنانية بدل ملابس لمرة واحدة و350 ليرة كمصاريف إعاشة شهرية ونصف راتب شهري يودع لعائلتي، وبين ســفري إلى هناك مســاء الجمعة على متن طائرة الخطوط الســعودية، ضحيت بدراستي واضطــررت للتوقف عاماً كامــلاً مقابل الحصول علــى البعثة، لكنني لم أشــعر بالندم فقد اكتســبت خبــرات كبيرة ومعلومات جديدة لم تكن متاحة لي، ســاهمت فــي تعزيز مكانتي بعملي الحكومي في الجمارك وفتحت لي أبواباً كثيرة في المستقبل.

حملت حقائبي وسافرت مع زميلي محمد محمود الصديقي الذي كان يعمل في مصلحة الزكاة والدخل ويســكن بالقرب منا، لم تعارض الأســرة قراري ورحبت الوالدة به كثيراً بعد أن حصلت على مناعة كبيرة عندما تركنا موطن رأســها في المدينــة وذهبنا للدمام، بات كل ما يشــغلها سعادة ورقي أبنائها، وعندما شــعرت بالفرحة الكبيرة ترتسم على تفاصيل وجهي كانت أول المباركين.

ومع الخطوات الأولى في لبنان شــعرنا بجاذبية كبيرة نحو هذا البلد الجميل الذي يمثل منارة للعلم والثقافة والحرية في تلك الفترة، سجلنا أوراقنا في اليوم التالي بمجرد وصولنا، وأرسلنا برقية رســمية لجهة عملنا لنؤكد جديتنا، كانت بيروت مدينة ســاحرة تخطف أحلامك وتزرع في حناياك الدهشــة، تجمع ســحر الصفات من الشــرق والغرب، مدينة الحلم الجميل المدينة البهية سيدة الليل والنهار التي لا تنام وتعد بأجمل الأوقات، تضمك بذراعين مفتوحين وترحاب يملــؤك حبوراً، تقــدم لزائريها كماً من الفرح والأصالة والتراث، بيروت الجميلة تحتويك وتأســرك في لحظة واحدة.

سيطر الطابع الفرنسي على بيروت.. رغم أننا ذهبنا إليها بعد 12 عاماً من إعلان استقلالها

صورة التخرج من معهد الإحصاء مع زملاء الدراسة في بيروت

المؤلف (يسار) وصديقه محمد الصديقي في بيروت

(المؤلف واثنان من زملائه أمام أحد المساجد في اسطنبول عام ١٩٥٩م

موافقة وزارة المالية على دورة الإحصاء في بيروت

انتداب المؤلف لعمل إحصاء على المؤسسات الاقتصادية

وانسحاب القوات الفرنسية منها عام 1946م لكننا كنا نرى فيها باريس الشرق كما يسمونها.. أو كما وصفتها فيروز في أغانيها:

(وطني يا جبل الغيم الأزرق
وطني يا قمر الندي و الزنبق
يا بيوت البيحبونا يا تراب اللي سبقونا
يا زغير و وسع الدنيي يا وطني
و طني يا دهب الزمان الضايع
وطني من برق القصايد طالع
أنا على بابك قصيدي كتبتها الريح العنيدي
أنا حجرة أنا سوسني يا وطني)

استوعبت في هذه الفترة وجود عالم آخر.. ثقافات متغيرة.. وتكيفت مع المتغيرات وشعرت بتقدير واحترام لها.. عبر مدير مركز الإحصاء الدولي عن تقديره لي ولزميلي محمد، وأشاد كثيراً بانتظامنا وحرصنا على الدراسة والاستفادة من كل أوقاتنا، تعرفنا على ثقافات عديدة حيث كان لنا زملاء من لبنان ومصر والأردن والسودان ودول عديدة، كنا نتفاعل بشكل كبير خلال الشهور الستة للدراسة مع الأحداث الثقافية التي تشهدها عاصمة النور بيروت، ننهل من الكتب التي تصدر هناك بشكل مكثف، نتعرف على الشعراء والأدباء والمثقفين.. وترنو مسامعنا في المساء بأغاني فيروز.

قررت أن وزميلي محمد الصديقي استئجار شقة سكنية فوجدناها، لكنها كانت كبيرة وإيجارها يفوق قدراتنا المالية، وخلال يومين تم الاتفاق مع أربعة زملاء

دراسة، اثنان من الأردن واثنان من السودان، فتجمعت ثلاث جنسيات عربية، عشنا سوياً لمدة ستة أشهر بمنتهى الوئام والتوافق، واستعنا بسيدة لإعداد الطعام وتقاسم المصاريف، وكانت مسؤوليتي الإمساك بالخزينة والصرف، ولم تكن تلك المسؤولية صعبة علي فقد زاولتها في السفرات السابقة إلى مصر ولبنان مع أصدقاء آخرين.

وكانت الشقة واسعة وتستوعب صالتها من 20 ـ 30 شخصاً في بعض المناسبات، وكنا نقيم حفلات سمر يتولى الزميل محمد قنديل (سوداني) الدندنة والغناء لمشاهير المطربين في ذلك الوقت وكذا الأغاني السودانية ومنها "البانبو السوداني"، وأذكر أن جاء شقيقي خالد لزيارتنا في بيروت وأقمنا حفلة خاصة له.

جاءت فترة الابتعاث عامرة بالأحداث والتأثيرات رغم أنها لم تستمر أكثر من سبعة أشهر، قمنا بعدة رحلات إلى مناطق عديدة في لبنان، ورتبت إدارة المعهد الدولي للإحصاء زيارة هامة ونادرة لنا، تشرفنا خلالها بلقاء فخامة الرئيس السوري الأسبق شكري القوتلي في دمشق، وهو شخصية توقف عندها التاريخ كثيراً، حيث وصل إلى سدة الرئاسة عام 1943م؛ واستطاع الفوز بمنصب الرئاسة مجدداً عام 1955م، نالت سوريا في عهده استقلالها التام، وعرف بميوله القومية العربية، ومعارضته لحلف بغداد، وبدأ التقارب مع الرئيس المصري

المؤلف في بعلبك بلبنان ويظهر الأستاذ عبد العزيز الطيار الثالث وقوفاً من اليمين

International Statistical Education Centre
BEIRUT - LEBANON
THE INTERNATIONAL STATISTICAL INSTITUTE
CERTIFICATE
المركز الدولي لتعليم الاحصاء
معهد الاحصاء الدولي
الشهادة

شهادة المركز الدولي للإحصاء

جمال عبد الناصر الـذي أفضى إلى قيام الجمهورية العربية المتحدة عام 1958م، وبات القوتلي بموجب الوحدة متمتعاً بلقب (المواطن الأول) بعد أن تنازل عن الحكم طواعية إلى الرئيس جمال عبد الناصر الذي بات رئيساً للجمهورية العربية المتحدة.

وكان القوتلـي عندما زرناه يتمتع بشـعبية كبيرة، عرف بقدراته علـى جمع توافق معظم القوى السياسـية، وتركزت شـعبيته في دمشـق بالذات، ذهبنا إليه 12 شـاباً جميعنا يدرس في مركز الإحصاء الدولي، تشـرفنا بمصافحته والاسـتماع إلى كلماته البسـيطة والعميقة في معانيها، وعبر أحد الطلاب عن تقديره لموقفه البطولي وإيثار النفس عندما ترك الرئاسـة طواعية بهدف قيام الوحدة بين مصر وسوريا.

عقب نهاية دورة الإحصاء في لبنان.. قررت مع زميلي محمد الصديقي أن نذهب عبر القطار إلى تركيا، اتجهنا من بيروت إلى دمشـق ومنها إلى حلب، ثم أخذنا القطار إلى أنقرة، اسـتمرت الرحلة 25 ساعة كاملة وعشنا خلالها معاناة حقيقية، لم يتوقف الأمر على إرهاق السفر، بل تسربت أدخنة القطار إلى داخل العربات خلال مرورنا بعدد من الأنفاق، فشعرنا وكأننا نختنق.

مع وصولنا إلى أنقرة زرنا الشـيخ صالح إسـلام السـفير السـعودي هناك، تشرفنا بتناول الغداء في معيته واسـتقبلنا بوجه بشـوش وكرم غير مستغرب، ثم سـافرنا إلى اسطنبول، قضينـا في الرحلة كلها ما يقارب من أسـبوع، قبل أن نعود إلـى لبنان، ومنها إلى الدمام وهي الرحلة الأولى لنا في تركيا التي ارتبطت بنهاية ابتعاثنا في بيروت.

أيام من الحلم الجميل قضيتها في بيروت قبل أن أنهي دراستي وأعود إلى مقر عملي السابق فـي الدمام، لكن بقـي طموحي أن تتاح لي الفرصة للاسـتفادة من المعلومـات والخبرات التي حصلت عليها في مجال الإحصاء، وفي نفس الوقت بعثت بصورة من شـهاداتي ونتائجي إلى سـعادة مدير عام الجمارك الشـيخ محمد نور رحيمي متخطياً التسلسل الوظيفي المتعارف عليه.

ومع الإعلان عن وظيفة شاغرة في جمارك جدة "مدير إدارة الإحصاء" سارعت بالتقدم حيث كنت أعتبر نفسي المرجع الرئيسي للاحصاء بعد دورة لبنان، تنافس على الوظيفة 5 أشخاص، وصلت إلى جدة وخضعت أنا والمتنافسون الآخرون إلى اختبار تحريري ثم مقابلة شخصية، كان يختبرنا خبير مصري جاء عن طريق الأمم المتحدة اسـمه محمد حلمي جنينة، لعب مع رفيقه إبراهيم دسوقي نوار دوراً بارزاً في وضع اللوائح والتشريعات وتطوير الجمارك في تلك الحقبة.

بعـد الانتهاء من الاختبار، وقبل أقل من سـاعة واحدة ظهـرت النتيجة وتم الإعلان عن فوزي بالوظيفة واختاروني لأكون الشخص المناسب للوظيفة، شعرت بزهوة الانتصار وطعم الفرح، وتأكدت أن خطواتي في بيروت لم تضع سـدى، ابتهجت الوالدة وإخواني كثيراً بالنتيجة فهي المرة الأولى التي أدخل في سباق فردي من أجل تحقيق الحلم الذي راودني، وشعرت بأن المستقبل قد فتح زراعيه لاحتوائي وتلبية طموحاتي.

صدر قرار تعييني مديراً لإدارة الإحصاء في جدة التي كان يرأسـها الشـيخ ياسـين ضليمي،

الرئيس شكري القوتلي.. تشرفنا بلقائه في دمشق

في حين كان الشيخ محمد نور رحيمي هو مدير عام الجمارك في جدة، حاول المسؤولون عن جمارك الدمام إثنائي عن الانتقال إلى جدة وقالوا إنهم يحتاجونني كثيراً، لكنني أبلغتهم أن الأمر يتعلق بمستقبلي وأنها فرصة نادرة لا يمكن تعويضها، فوجئت بمهمة جديدة تنتظرني في الدمام قبل استلام الوظيفة الجديدة، كلفني بها معالي وزير المالية الشيخ عبد الله بن عدوان للقيام بمسح إحصائي شامل للشركات والمؤسسات الصناعية في المنطقة الشرقية، وبالفعل أنجزت المهمة في أسبوعين، وقدمت تقريراً بنتائجها فكانت مهمة جديدة لكنها لا تخرج عن نطاق ما درسته، وكان العم محمد نور رحيمي يشرفني برعايته وعطفه وتوجيهه ولا يبخل علي بالنصيحة، وبعد ذلك أقنعت المسؤولين في جمارك المنطقة الشرقية بأن أسلم العمل الذي أقوم به إلى شخص يعينونه، تمهيداً لمباشرة عملي الجديد في جدة.

جدة في الستينيات

جدة.. تفتح ذراعيها

جهزت أوراقي وحملت حقائبي واتجهت صوب العروس في صيف عام 1960م، أصرت والدتي كعادتها أن تكون رفيقة دربي في رحلتي الجديدة، فأنا أصغر أبنائها والقريب دائماً من قلبها، وكانت لديها مبررات أخرى فعروس البحر الأحمر قريبة من موطن رأسها المدينة المنورة وبها الكثير من الأقارب، ابتهجت كثيراً بقرارها حتى لا أواجه أمواج الحياة بمفردي، وحققت الكثير من تطلعاتها بالسفر معها كل شهر تقريباً إلى طيبة الطيبة سوياً نزور الأهل ونصل الرحم.

سمعت كثيراً عن جدة المدينة النائمة بهدوء في أحضان البحر الأحمر، لكنني لم أتوقع أن تكون بهذا الجمال.. فقد شعرت منذ اللحظة الأولى لوصولي لها أنها بالفعل (غير).. مختلفة ومتميزة في كل شيء، كنت متشوقاً لرؤية تفاصيل عروس البحر الأحمر التي تضرب في أعماق التاريخ منذ أكثر من 3000 سنة، المدينة التي شهدت تطوراً تاريخياً كبيراً في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان سنة 647 م عندما أمر بتحويلها لميناء لاستقبال حجاج البحر المتجهين لأداء الحج في مكة المكرمة، وتحولت منذ ذلك اليوم إلى

المعبر الرئيسي لحجاج البحر والجو والكثير من حجاج البر.

تأملت كثيراً بيوتها القديمة ورواشينها التي تخلط بين الثقافات العربية والعثمانية, تزينت بيوتها بالمناظر الرائعة والتراثية التي كانت ومازالت تمثل أصالة الزمان والمكان للطراز المعماري الحجازي القديم, كانت أغلب منازلها من طابقين إلى أربعة طوابق تخللها الرواشين والأبواب الخشبية الجميلة من الخارج والتقسيمات الداخلية من مجلس (ديوان), و(المؤخر) وهي الغرف الداخلية, و(الخزانة) و(المركب), ودورات المياه وفي بعض البيوت توجد غرفة علوية يسمونها (المبيت), وغرفة أعلى منها يسمونها (الطيرمة), أما السطح فهو جزء أساسي من المنزل تستخدمه الأسرة للنوم في معظم أيام السنة.

ملامح جدة في الستينيات لم تختلف كثيراً عن جدة القديمة حالياً.. تجمع بين الجمال والغموض والتناقض, جدة الكورنيش والبحر الساحر, والحارات القديمة, هي نفسها جدة التي تعاني بعض أحيائها من الإهمال, ظهرت في تلك الفترة أيضا العمائر الأسمنتية التي تتكون من عدة أدوار وتضم مجموعة من الشقق, ويقوم أصحابها باستثمارها من خلال الإيجار.. وبالفعل اخترنا السكن في إحدى الشقق بعمائر الشيخ محمد بن محفوظ في الكيلو 2 بطريق مكة المكرمة, بالقرب من جيران سابقين لنا في المدينة المنورة وبعض المعارف.

لم أكن غريباً على مصلحة الجمارك في جدة أو رئيسها في تلك الفترة الشيخ محمد نور رحيمي, فقد تشرفت بمقابلته في إحدى المناسبات, وشعرت منذ ذلك الوقت أنه الشخص الذي يمكن أن يساعدني على تحقيق الكثير من أحلامي (1), ووجدت اهتماماً خاصاً, حنان وأبوة ورعاية رجل مسؤول, كان يبعث لي رسائل تشجعني خلال دراستي للإحصاء في بيروت, ويحفزني على الاستفادة القصوى ويؤكد أن مصلحة الجمارك تحتاج إلى جهودي.

احتجت إلى بعض الوقت للتعرف على المعلومات الأولية لوظيفتي الجديدة, لكن العم محمد نور رحيمي كان الداعم الأكبر لي وسهل أمامي الكثير من الأمور, بدأت العمل في مبنى خشبي خلف وزارة الثقافة والإعلام بطريق المطار القديم في مبنى يسمى (كوفنكو), كناية عن شركة مقاولات بنفس الاسم كانت تؤدي بعض الأعمال ثم تركت المبنى إلى وزارة المالية, وتحول إلى مقر لقسم الإحصاء في الجمارك وبعض الإدارات الأخرى.

شعرت بنقلة كبيرة في حياتي.. فقد جئت إلى مدينة متكاملة بفنادقها ومرافقها وإدارتها وأنشطتها الكثيرة, حيث إنها العاصمة الاقتصادية للمملكة العربية السعودية, عريقة بتاريخها وفيها الكثير من المتنزهات والمطاعم الشهيرة, أتذكر أننا كنا نذهب إلى مطعم في الكيلو 10 التابع للشيخ محمد بادكوك ـ يرحمه الله ـ وقهوة كاظم في طريق المدينة بشمال جدة, لم يكن سور جدة اختفى تماماً, وكان مسجد الملك سعود

(1) رجل يحب فعل الخير ويتبنى الشباب ويشجعهم على اكتساب الخبرة وزيادة تحصيلهم العلمي.

يمثل آخر نقطة من ناحية الشرق والشمال. وكان هناك قصر قديم على شاطئ البحر مهمل في منطقته يسمى (غبة 10). الوصول إليه كان أمراً صعباً يرتبط بمد وجذر البحر. لكنه كان يمثل أحد أماكن الصيد البحري المهمة بالنسبة لنا. حيث كنا نتحين جذر المياه لنذهب إليه بالسيارة مع مخاطر الانغماس في الوحل.

اندمجت في الحياة الاجتماعية وتعرفت على الكثير من الأصدقاء.. وبدأت أذهب مع أصدقائي إلى أبحر بالقرب من الخور الشمالي والجنوبي ننصب خيمتنا ونسمر ونسبح ونقضي أوقاتاً جميلة. لم تكن هناك أي مبان وقتها هناك. وقامت إحدى الشركات الايطالية واستأجرت عدداً من الأشخاص لتجميع الأصداف البحرية الطبيعية لتحملها السفن والبواخر إلى ايطاليا (1).

شهدت بداية مجيئنا إلى جدة توسعة كبيرة في معالمها تتمثل في فتح الشارع الجديد الذي يربط بين باب شريف وميدان البيعة لفك الاختناقات. حيث كانت منطقة وسط المدينة تعج بالزوار من كل الجنسيات سواء القادمين إلى العمرة أو الحج في الطريق إلى مكة المكرمة، أو الباحثين عن التسوق وزيارة معالمها. صحيح أن أجواءها المناخية كانت حارة. لكن ظلالها كانت تحمل نسمة رقيقة وحنونة.

(1) لتصنيع الحلي النسائية والأواني المطعمة بالصدف.

حطموا سيارتي

المؤلف مع أول سيارة اشتراها في حياته

عقب وصولي إلى جدة بفترة وجيزة.. اشتريت بالتقسيط أول سيارة في حياتي من نوع "فولكس واجن"، كان سعرها في ذلك الوقت ثمانية آلاف ريال تقريباً، أصبحت تمثل نقطة فخر واعتزاز كبيرة، أدعو الأهل والأصدقاء وزملاء العمل لتوصيلهم وتقديم خدماتي المجانية، عشقت هذا النوع من السيارات الذي يجمع بين الاستخدام العملي والاقتصاد في الوقود.

يبدو أن الأشياء الجميلة لا تدوم كثيراً.. بعد انتقالي من كيلو 2 في طريق مكة إلى شقة أخرى أوسع بعمارة رجب وسلسلة في طريق الميناء تطل من الناحية الجنوبية على ملعب الصبان، وكنت أدعو الأصدقاء لحضور المباريات بالجلوس في الفراندة الخلفية للشرفة والمطلة على ملعب الصبان فكانت تمثل أوقاتاً ممتعة.

وفي ذات الليالي وأثناء زيارة أخي الكبير عبد الله وأسرته لنا لتمضية بعض الأيام، وبينما هم يجلسون في الشرفة الأمامية وأخلد أنا للنوم.. إذ بصوت ارتطام قوي يهز العمارة بأكملها، اتجه الجيران إلى الشرفات لمعرفة مصدر الصوت، فوجدوا سيارة لوري

محملة بالبضائع يبدو أنها قادمة من الميناء، تنحرف عن طريقها وتصعد إلى الرصيف لتضرب سيارتي الصغيرة، وتحولها إلى حطام كامل بعد أن اندفعت إلى داخل المبنى مما تسبب في كسر الباب الحديدي، استيقظت على عبارة "حطموا سيارتي" ولسوء الحظ أن بوليصة التأمين كانت انتهت قبل الحادثة بأيام، وأعطاني هذا الموقف درساً بضرورة الحفاظ على التأمين ساري المفعول، وللأسف تم بيعها خردة ولم نتمكن من إصلاحها، وتنازلت عن حقي في الحادث بعد أن تيقنت أن السائق لا يملك دفع أي تعويض.

تحسنت ظروفي في العمل وزاد راتبي مما سمح لي بشراء سيارة أخرى بالتقسيط من نوع "فورد تاونس" بأربعة أبواب، نذهب بها خلال أيام الصيف إلى لبنان أو نشحنها إلى هناك ونسافر نحن بالطائرة.. وفي المقابل كنت أزور العم الشيخ محمد نور رحيمي في منزله بالشرفية، حيث كان له مجلس يستقبل فيه العديد من الزوار والزملاء مثل: علي خجا مدير عام جمرك جدة، حسين هوندجي مدير الإدارة المالية، وعواد ومنصور عبد الغفار وحمزه سحلي وحسن مدني الموظفين في الجمارك وغيرهم.

وكعادتي.. خلال السنوات 1962 ـ 1966م كنت أسافر إلى الرياض لأداء الامتحانات في جامعة الملك سعود، حيث كنت منتسباً بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وفي العادة أمضي حوالي 15 يوماً وهي فترة أداء الامتحان، وأعود إلى جدة منتظراً النتائج التي كانت تصلني عبر بعض الزملاء، وكانت النتائج تستغرق أسبوعاً أو أقل نعيش خلاله حالة من القلق والترقب، والحمد لله كنت دائماً أنجح في الدور الأول في جميع مراحل دراستي.

الصدفة قادتني للاستثمار الأول في حياتي.. نقل لي أحد الأصدقاء فكرة شراء قطعة أرض بعد ثلاث سنوات من قدومي إلى جدة، كانت تقع تقريبا من شارع التوبة بالشرفية بالقرب من مسجد الشيخ محمد عبد الله النويصر، لم تتجاوز سعر السيارة الأولى بحياتي، مثلت هذه القطعة بذرة لاستثماراتي في جدة، تمكنت من بنائها فيلا من دورين عبر أحد المقاولين، وانتقلت إليها في نهاية فترة وجودي بجدة قبل السفر إلى أمريكا.. وبعد العودة قمت ببيعها واستثمرت أموالها في تنمية أعمالي.

في عام 1968 عرض علي الصديق حسن عارف الدخول مشاركة في مشروع لإقامة سوبر ماركت على الطريقة الحديثة في جدة ويقع قريباً من ميدان فلسطين، رحبت بالفكرة وشكرته على الدعوة وفعلاً استثمرت معه مبلغ 50 ألف ريال على أن أزيد الحصة عندما تتحسن الظروف، وبعد عودتي من أمريكا في عام 1972م عبر لي صاحب المشروع عن رغبته في الاقتصار على أفراد العائلة، وتم استرجاع المبلغ المدفوع مع بعض الأرباح.

الحلم الساكن بداخلي يكبر مع الأيام.. عملت مديراً لإدارة الإحصاء على مدار عامين كاملين، وبعدها بدأت مصلحة الجمارك في إعادة هيكلة كاملة بعد وصول أحد الخبراء الايرلنديين القادمين عن طريق الأمم المتحدة، بهدف تطوير وتسهيل الإجراءات، وشكلت فرق عمل تسانده، وبدأ في خطوات جادة وسط دعم كامل من الشيخ محمد نور رحيمي.

المؤلف ومجموعة من زملائه في جدة

مالك وخالد وإبراهيم وكعب كردي وعصام وبثينة

وبالفعل تم رفع عدد من التوصيات التي تحولت إلى واقع، ومع الهيكلة الجديدة عينت مساعداً لمدير جمرك جدة للعمل بإدارة التعريفة والتثمين التي كان يترأسها الأخ وصفي حسين عزي.. وهو أحد المسؤولين البارزين في الجمارك في ذلك الوقت، وأحد المراجع المهمة في التعريفة الجمركية وتفسيراتها، حيث كان يحضر الكثير من الاجتماعات في الدول العربية والاجنبية التي تناقش آخر التطورات المرتبطة بالأنظمة الجمركية واتفاقية بروكسل.

انتقلنا إلى مبنى الجمارك الجديد بميناء جدة الإسلامي الذي يعد من المباني الجميلة التي تجمع بين الأصالة والحداثة، حيث كان يرتبط بأرصفة الميناء من أجل التحميل والتنزيل وتفريغ الشاحنات التي كانت تعتمد في تلك الفترة على القوى البدنية، حيث لم يكن لمعدات المناولة والتفريغ دور رئيسي، وأتمنى أن يتم الاحتفاظ بهذا المبنى الذي يعد من أهم العلامات البارزة في ميناء جدة.

كلها (خرابيط)

عندما وطأت قدماي مدينة جدة لم أنس حلمي في إكمال تعليمي، ذهبت إلى مدرسة ليلية لبحث ترتيبات الدراسة المسائية للسنة المتبقية من الثانوية العامة، ومن حسن الحظ أني قابلت مجموعة من الطلبة ذوي الطموح العالي الذين يعملون نهاراً ويرغبون في استكمال دراستهم، وفي تلك الفترة كونت صداقات مع: عزت مفتي، أحمد حسن فتيحي، يعرب دفتر دار، محمد أحمد صبيحي وآخرين، فكونا مجموعة واستعنا ببعض المدرسين للمساعدة خصوصاً في المواضيع العلمية مثل العلوم والأحياء والهندسة وحساب المثلثات.. إلخ.

حصلت على الشهادة في عام 1962م، ثم انتسبت إلى جامعة الملك سعود بالرياض بعد 5 سنوات فقط من تأسيسها (انطلقت رسمياً في 7 نوفمبر عام 1957م)، حيث لم تكن جامعة الملك عبد العزيز بجدة ظهرت إلى الوجود في تلك الفترة (تأسست عام 1967م).

وفي المرحلة الجامعية كنا ندرس أيضاً في المساء ونذهب لأداء الاختبارات في الرياض، ثم نرابط بجوار مطبعة الأصفهاني في انتظار الصحيفة التي تحمل اسم الناجحين، يأتي البعض ليبارك لي، لكنني لا أصدق أو أشعر بالراحة إلا إذا رأيت بعيناي اسمي في الصحيفة، كنت حريصاً على المزج بين الدراسة والعمل، أشعر بالاعتزاز أنني حصلت على جميع شهادات حياتي ومنها الابتدائية وأنا على رأس العمل، لم أنتظم في الفصول التعليمية التقليدية لأن الظروف هي التي حتمت علي ذلك، والهدف الأساسي لم يغب عن ناظري.

علمتني الحياة أن العمل يسبق كل شيء، لم يوجهني أحد أو يدفعني لهذا الاتجاه.. فقد جاء بدافع ذاتي، إضافة إلى تشجيع الكثير من زملائي الموجودين معي في تلك الفترة ومنهم الفريق عبد العزيز هنيدي والسفير ناجي مفتي والدكتور محمد أحمد صبيحي الإعلامي المعروف والأستاذ محمد محمد مدني وغيرهم، بل إن بعض زملاء العمل كانوا يعتقدون أني لست في حاجة لكل ذلك المجهود لأن دخلي في ذلك الوقت كان يعادل دخل صاحب الشهادة الجامعية، لكني كنت مقتنعاً بأهمية التعليم وأعتبره نافذة مفتوحة على المستقبل.

ولم تكن الإقامة في العاصمة أثناء أداء الامتحانات مشكلة رئيسية إذ عرض علي الصديق الأخ محمد عبد العزيز العمير الذي تربطني به صداقة قديمة من أيام المنطقة الشرقية الإقامة في منزله بحي الملز، حيث كان يوجد منزل آخر ملاصق لبيت الأسرة يسكن فيه إخوانه الشباب، رحبت بالفكرة أمام إصراره وكرمه الكبير، وكان والده ـ يرحمه الله ـ العم عبد العزيز العمير يأتينا ونحن نذاكر وهو يضرب بعكازه.. ويسأل:

يا ولدي وش تدرسون؟ أقول له: طال عمرك ندرس الاقتصاد والقانون والعلوم السياسية، يبدو متبرماً ويقول لي: والله ما منها فائدة.. كلها خرابيط؟ ويتابع القول: "المفيد لكم في الآخرة هي العلوم الدينية"، لكنه في النهاية يبتسم ويدعو لنا بالتوفيق، وكان اثنان من أبنائه يدرسان معنا منتسبين في نفس الجامعة، وهما صالح وعلي العمير.

واللافت أن هذه الجامعة العريقة دعمت الوطن بعدد من الكفاءات البشرية، حيث كان محمد عبد العزيز العمير في منصب كبير بوزارة المالية، وترقى أخوه صالح حتى أصبح نائباً لوزير المالية، وحصل على الدكتوراه مع أخيه علي من الولايات المتحدة الأمريكية، وتعرفت خلال وجودي في الرياض على ابن خالتهم عبد الله عبد الكريم اللحيدان الذي أصبح فيما بعد شريكي في شركة السنبلة.. وبات أخاً وصديقاً عزيزاً وشريك رحلة العمل الخاص.

وفي هذه الفترة أيضاً وخلال سفري إلى الرياض لإكمال دراستي بجامعة الملك سعود كنت معجباً بمبادرات رجل الأعمال الحالي الأخ الشيخ صالح بن عبد الله كامل، الذي كان يدرس في نفس الجامعة، ولكنه كان متقدماً على مجموعتي في الفصول الدراسية ولمس حاجة الطلبة المنتسبين، وبدأ باستثمار بسيط خدم فيه المنتسبين لجامعة الملك سعود التي كان من أوائل الخريجين منها، بنى شبكة علاقات مع الأساتذة والمحاضرين في الجامعة، واتفق معهم على استلام المحاضرات وأجرى ترتيباً مع مجموعة من السكرتارية وكتبة الآلة في الوزارات والإدارات بالرياض على استنساخها لعدة نسخ، ومن ثم تتاح للبيع للطلاب المنتسبين الذين كانوا ينتظرونها بشغف لأنها كانت تمثل خدمة رائعة، ورابط أساسي لهم مع أجواء الجامعة ومحاضراتها.

لم تكن فئة المنتسبين مرحباً بها في جامعة الملك سعود رغم أن الظروف الخاصة هي التي أجبرت أغلبهم على ذلك.. كانت الجامعة تقبلهم على مضض، وفي إحدى المرات ظهرت إشكالية في الحصول على موافقة رسمية باستمرارنا، في ظل عدم ترحيب إدارة الجامعة بالمنتسبين فذهبت مع بعض الزملاء لمقابلة الدكتور عبد العزيز الخويطر مدير الجامعة، وطلبنا المساواة بين المنتسبين والطلبة المنتظمين الذين يحضرون إلى الجامعة ويتلقون المحاضرات، ذهبنا إليه برجاء ان تقبل الجامعة بالمنتسبين، لكنه احتد علينا وقال: ستأخذون شهادات قد لا تكونوا تستحقونها وتكونون عالة على الفئة المنتظمة.

قلت له باندفاع: نحن شباب طموح ولدينا ظروفنا، لا نستطيع أن نترك عملنا، من حقك أن تضعني على المحك على قدم المساواة مع المنتظم.. فنحن نخضع سوياً لاختبار واحد، إذا نجحت فهذا بمجهودنا ودعمكم، وإذا لم أكن جديراً بذلك فلا تجاملونا، نحن لا نكلفكم راتباً شهرياً أو أي شيء، اقتنع الدكتور عبد العزيز الخويطر في النهاية وانتهت الإشكالية على خير، وأكملت الجامعة حتى حصلت رسمياً على شهادة البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية في عام 1966م.

شهادة الثانوية العامة

الشهادة الجامعية من جامعة الملك سعود

الشيخ صالح كامل

الاستعداد للزواج

فرحة العمر

أجمل سنوات عمر الإنسان تبدأ في ريعان شبابه.. الفترة التي تشهد الأوليات.. الزواج.. أول ابن يزرق به.. أول فرحة في حياته. لقد طرأت فكرة الزواج للمرة الأولى في رأسي عام 1958م عند سفري إلى لبنان. لكن الموضوع لم يؤخذ بجدية كاملة إلا بعد بداية عملي في جدة بعامين. طلبت من الأهل والأقارب في المدينة البحث عن شريكة عمر من عائلات المدينة. لكنني اصطدمت ببعض العادات والتقاليد التي صعبت المهمة. فقد دأبت أغلب العائلات على رفض زواج بناتهن وسفرهن خارج المدينة المنورة خشية الابتعاد عنهم. وفي السنوات الماضية شهدت انفتاحاً كبيراً وتغيرت هذه المفاهيم.

وفي إحدى سفرياتي إلى لبنان وبالتحديد في شهر أكتوبر عام 1961م. وبعد انتهائي من دورة تدريبية في العاصمة السورية دمشق. كان أخي الأكبر عبد الله ـ يرحمه الله ـ موجوداً بلبنان.. تعرفت على شريكة عمري ورفيقة دربي إلهام خليل شومان وهي من الأسر اللبنانية العريقة التي تسكن بمنطقة سنية اسمها " الطريق الجديدة" في قلب بيروت. أخبرت والدتي وإخواني ومنحوا مباركاتهم جميعاً على هذه الخطوة. رغم عدم تمكنهم من الحضور. لم يستغرق الأمر أكثر من أسبوعين من خطوبة إلى تجهيز ثم الزواج بشكل رسمي. واذكر بعض التفاصيل فيما بعد.

ومن الصدف اللافتة أن أحد الأشخاص اللبنانيين الذي كان لديه محل ملابس جاهزة في سوق سرسق وتعرفت عليه مع أخي عبد الله وكان رجلاً صادقاً ومتديناً ويوحي بالثقة وراحة النفس. توسط لي في إتمام قراني على شريكة عمري دون أن تكون هناك سابق معرفة. وعندما ذهب إلى أهل خطيبتي قال لهم: "بصراحة أنا لا أعرفه. لكنني توسمت فيه الصدق والأمانة". واقترح هو أن يكون المهر 1500 ليرة ومؤخر الصداق عشرة آلاف ليرة. ويعتبر الصداق أشبه بوثيقة تأمين. كما هي عادة عقود القران في لبنان في تلك الفترة.

يا لها من لحظات رائعة لا تنسى.. لا أنسى حتى الآن تقاليد العرس اللبناني الأصيل.. حيث يقوم العروسان بعد الانتهاء من حفل زفافهما بالتنقل في سيارة حديثة ومزينة بشكل مرتب في الشوارع المؤدية إلى مكان قضائهما الليلة الأولى للعرس، في هذه الرحلة التي تسمى بالعامية "برمة" العروس، تدور السيارة على الأماكن التي تعرف فيها العرسان على بعضهما، والأماكن التي قررا فيها دخول عش الزوجية، وكثيراً ما تشاهد في بيروت وعلى "كورنيش" المنارة سيارات العرسان وخلفها سيارات حشود حاضري العرس تدور ومن ثم تتوقف قبالة صخرة الروشة، لوداع رحلات الشوارع وجلسات البحر، وبدء حياة جديدة.

حفلة زفاف بسيطة ومميزة.. الدبكة هي سيدة الموقف.. تتخللها أغان لمطربين مشهورين مثل فيروز وصباح ووديع الصافي ونصري شمس الدين وغيرهم.

أحمد الله أن رزقني بزوجة صالحة.. متفانية.. مخلصة.. شاركتني أحلامي وتطلعاتي.. بل ومربية فاضلة كان لها الدور الأكبر في تربية وتدريس الأولاد، رافقتني رحلة حياتي بحلوها ومرها.. وتجولت معي في اوروبا أمريكا واليابان وتايلند وأغلب مدن العالم، ذهبنا إليها وعشنا سوياً أجمل سنوات العمر.

جاءت زوجتي معي مباشرة إلى جدة بعد أيام قليلة من العرس، لم نجد صعوبة في توثيق عقد الزواج بسفارة المملكة في بيروت، ثم المجيء مباشرة دون تعقيدات، وحصلت زوجتي بعد فترة وجيزة على الجنسية السعودية، انتقلنا إلى سكن جديد مع الوالدة في شقتي المستأجرة في عمارة رجب وسلسلة بطريق الميناء، وبدأت زوجتي مع الوقت تتأقلم على أجواء جدة وعاداتها وتقاليدها.. كان هناك اختلاف كبير في العادات والتقاليد، فقد أتت زوجتي بمفاهيم وعادات مختلفة، علاوة على اختلاف اللهجة في وقت لم يكن التليفزيون انتشر أو ساهم في إذابة الصعوبات باللهجات كما يحدث حالياً، لكن طيبة والدتي وحنانها الكبير، علاوة على تفهم زوجتي كانا كفيلين باحتواء الموقف، علمت زوجتي الطبخ السعودي والكثير من العادات وتقاليد أهل المدينة والتقاليد الجداوية، سافرنا معاً إلى المدينة والدمام لحضور الكثير من المناسبات قبل أن نذهب إلى أمريكا ثم الرياض.

حملت "وسام" مفاتيح الفرح الثاني في حياتي، حيث أبصرت الحياة في العام التالي لزواجنا عندما سافرت مع زوجتي إلى لبنان حتى تضع مولودها الأول وسط أهلها، وتصادف ذلك مع مهمة خارجية في بيروت من مصلحة الجمارك، حيث عانت الإدارة لسنوات طويلة من مشكلة مزمنة كانت تتمثل في تأخر صدور وطباعة التقارير الإحصائية السنوية للتجارة الخارجية، فقد وصل التأخير في بعض الأحيان إلى 5 سنوات، الأمر الذي يقلل من فاعليتها، ويسبب الانتقاد من المنظمات الدولية وصانعي القرار علاوة أن البيانات كانت تجمع بطريقة يدوية وتقليدية بسيطة مما دفعني إلى اقتراح خطة تطوير تتمثل في

الشقيق كعب مع الصديق محمد علي حماد والرابع عبدالسلام العمري في لبنان

طباعة التقارير بشكل سريع، في مدة لا تتجاوز من 3-6 شهور من نهاية العام، وفي ذلك الزمن لم يكن الحاسب الآلي قد ظهر إلى الوجود.

عقد الشيخ محمد نور رحيمي رئيس مصلحة الجمارك اجتماعاً مع كبار المسؤولين لتدارس الأمر بعد أن انتهت مسودة التقرير السنوي، ثم كلفني بالسفر إلى بيروت لطباعتها بشكل سريع، بعد أن اشترطت جميع المطابع الموجودة في جدة فترة زمنية تتراوح بين 3 إلى 4 أشهر، وبالصدفة تواجد الممثل المالي لوزارة المالية الأستاذ إبراهيم قاري في لبنان، فتم تكليفنا سوياً بمهمة البحث عن مطبعة مناسبة وبسعر معقول، وبالفعل نجحنا خلال يومين فقط في الوصول إلى

خطاب طباعة التقرير الإحصائي ببيروت

حل وترسية الطباعة على مطبعة صغيرة كان يملكها شخص وأخوه، حيث أنجز المهمة مع التدقيق اللغوي والرقمي لجداول الإحصاء في فترة تقل عن 25 يوماً، وعلمتني هذه الرحلة درساً مهماً بأن الفاعلية والتأثير والمهنية أهم من كثرة العدد وحجم الآلات.. لاسيما أننا في تلك الفترة كنا نجد مطابع في جدة تملك إمكانات كبيرة وموارد بشرية عديدة، لكنها لم تكن فعالة بنفس القدر الذي شاهدنا فيه مطبعة فردية يعمل فيها شخصان فقط!

شعرت باعتزاز كبير لدى عودتي من بيروت حاملاً عدة نسخ من التقرير الإحصائي السنوي الذي شهد في ذلك العام نقلة نوعية كبيرة، حيث أدخلت إليه الرسومات البيانية، والإيضاحات ومقدمة وتحليل ومقارنات، ولاحظت حالة من الرضا الكبيرة على وجه الشيخ محمد نور رحيمي عندما قابلته لتسليمه النسخ المطبوعة التي قام بدوره بإيداعها في وزارة المالية.

تفاءلت كثيراً بقدوم ابنتي "وسام" التي واكبت هذه النقلة الكبيرة في حياتي العملية، على الرغم من أن اللبنانيين مثل الكثير من السعوديين يفضلون أن يرزقوا في البداية بـ "ولد"، ولعل هذا الأمر هو ما دفع والدة زوجتي أن تبلغني بامتعاض أن المولود "بنت"، لكن سرعان ما أظهرت علامة الرضا فهي مؤمنة وقارئة للقرآن الكريم، وتدرك جيداً أن العاطي والوهاب هو الله سبحانه وتعالى.

اكتملت فرحتنا بعد أن جئت بزوجتي وابنتي إلى جدة، واحتضنت أمي المولودة بحنان وفرحة كبيرة، وتزايدت فرحتنا بعدها بسنوات عندما رزقنا الله سبحانه وتعالى بـ "خليل" في عام 1966م، والذي ولد أيضاً في بيروت، لكنني في هذه المرة لم أحضر ولادته، وأبلغوني بالخبر عبر برقية أتذكر كلماتها جيداً" نهنئك بالمولود الجديد.. خليل" حيث كان هناك اتفاق كامل على الاسم، كان أغلب الأصدقاء ينادوني قبلها "أبو خليل" كما أن والد زوجتي يحمل نفس الاسم.

في حين رزقت بابني الثالث سامر في ديسمبر عام 1973م بالرياض، عقب العودة من رحلة الماجستير في الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك الكثير من الذكريات الجميلة والحرجة التي ارتبطت بولادته.

لحظات للعبرة

حرب النكسة

شهدت هذه الفترة متغيرات عديدة على الصعيد العربي.. قامت الثورة في العراق وجاء عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم، بدأت الوحدة بين مصر وسوريا، ثم قامت الثورة في اليمن، ناهيك عن الحركات الثقافية والتغيرات الكبيرة التي سادت العالم العربي من اشتراكية وشيوعية وناصرية وليبرالية وغيرها، ولعبت الإذاعة دوراً كبيراً في التأثير على توجهات الناس، حيث لم يكن التليفزيون قد انتشر بعد.

على الصعيد المحلي.. تأثرنا بشكل كبير بالحرب الدائرة في اليمن والتي اندلعت في عام 1962م، عندما قاد العقيد عبد الله السلال رئيس حرس الأمام البدر انقلاباً، وما كان في استطاعة الحكومة السعودية أن تتجاهل الأمر وتسكت عنه، ولا أن تعترف بنظام الحكم الذي أقامه لاعتبارات كثيرة وعديدة أهمها وجود حدود مشتركة ولجوء الإمام محمد البدر إلى المملكة وطلبه النجدة والمساعدة من حكومتها، وتولى الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود الحكم في الثاني من نوفمبر عام 1964م، خلفاً لأخيه الملك سعود بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ، وبدأت نهضة شاملة في جميع مناطق السعودية، بدأ الملك فيصل ـ

يرحمه الله ـ يركز على السياسة الخارجية بشكل كبير. كان رجل دولة. يملك نظرة ثاقبة. يتعامل مع المتغيرات بعقلانية كبيرة. عنيداً في الحق. قوياً في الحجة. حنوناً في التعامل مع شعبه.. رجل نادر.. قلما يجود الزمن بمثله.

اهتم الملك فيصل بن عبد العزيز بالعلم والتعليم. وجلب العديد من البعثات والخبراء من الأمم المتحدة. وظهرت جدية كبيرة لتطوير الإدارة في جميع المصالح الحكومية ومنها الجمارك. وتم الاستعانة بعدد من الخبراء يقدمون عصارة فكرهم من أجل تطوير آلية العمل والبحث عن سبل جديدة لتيسير الإجراءات.

وفي تلك الأثناء قدم وفد من منطقة القصيم إلى الرياض للاحتجاج على السماح بفتح مدارس للبنات. وكان ضمن الوفد رجال عجزة بعضهم ضرير معهم مرافقون. وحضر بعضهم إلى منزل الأخ محمد عبد العزيز العمير. وكانت تدور معهم مناقشات حامية بخصوص مدارس البنات. ورغم المعارضات التي نشأت من بعض المناطق. لكن كان هناك ترحيب من مناطق أخرى على تلك الخطوة الهامة. وحسم الأمر ملك البلاد ذو الرأي الثاقب الملك فيصل بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ ثم رصدت الميزانيات لمدارس البنات الحكومية ابتداء من عام (1379هـ 1960م). أما مدارس البنات الأهلية فقد كانت قائمة منذ سنوات.

وبعد هذه الحادثة بدأ سكان منطقة القصيم يطالبون بالإسراع في فتح مدارس للبنات في مناطقهم أسوة بباقي المناطق. وتدل هذه الحادثة على أن ملك البلاد عندما يقتنع بأمر ما يصب في صالح الوطن والمواطن. ويصدر أوامره فإن النتيجة الحتمية تطبيق ذلك الأمر على أرض الواقع دون النظر لبعض المتحفظين على القرار.

أتذكر تفاصيل أيام النكسة في يونيو 1967م. عندما أغار الطيران الإسرائيلي على الطائرات المقاتلة التي كانت تربض في قواعدها بمصر والأردن وسوريا في وقت واحد. وتعرض الوطن العربي بأسره لأيام وليالي حزينة. وكنت وقتها في دورة تدريبية ببريطانيا بعد أن تركت زوجتي وابنتي وسام وابني خليل في بيروت. كان مصدر الأخبار بالنسبة لنا في لندن إذاعة صوت العرب. نتحمس ونحتفل مع صوت المذيع أحمد سعيد الذي يبشرنا كل دقائق بسقوط عدد من الطائرات. في المقابل يأتي إلينا شخص قبرصي كان مديراً للفندق الذي نسكن فيه لينقل لنا رؤية مخالفة تماماً لما نسمعه. نغضب وننهره ونقول له هذا غير صحيح. لكن خلال أيام وجيزة تكشفت الأمور. تحول الأمر إلى صدمة كبيرة لنا وللعالم العربي بأسره. علمتنا التجربة المريرة ضرورة البحث عن الحقائق أينما كان مصدرها. فقد غرر الإعلام المزيف بنا. رفعنا إلى أعلى مكان لنسقط على رؤوسنا بصورة مؤلمة.

لا زلت أذكر وجه موشى ديان رئيس الاركان الإسرائيلي وهو يطل عبر شاشات التليفزيون ويقول "فعلناها وسنفعلها" في تلميح للعدوان الثلاثي على العالم العربي عام 1956م.

ثم حرب النكسة في 1967م، أمام هذه اللحظات الحزينة لم أستطع أن أحتمل الجلوس في لندن، تركت الدورة وسافرت مسرعاً إلى لبنان التي كانت تقع وسط الأحداث الساخنة، هناك أيضاً وجدت الناس بين مصدق ومكذب لما يحدث.

أثناء وجودي في جدة وقبل سفري للحصول على الماجستير بأمريكا، شعرت أن جسمي يضعف وأعاني من هزال شديد، راجعت عدداً من الأطباء ولم يسعفني أحد بحل شاف لما أعاني منه، وخلال زيارتي إلى الرياض.. اصطحبني صديق العمر الفريق عبد العزيز هنيدي إلى المستشفى العسكري، الذي كان يضم مجموعة ممتازة من الأطباء، وبالفعل قابلت الدكتور رضا خليفة وهو من الجراحين المشهورين الذي تعود جذوره إلى المدينة المنورة، وعقب الفحوصات الأولية أبلغني بوجود خلل في إفرازات الغدة الدرقية، مؤكداً أنها نشطة أكثر من اللازم، مما يؤدي إلى حرق كل الطعام وفقدان الكثير من وزني، ونصحني بإجراء عملية جراحية في أي مكان اختاره.

الملك فيصل بن عبد العزيز - يرحمه الله -

حصلت على تقرير شامل بحالتي عرضته على العم الشيخ محمد نور رحيمي، فطلب مني أن أكتب خطاباً موجها إلى الدكتور هاشم عبد الغفار وكيل وزارة الصحة يطلب العلاج في بريطانيا، وبالفعل لم تمض أيام إلا وجاءت الموافقة على سفري للعلاج في لندن على نفقة وزارة الصحة، وذهبت زوجتي برفقتي في عام 1968م، اوصت السفارة السعودية هناك بأحد الأطباء، أجريت الجراحة ومكثت في المستشفى خمسة أيام شهدت بعض المضاعفات، وكانت زوجتي ورفيقة عمري تمضي وقتاً طويلاً للوصول من السكن إلى المستشفى، تركب قطار الانفاق وتغيره عدة مرات حتى تصل إليّ بشكل يومي حاملة بعض الوجبات اللذيذة وبعض الفاكهة، وعلى مدار فترة علاجي جزاها الله كل الخير كانت خطابات الشيخ محمد نور رحيمي لا تنقطع، يسأل عني بشكل مستمر ويطمئن على صحتي.

هاجس السفر سيطر عليّ بشكل كبير عقب عودتي إلى جدة، حيث لم أستطع تأدية عملي في الجمارك بنفس الطريقة السابقة، وشعرت بكثير من التوتر في مرحلة النقاهة، فحصلت على إجازة طويلة قضيتها في المنزل، وفي تلك الأثناء قدمت أوراقي للحصول على بعثة لدراسة الماجستير في الولايات المتحدة الأمريكية، وبالفعل أخبرني العم محمد نور رحيمي باجتماع لجنة الابتعاث في الطائف، فذهبت مسرعاً إلى هناك حتى أكون قريباً من الحدث وأعرف الخبر مباشرة، وبالفعل أبلغوني بقبولي، وقال لي عضو لجنة الابتعاث الأستاذ فهد الدغيثر مدير عام معهد الإدارة العامة: اذهب جهز نفسك للسفر، وأرسل لي الصديق محمد عبد العزيز العمير، وبالفعل بدأت الاستعداد للسفر وتأجير الفيلا الجديدة التي انتقلنا إليها في الشرفية بجدة، وتبرع الصديق سالم محمد بخشوين بمتابعة كافة الأمور الشخصية الخاصة بي جزاه الله خيراً ورحمه رحمة واسعة.. حملت حقائبي وطرت إلى أمريكا.

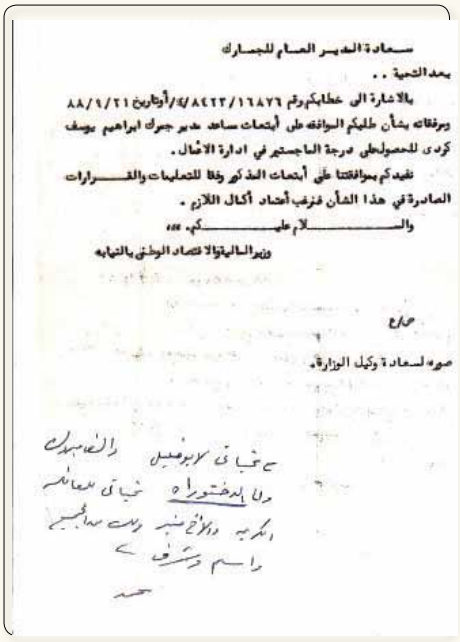

سعادة المدير العام للجمارك

بعد التحية ..

بالاشارة الى خطابكم رقم ١٦٨٧٦/٨٤٢٣/ك/أوتاريخ ٨٨/٩/٢١ وبرفقاته بشأن طلبكم الموافقة على أبتعاث ساعد مدير جمرك ابراهيم يوسف كردى للحصول على درجة الماجستير في ادارة الأعمال.

نفيدكم بموافقتنا على أبتعاث المذكور وفقا للتعليمات والقرارات الصادرة في هذا الشأن فنرغب أتخاذ الشكال اللازم.

والسلام عليكم ورحمة الله

وزير المالية والاقتصاد الوطني بالنيابة

صورة لسعادة وكيل الوزارة.

موافقة وزير المالية على الابتعاث لأمريكا وتهنئة محمد العمير (عقبال الدختوراه)

إضاءات

- على عتبة العشرين.. تكبر الأحلام وتهاجر بعيداً في مواسم الاغتراب، تتناثر الكلمات لتشكل هوية مفقودة وتصبح أحرفاً تخط بدماء القلب.
- ملامح جدة في الستينيات لم تختلف كثيراً عن جدة القديمة حالياً.. تجمع بين الجمال والغموض والتناقض، جدة الكورنيش والبحر الساحر، والحارات القديمة، هي نفسها جدة التي تعاني بعض أحيائها من الإهمال.
- العمل يسبق كل شيء، لم يوجهني أحد أو يدفعني لهذا الاتجاه.. كنت حريصاً على المزج بين الدراسة والعمل، أشعر بالاعتزاز أنني حصلت على جميع شهادات حياتي ومنها الابتدائية وأنا على رأس العمل.
- تابعت المبادرات الذكية لرجل الأعمال الشيخ صالح كامل عندما كان طالباً في كلية التجارة، والذي بدأ بفكرة بسيطة خدم فيه المنتسبين لجامعة الملك سعود حيث كان من أوائل خريجيها، بنى شبكة علاقات مع الأساتذة وأبرم اتفاقاً مع كتبة الآلة لاستلام المحاضرات من أساتذة الجامعة وتوفيرها للمنتسبين الذين ينتظرونها بشغف.
- علمتني هذه الرحلة أن الفاعلية والمهنية أهم من الكثرة، كنا نجد مطابع تملك إمكانات كبيرة وموارد بشرية عديدة في جدة، لكنها لم تكن فعالة بنفس القدر الذي شاهدنا به مطبعة فردية يعمل فيها شخصان فقط بلبنان.
- كانت نكسة ١٩٦٧م تجربة مريرة، علمتنا ضرورة البحث عن الحقائق أينما كان مصدرها، فقد غرر الإعلام المزيف بالجمهور، رفعنا إلى أعلى مكان لنسقط على رؤوسنا بصورة مؤلمة.
- أتذكر تفاصيل أيام النكسة في يونيو ١٩٦٧م، حين غار الطيران الإسرائيلي على مصر والأردن وسوريا في وقت واحد، تعرض الوطن العربي بأسره لأيام وليالي حزينة.
- تأثرنا كثيراً بالحرب التي قامت في اليمن عام ١٩٦٢م، حين قاد العقيد عبد الله السلال رئيس حرس الأمير البدر انقلاباً، وما كان في استطاعة الحكومة السعودية أن تتجاهل الأمر وتسكت عنه.
- بدأ الملك فيصل بن عبد العزيز نهضة شاملة، كان رجل دولة بمعنى الكلمة، يملك نظرة ثاقبة، يتعامل مع المتغيرات بعقلانية، عنيداً في الحق، قوياً في الحجة، حنوناً في التعامل مع شعبه.. رجل نادراً.. قلما يجود الزمن بمثله.

الفصل الخامس

من جـــدة

إلى لوس أنجلوس

مدينة بلا قلب

لم يكن السفر إلى أمريكا مجرد خبر سار هز كيان أسرتي كلها، وبات منعطفاً مهماً في حياتي، بل هو حلم طويل المدى كنت أخطط له منذ سنوات طويلة، لاسيما أن الكثيرين من أصدقائي وزملائي تمكنوا من السفر للدراسة هناك، وكانت الدولة ـ ولا زالت ـ تشجع كثيراً على الابتعاث والدراسة.. الأمر الذي جعلني لم أفقد الأمل لحظة، بل كنت أتصور أن الأمر قادم لا محالة.

كانت شروط الابتعاث للدراسات العليا للموظفين الحكوميين تتطلب قضاء ثلاث سنوات على رأس العمل بعد الحصول على الشهادة الجامعية وهو الشرط الذي نفذته بكل حذافيره، فقد تخرجت من قسم الاقتصاد والعلوم السياسية بكلية التجارة بجامعة الملك سعود عام 1966م، ومكثت ثلاثة أعوام أزاول عملي في الجمارك بجدة، وأنصفتني لجنة البعثات وخرج اسمي بين الذين يستحقون السفر لدراسة الماجستير بعد اجتماع الطائف الذي تابعته لحظة بلحظة حتى زفوا إليّ الخبر السعيد.

راسلت عدداً من الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة إخواني الذين كانت لهم تجارب سابقة، وكان هناك إجماع على لوس أنجيلوس هي الخيار الأفضل لأنها تضم عدداً كبيراً من الطلبة السعوديين والعرب، علاوة على جوها الملائم وظروفها المناخية القريبة من طبيعتنا، راسلت جامعة جنوب كاليفورنيا (U.S.C) التي اشتهرت بعدد من الكليات المرموقة وبينها الإدارة العامة التي تمنيت الدراسة فيها، حيث خرجت عدداً من الشخصيات السعودية المهمة التي تولت مناصب قيادية فيما بعد، منها الدكتور غازي القصيبي، الدكتور سليمان السليم، الدكتور أحمد الشناوي، الأستاذ توفيق إبراهيم توفيق، الأستاذ سليمان الجبهان والأستاذ عبد الرزاق محمد حمزة، الدكتور حسين علوي ومجموعة من عائلة الزامل مثل المهندس عبد العزيز والدكتور عبد الرحمن وخالد زامل الزامل وحمد الزامل.. وغيرهم.

كنت أخشى ألا أجد موافقة سريعة من جامعة جنوب كاليفورنيا فتقدمت إلى عدد من الجامعات وتلقيت بعض الموافقات من بينها الجامعة التي أبحث عنها، وبالفعل قررت دراسة الإدارة العامة التي تعنى بالمواضيع المرتبطة بالخدمات الحكومية وتختلف عن إدارة الأعمال، ووجد طلب الابتعاث الذي تقدمت به الدعم والمساندة من مدير عام الجمارك الشيخ محمد نور رحيمي، الأمر الذي ساهم في تحقيق حلمي، حيث جاءني خطاب بضرورة الإسراع في السفر لبدء الدراسة.

فوضت أحد أصدقائي بإستلام رواتبي الشهرية من الجمارك، حيث دأبت الدولة على صرف نصف راتب نظير الالتزامات العائلية للموظف، في حين تتولى وزارة المعارف الإنفاق

نيويورك مدينة صاخبة لاتنام

على المبتعث سواء من خلال الراتب الشهري الذي يحصل عليه في البلد الذي يدرس به، علاوة على بعض البدلات مثل الملابس، الكتب، والأبحاث.

ابتسامة عريضة مليئة بالتوجس والترقب ارتسمت على وجهي وأنا على أبواب الطائرة من مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة في أكتوبر 1969م، فقد فضلت عدم اصطحاب عائلتي حتى أرتب الوضع بشكل جيد، رحلة طويلة قضيتها على متن الخطوط السعودية نحو بيروت ومنها إلى إحدى المحطات الأوروبية، وصولاً إلى مدينة نيويورك التي كان بها مكتب الملحق الثقافي السعودي، استقبلني البرد القارس والقاسي هناك رغم وصولي وقت الظهيرة، لاحظت الزحام الكبير.. الناس في عجلة من أمرها، كل شخص مشغول بعمله ونفسه، لا أحد يساعدك أو يستجيب إليك، إذا ناديته سيقول: ابحث عن الخارطة، أخذت انطباعاً سلبياً عن نيويورك شعرت أنها مدينة بلا قلب.

كانت ـ ولا زالت ـ المدينة الأعلى كثافة سكانية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي أكبر المدن والأكثر تأثيراً في مختلف المجالات كالتجارة والمال والإعلام والفن والأزياء والعلوم والتكنولوجيا والتعليم والترفيه, كما تعتبر مدينة نيويورك أحد أهم مراكز التجارة والمال في العالم، ويوجد بها مقر الأمم المتحدة وسوق الأوراق المالية ومؤشر الداو جونز الصناعي، توصف مدينة نيويورك بأنها العاصمة الثقافية والاقتصادية للعالم.. ورغم ذلك لم أشعر بجاذبيتها وبريقها.

جامعة جنوب كاليفورنيا

وجدت ترحيباً من المستشار الثقافي الدكتور أبو خضرة، قبل أن يتولى مسؤولية المكتب مساعده الأستاذ عبد العزيز المنقور الذي كان زميلاً لصديقي عبد المحسن أسعد بشاوري ـ يرحمه الله ـ الذي انتظرني بدوره في لوس أنجلوس، بعد أن بذل الأستاذ المنقور جهدا كبيراً في مساعدتي ونصحني كعادته مع كافة المبتعثين فأسرعت بالسفر لضيق الوقت واقتراب موعد بدء الدراسة، ومن بين الأشياء المهمة التي حملتها في حقائبي إلى أمريكا كاميرا تصوير أهداها لي شقيقي خالد عندما لاحظ اهتمامي الكبير بهذه الهواية، وأذكر أنه في بداية مشواري العملي بالمنطقة الشرقية، كنت من القلائل الذين يملكون جهازاً للتحميض والإظهار، وشعرت كثيراً بالفخر والاعتزاز بهذا الأمر الذي ساهم في إشباع الهواية التي كبرت مع مراحل عمري المختلفة.

تحسست طريقي في لوس انجلوس وانخرطت مباشرة في دراسة اللغة الإنجليزية حتى أقف على أرض صلبة مع بداية الدراسة.. وعلى العكس تماماً شعرت بعاطفة وحنين نحو لوس أنجلوس التي تعد أكبر مدن ولاية كاليفورنيا، وتقع جنوب غرب الولاية على ساحل المحيط الهادي بالولايات المتحدة الأمريكية، وثاني أكثر مدن الولايات المتحدة اكتظاظاً بالسكان بعد نيويورك، وتعد أحد أهم المراكز الثقافية، والاقتصادية، والعلمية في الولايات المتحدة.

اسم المدينة مأخوذ من اللغة الإسبانية، وهو بمعنى «الملائكة»، تتمتع بمناخ متوسطي نصف جاف حيث إن شتاءها معتدل البرودة ورطب، بينما يكون الصيف حاراً وجافاً، وتكون الشمس مشرقة بمعدل 320 يوماً في السنة تقريباً، كثيراً ما كانت تُعرف لوس انجلوس بأنها (عاصمة الإبداع في العالم)، حيث إن واحداً من كل ستة أشخاص من سكانها يعملون بالصناعات الإبداعية، وحسب ما ذكره معهد يو إس سي للإبداع (هناك فنانون، وكتاب، وصناع أفلام، ومثلون، وعازفون يعيشون ويعملون في لوس أنجلوس أكثر من أي مدينة أخرى في العالم على مر الزمان في تاريخ الحضارة).

كذلك فإنها تضم مدينة هوليوود عاصمة صناعة السينما والتي تشمل أيضاً صناعات عديدة داعمة لصناعة السينما، علاوة على مناطق الجذب الترفيهي مثل ديزني لاند وماجك ماونتن ومناطق ترفيهية عديدة أخرى.

20 ساعة مغامرات

فكرت في أسرتي الصغيرة التي تركتها في بيروت تنتظر قرار الانضمام إليّ، شعرت بالحنين الكبير إليهم بعد أن أنهيت ترتيب أوضاعي، والتحقت بالجامعة في يناير 1970م، بدأت في استقبال زوجتي وابني خليل الذي لم يتجاوز وقتها أربع سنوات، في حين أخذنا قراراً ببقاء ابنتي وسام في بيروت مع جدتها وخالتها لمتابعة دراستها في الصف الثاني الابتدائي بإحدى المدارس البيروتية.

جاء التحاق خليل بالدراسة في إحدى الحضانات بلوس أنجلوس ليضفي المزيد من المتعة على حياتنا هناك، شعرنا بتغيير كبير عليه، فقد ظهر حبه للدراسة بشكل واضح، نتيجة الحوافز التي يقدمونها والأسلوب التربوي الحديث المتبع في المدارس الأمريكية، استمر في الدراسة هناك حتى نهاية فترة ابتعاثي، ودرست زوجتي في كلية التجميل، ونمت الكثير من معلوماتها وعززت لغتها الإنجليزية بشكل كبير، علاوة على إجادتها النسخ على الآلة الكاتبة التي تم شراؤها مستعملة، فكانت تقوم بنسخ الدراسات والأبحاث التي أعدها، مما وفر على البحث عمن يؤدي هذه المهمة.

تغلبت على الحاجز النفسي واشتريت سيارة مستعملة عن طريق صديقي عبد المحسن بشاوري، علماً أن قيادة السيارة في كاليفورنيا تمثل رعباً حقيقياً في ظل القوانين الصارمة الموجودة هناك، وتواجد رجل المرور في أي مكان لا يمكن أن تتصوره في حال ارتكاب أي مخالفة، بعض من الطلاب السعوديين كانوا يترددون في قيادة السيارات خصوصاً في الطرقات السريعة هناك خشية الوقوع في المحظور.

وخلال إقامتي في أمريكا لم تسجل علي سوى مخالفة مرورية بسيطة واحدة لكنها أثرت في قسط التأمين السنوي الذي كنت أدفعه وتفهمت نمط الحياة في هذا الجانب.

تعمدت في الفترة الأولى لوصولي إلى لوس أنجلوس على دراسة الجوانب الطبوغرافية للمكان الذي أسكن به، فجامعة جنوب كاليفورنيا (U.S.C) تعتبر من الجامعات العريقة، تأسست عام 1880 م، وهي جامعة بحثية خاصة تقع في حي يقع قريباً من مركز المدينة، تتألف من كليات مهنية مختلفة مثل المحاسبة، الإدارة العامة، الهندسة المعمارية، الأعمال الإدارية والتجارية، الفنون السينمائية، الاتصالات، طب الأسنان، التربية، الهندسة، الفنون الجميلة، علم الشيخوخة، القانون، الطب، الموسيقى، الصيدلة، السياسة، التخطيط، التنمية، العمل الاجتماعي، والمسرح .

أما المنطقة المحيطة بالجامعة فهي منطقة فقيرة، ترتفع فيها نسبة الجريمة، وكانت أول نصيحة وجهت إليّ.. إما أن تبقى في السكن الخاص بالجامعة أو تسكن بعيداً وتأتي بسيارتك، وفي البداية أقمت بالسكن الداخلي، الأمر الذي سهل علي الكثير من الأمور، لكن اشتراطات السكن الجامعي المعقدة ومنها رفض سكن الأطفال الذين تتجاوز

خليل مع بابا نويل في لوس انجلوس

أعمارهم الثلاث سنوات، وعدم سكن أكثر من طفلين، دفعتني للبحث عن سكن آخر، وبالفعل انتقلت إلى إحدى البنايات المكونة من دورين فيها مسبح وقريبة إلى سكن الزميل الأستاذ عبد الرزاق محمد حمزة الذي كان مبتعثاً من وزارة المعارف للتخصص في الوسائل التعليمية إضافة إلى آخرين، وكانت هناك ألفة كبيرة بيننا على الصعيد الشخصي والأسرة والأبناء.

تعرفت على مجموعة من العوائل الأمريكية واستضافونا لديهم في مناسبات متعددة، شعرت أن الشعب الأمريكي ودود، طيب، اجتماعي، يعيش على طبيعته، ليس لديه أي نوع من التمييز أو العنصرية، يسعى إلى مساعدتك للدرجة التي يستطيعها، لا يقترب من عقيدتك أو الأمور الشخصية الخاصة بك، لديه حب الاستطلاع، ويحب التعرف على العادات والتقاليد الخاصة بك، الأمر الذي دفعنا إلى تكوين صداقات عديدة، والانخراط في الكثير من المظاهر الاجتماعية هناك.

وفي صيف عام 1970م أردنا إحضار ابنتي (وسام) من لبنان لكي تمضي العطلة المدرسية معنا، لم يكن الأمر هيناً لأننا نريد أن نأتي بطفلة لم يتجاوز عمرها السبع سنوات بمفردها في رحلة طيران قد تزيد عن 20 ساعة تمر بعدد من الدول، في ظل صعوبة سفرنا إلى هناك للمجيء بها، ومن حسن الحظ وجود الصديق عبد العزيز محمد الصديقي ـ يرحمه الله ـ الذي يعمل بالسفارة السعودية في لندن وهو أيضاً ابن عم زميلي في رحلة دراسة الإحصاء في لبنان محمد محمود الصديقي. ويعيش هناك مع أسرته وأبنائه، حيث هون الأمر عليّ كثيراً وقال: لا تشيل هم الموضوع، تستقل الطائرة من بيروت، وسأستقبلها أنا في لندن وأخذها من قلب الطائرة لتستريح مع بناتي وأسرتي لليوم التالي، لتواصل الرحلة إلى لوس أنجلوس وتكونون في انتظارها هناك.

وسام وخليل ابراهيم كردي في أمريكا

شعرت بالخوف والقلق على صغيرتي لأنها مغامرة كبيرة لنا ولها.. لكنني حرصت على غرس الإقدام والجرأة بقلبها في سن مبكرة وكانت متجاوبة ومستعدة للمغامرة، عشنا أياماً من الترقب، نتواصل بالهاتف مع بيروت ولندن، ويا لها من فرحة ونحن نتسلمها في المطار، وكان الرابح الأكبر شقيقها الصغير خليل الذي كان يفتقد من يلعب معه ويؤنس وحدته، بدأ ينقل لها تجاربه في المدرسة ويروي حكاياته البريئة.

احتفلنا كثيراً بـ(وسام) وذهبنا بها إلى عدد من المتنزهات والملاهي التي تزخر بها لوس أنجلوس، وتحولت بعد وصولها إلى (ملاح العائلة) تتولى إرشادي في الطرق والشوارع أثناء قيادتي للسيارة من خلال استخدام الخريطة وقراءة التعليمات وأسماء الشوارع، مضى الوقت سريعاً ووجدنا أنفسنا فجأة في مفترق طرق بين بقائها معنا أو عودتها إلى بيروت لمواصلة دراستها، وتصادف ذلك مع

الأخبار المزعجة التي بدأت تنتشر في تلك الفترة عن خطف الطائرات والتي بدأت من كوبا، وصدرت الظاهرة إلى عدد من المناطق الأخرى في العالم، الأمر الذي دفع شركات الطيران إلى الامتناع عن استقبال أطفال دون سن الـ18 عاماً ودون وجود ذويهم معهم.

اللحظات الفارقة من حياتك تتطلب أن تتخذ قرارات حاسمة وتتحمل تبعاتها.. فابنتي الصغيرة تريد العودة إلى بيروت بعد أن تعلقت كثيراً بخالتها التي كانت تشرف على تربيتها، إضافة إلى البيئة الدراسية التي أحبتها، والأخبار القادمة مع نشرات الأخبار تزيدنا رعباً وخوفاً، وتزيدنا تمسكاً ببقاء ابنتي معنا، وأمها تعيش في حيرة بين الأمرين، لكنني درست الموضوع بعمق وقررت أن تستمر (وسام) معنا حتى بقية مشوارنا في أمريكا، جاء القرار غير مرض لخالتها وجدتها في بيروت.. مثلما غضبت الصغيرة كثيراً، لكن سرعان ما نجحنا في ترضيتها، وبدأنا في ترتيب أمور الدراسة الخاصة بها.

واجهتنا مشكلة حقيقية أخرى في بداية التحاقها بالمدرسة، وضعوها في صف لتعليم اللغة الإنجليزية على مدار أسبوعين، وفيما بعد أكدت معلمتها أنها بمستواها قادرة على الدراسة مع قريناتها في نفس السن، واستمرت في الصف المعتاد مع زميلاتها، وفي أمريكا كما هو الحال في دول أخرى يتم إلحاق التلميذ في الصف الذي يتماشى مع عمره وأقرانه ويعطى الفرصة لإثبات قدرته على الاستيعاب دون النظر إلى شهاداته المدرسية والفصل الذي انتهى منه بخلاف نظام التعليم التقليدي في بلادنا حيث يلتحق التلميذ بالصف الذي تم ترقيته إليه من السنة الماضية، وهذا ما واجهنا عند عودتنا للرياض في عام 1972م.

وأكدت تقاريرها الدراسية تمتعها بقدرات ذهنية رائعة، وبعد عام واحد تقريباً سألتها: هل تشعرين بالندم على البقاء في أمريكا والدراسة؟ فقالت: صحيح أنني كنت متشوقة إلى لبنان لكنني سعدت كثيراً بالدراسة هنا، أمضينا أياماً جميلة حيث كنا نخرج في عطلة نهاية الأسبوع مع زميلنا عبد الرزاق حمزة وأسرته.

كذلك كنا لا نوفر فرصة لاستكشاف أماكن جديدة إلا واغتنمناها، وكنا نضع خطة مشتركة مدروسة قبل النزل إلى الطريق السريع، وكانت ابنتي وسام تقوم بمهمة الملاح بقراءة الخرائط ومعرفة العلامات والمناطق الهامة في طريقنا إلى الأهداف المحددة.

رحلة إلى أريزونا ونيفادا

رفعت شعار الجدية طوال فترة دراستي في جامعة كاليفورنيا (USC)، الأمر الذي ساعدني على إنجاز الماجستير في عامين ونصف وهي فترة وجيزة مقارنة بآخرين حصلوا عليه في فترات أطول، ورغم بعض الصعوبات التي واجهتها في البداية، إلا أن رحابة صدر الأساتذة وطريقتهم الرائعة في إيصال المعلومات والتعاطي مع المواد الدراسية المقررة، ساهمت في إزالة الكثير من الحواجز، ودفعتني إلى التركيز في هذه الأجواء الرائعة، علاوة على المرونة الكبيرة في اختيار المواد الدراسية بالتعاون مع المرشد الطلابي، واضطررت للمشاركة في بعض المحاضرات المسائية التي كانت تضم رجال أعمال ومهندسين وموظفين وذوي خبرات مميزة تساعد على اكتساب الخبرات منهم عن طريق النقاش والاحتكاك، علاوة على خبرات الأساتذة سواء في الصفوف الصباحية أو المسائية، وكانت الدراسة تعطينا وقتاً جيداً للعناية بالأسرة والسفر والترفيه.

زرنا العديد من الولايات وتجولنا في مناطق أمريكية كثيرة، ذهبنا إلى ولاية نيفادا غرب الولايات المتحدة الأمريكية التي تسمى الولاية الفضّية أو الميرميّة، وعاصمتها كارسون سيتي، وأكبر مدنها لاس فيجاس، وهي من أقرب الولايات إلى كاليفورنيا، كما تجولنا في ولاية أريزونا التي تقع في المنطقة الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة، وعاصمتها فينيكس وبها مدينة توسون ثاني أكبر مدينة، وأهم مناطق الجذب السياحي بها جراند كانيون، وبها الكثير من الغابات الوطنية، الحدائق، النصب التذكارية، والأراضي الهندية الخاصة.. وشاهدنا المعسكرات الخاصة بالهنود الحمر.

لم نشعر أننا نعيش غربة.. تكيفنا بشكل كبير مع الحياة في لوس أنجلوس وصرنا جزءاً منها، لكننا نقلنا الكثير من العادات السعودية والعربية إلى هناك، فقد تفننت زوجتي في إعداد الأطعمة السعودية واللبنانية، فهي محترفة ولديها هواية للمطبخ في آن واحد، وفي كثير من المناسبات التي نجهز فيه أطباقاً مشتركة نسمع ثناءً متواصلاً على ما تعده من طعام، كانت الحياة هناك أرخص مما هي عليه الآن.

كان مخصص الطالب 250 دولاراً شهرياً خلال فترة ابتعاثي في لوس أنجلوس، إضافة إلى 50 % من المخصص للزوجة و25 % لكل طفل ويصبح المجموع بالنسبة لي 500 دولار شهرياً، ولم يكن هذا المبلغ كافياً لتسيير حياتنا هناك، فاضطررت في أحيان كثيرة إلى السحب من رصيدي بالسعودية لإكمال تعليمي سواء مدخراتي أو نصف الراتب الذي نتسلمه من مصلحة الجمارك، لم أفكر في العمل خلال تلك الفترة، واتفقت مع أسرتي على أن هدفنا بجانب الحصول على الماجستير الوصول إلى الحد الأقصى من المتعة خلال الرحلة واكتساب الخبرات، رغم أننا حاولنا الاقتصاد على قدر المستطاع، نتناول معظم الوجبات الرئيسية في البيت، لدينا بطاقة عضوية في المجمعات الاستهلاكية القريبة نحصل من خلالها على المواد

المؤلف وابنه خليل في مارس ١٩٧٢ بامريكا

المؤلف والزميل عبد الرزاق محمد حمزة في رحلة مشتركة إلى أريزونا ديسمبر ١٩٧١م

التموينية والخدمات بأسعار أقل.

خرجت بمجموعة كبيرة من الأصدقاء والمعارف الذين زاملوني في فترة الدراسة منهم الأخوة: عبد الرحمن الحقباني مع أسرته، الدكتور حسين علوي رئيس جامعة العلوم والتكنولوجيا بجدة، والدكتور أحمد الشناوي الذي كان يجهز نفسه للعودة إلى المملكة مع الشهور الأولى لوصولي إلى هناك، والدكتور عبد الرحمن عبد الله الزامل الذي يعد من أنشط الشباب السعوديين في تلك الفترة والذي بات رئيساً لمجلس الغرف السعودية في الوقت الحالي، والدكتور عبد الرحمن السدحان الذي يتولى منصب الأمين العام لمجلس الوزراء حالياً، وقبل وصولي لوس انجلوس تخرج من ذات الجامعة مجموعة من السعوديين الذين وصلوا إلى كراسي

من اليمين الدكتور علي عبد العزيز العمير -يرحمه الله- والمؤلف والدكتور صالح عبد العزيز العمير في ديزني بلوس انجلوس

الوزراء مثل الدكتور غازي القصيبي والدكتور سليمان السليم والدكتور عبد الوهاب عطار والمهندس عبد العزيز الزامل وآخرون. حيث كانت لوس أنجلوس ملتقى لكثير من الكفاءات والمواهب، ومركزاً للعلم والتنوير، ونلتقي في أمسيات ثقافية وأدبية وتأتينا الصحف السعودية والعربية، ولا تغيب عن هذه الأنشطة قضايا الساعة في العالم العربي، وقد عشنا تفاصيل الاحتكاك الحضاري مع اليهود، كان هناك بعض الطلاب يدرسون في نفس الجامعة، ودأب بعض زملائي إلى الدفاع عن الحقوق العربية والدخول في مناظرات طويلة معهم.

انشغلت أمريكا في تلك الفترة ولوس أنجلوس على وجه الخصوص بحرب فيتنام التي ظلت حديث المجتمع الأمريكي فترة طويلة، فقد بدأت تداعياتها في 1965م ولم تلق أوزارها بشكل نهائي إلا في عام 1975م، الكثيرون يذهبون إلى جبهة القتال ويعودون قتلى أو مصابين، وظهرت العديد من الأصوات والمطالبات للرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون بإنهاء الحرب ووقف نزيف الدماء، حيث كانت الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية وتايلند وأستراليا ونيوزيلندا والفلبين متحالفة مع فيتنام الجنوبية، بينما تحالف الاتحاد السوفيتي والصين مع فيتنام الشمالية، قبل أن تتحد فيتنام الشمالية والجنوبية في 17 يونيو 1975م. تزايد الحراك بين الطلاب العرب الذين عاشوا تفاصيل حرب النكسة قبل أن يأتوا للدراسة في أمريكا، واهتز الجميع حين وصلنا خبر وفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي كان يمثل للكثيرين رمزاً للصمود والشموخ والتحدي في وجه العدو الصهيوني، وتأثر المتعاطفون معه بشكل كبير، وكنت أدرك أن المشاريع والطموحات الكبيرة إذا لم تكن مصحوبة بخطة عمل وآلية تنفيذ وأهداف واضحة فإنها تتحول إلى مجرد كلمات جوفاء وسراب لا يلبث أن يتلاشى.

صدمة وزلزال

رغم الابتعاد آلاف الأميال عن الوطن.. كان القلب يهفو دائماً إلى السعودية بكل تفاصيلها.. المدينة المنورة وأجوائها الروحانية الجميلة، المنطقة الشرقية التي عشت فيها أيامي العملية الأولى وتضم إخواني وأصدقائي وأقاربي، وجدة التي تركت فيها أجمل ذكرياتي وحكاياتي، كنا نتواصل مع الأهل عبر البريد والبرقيات، فلم يكن الهاتف الجوال قد بات وسيلة متاحة للجميع في تلك الفترة.

في هذه الأثناء وصلني خبر مؤلم ومحزن.. أبلغوني أن شقيقي الأكبر خالد أصيب ببوادر مرض الأورام الخبيثة في الرئة، حيث سافر معه أخي عبد الله إلى مصر ومناطق عديدة للعلاج، وعاشت الأسرة كلها حالة من القلق على صحته، لاسيما أنه يمثل الأب الروحي لنا جميعاً، فهو صانع الفرح وصاحب الابتسامة التي لا تغيب عنا، واستمرت هذه الحالة عاماً كاملاً بين علاج وأطباء ومراجعة مستشفيات، وشاءت الأقدار أن يبقى خالد على قيد الحياة حتى أنهي بعثتي وأعود من الولايات المتحدة الأمريكية وأراه قبل أن يودعنا للأبد.

وفي صيف عام 1971م حصلت وأسرتي على تذاكر سفر للعودة إلى السعودية في إجازة الصيف، لكننا عدنا إليها عن طريق الشرق الأقصى، سافرنا من لوس انجلوس إلى هاواي ثم مانيلا وطوكيو وكراتشي، ورغم أن فترة الرحلة كانت قصيرة جداً إلا أنها كانت المرة الأولى التي نتعرف خلالها على هذه الدول الجديدة التي كانت تعيش مرحلة نمو متزايد وتمثل مناطق جذب سياحي كبير.

عدت والشوق يملؤني إلى السعودية بعد عام ونصف قضيتها متصلة في لوس أنجلوس، هبطت للمرة الأولى في مطار الظهران الذي كان افتتحه الملك سعود بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ عام 1961م، شاهدت تحفة فنية رائعة صممها المهندس الأمريكي من أصل ياباني (مينورا ياماساكي) بتكلفة قدرها أربعون مليون ريال، حيث أصبح هذا المطار الصغير في حجمه والكبير بإمكاناته وموقعه الجغرافي بمثابة بوابة المملكة والخليج إلى العالم وكان مقصداً سياحياً والذهاب إليه كان درساً مجانياً في الجغرافيا والتعلم في احترام الآخر، وكنا نستمتع بالوقوف عند السياج الفاصل بين المبنى الدولي والداخلي لنرى الطائرات من جميع الشركات تهبط وتقلع.

ذهبنا إلى الدمام وصدمت خلال رؤيتي الأولى لأخي وشقيقي وأبي وأستاذي خالد بعد أن تمكن المرض منه وظهر على جسمه الضعف، رغم أنه كان يذهب إلى عمله ويؤدي الكثير من مهامه الرئيسية، كانت والدتي تنتظرني أيضاً بشوق في منزل شقيقي رغم الظروف الصعبة التي ألمت به، والتي ظهرت آثارها بشكل واضح على وجوههم، وجدت أيضاً شقيقي مالك وكعب والتقيت الأسرة كلها في هذه الرحلة القصيرة.

زلزال كاليفورنيا

الآثار المدمرة لزلزال كاليفورنيا

كانت الدمام في تلك الفترة هي المركز الرئيسي لتجمع الأسرة، قبل أن تذهب زوجة شقيقي خالد وأبناؤها إلى جدة بعد سنوات عديدة، واستقر مالك وكعب فترة طويلة هناك، قبل أن يقرر مالك العودة إلى مسقط رأسه بالمدينة المنورة ولحق به كعب بعد سنوات، وسكن الاثنان في بناية واحدة في طيبة الطيبة بجوار الأهل والأقارب حتى لقيا وجه ربهما قبل سنوات، في المقابل ظلت والدتي بمثابة الحمامة المتنقلة من مكان إلى آخر تنقل الحب والحنان إلى جميع أبنائها، تجلس في الدمام ثم تنتقل إلى جدة وتستقر كثيراً في المدينة المنورة التي يهفو لها قلبها، حيث كان يشكل منزل أخي عبد الله بيت الأسرة الكبير.

عدت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإكمال مشواري مع الماجستير.. فوجدت قصة أخرى من الرعب تنتظرني، عشت تفاصيل الزلزال المدمر الذي شهدته كاليفورنيا في 9 فبراير عام 1971م، وكان مركز الزلزال هو لوس انجلوس وجاء بقوة 6.6 وتسبب في تلفيات بالغة، بدأت تداعياته عند الخامسة فجراً، حين شعرنا باهتزاز الأرض من حولنا وتراقص المبنى يميناً ويساراً مصحوباً بأصوات صريخ وعويل، ولحظات رعب لاسيما أن المنازل أغلبها من الخشب ومع اهتزاز المبنى كانت تصدر أصوات تزيد من حالة الرعب، وخلف الزلزال خسائر مادية كلفت أمريكا 553 مليون دولار بقيمة ذلك الوقت.

استيقظنا على الصراخ الذي يتزايد في الشارع.. وصوت قارورة المياه التي ارتطمت وتهشمت في الأرض بعد أن سقطت من فوق ثلاجة المياه، ولمبات الكهرباء التي ترتطم في بعضها، حاولنا الانتقال إلى الغرفة المجاورة التي تتواجد بها وسام وخليل، لكننا لم نفلح في فتح الباب بعد أن اختل توازنه تماماً، ثواني قليلة مضت وكأنها ساعات، نظرنا من الشرفة فوجدنا كابلات الكهرباء تضرب بعضها البعض وتخرج شراراً نارياً، بينما تحول المسبح الموجود في البناية إلى جزء من محيط ترتفع المياه إلى أعلى ثم تهبط بسرعة.

وطوال هذه الفترة لم نكن نعرف أن ما يحدث هو زلزال فقد كانت التجربة الأولى لنا، لكننا حين نزلنا مع الجيران إلى الشارع عرفنا حقيقة الأمر، هدأت الأمور نسبياً واستمر الرعب يسيطر علينا أسابيع عديدة نتيجة التوابع التي تحدث عقب الزلزال مباشرة، لم نستطع أن ننام في المنزل خلال الليلة الأولى، جلسنا في موقف سيارات أمام بعض المحلات التي تفتتح أبوابها 24 ساعة.

ترك الزلزال آثاراً كثيرة مدمرة شاهدتها بعيوني.. السيارات تحطمت.. الكباري سقطت.. قضبان السكة الحديد التف على بعضه بطريقة عجيبة، بل ترك آثاراً اجتماعية وعائلية كبيرة في لوس أنجلوس، لدرجة أنه تسبب في حالات طلاق وانفصال بين الأزواج، ولازلت أذكر تفاصيل هذا الزلزال كلما ذهبت إلى لوس أنجلوس حتى الوقت الحالي.

في أثناء المدة التي قضيتها في لوس أنجلوس عاودت التواصل مع زميل الدراسة الأخ محمد أحمد الصبيحي (الدكتور) الذي كان يقيم مع عائلته في منطقة قريبة من لوس أنجلوس وزرناه في سكنه.

والدكتور الصبيحي شخص ودود لا تمل الجلسة معه، وكان في ذلك الوقت يحضر الماجستير والدكتوراه حيث أكمل مشواره الدراسي وعاد إلى المملكة يساهم في نشاطه الإعلامي الذي يعشقه، ولقد حباه الله بصوت رخيم جهوري متميز وله جمهور كبير ومحبين كثر، خصوصاً عندما يسمعونه يقرأ دعاء السفر في رحلات الخطوط الجوية السعودية.

نظرية مستر جلدي

لا أدري لماذا تذكرت شخصية مستر جلدي خلال وجودي في الولايات المتحدة الأمريكية؟ كان اسمه يتردد على كل لسان خلال فترة عملي بجمارك المنطقة الشرقية، لم أتعرف عليه عن قرب، لكنني كنت أسمعهم يتحدثون كثيراً عن شخصيته الجذابة والقوية، وإسطبل الخيول الذي يمتلكه، جاءت به أرامكو من الولايات المتحدة الأمريكية ليتولى مهمة تشغيل وإدارة خط السكة الحديد الذي يربط ميناء الدمام بالرياض، بهدف توصيل مواد البناء والبضائع إلى العاصمة الجديدة التي تحولت وقتها إلى ورشة عمل كبيرة لتكون إحدى المنارات بمنطقة الخليج والوطن العربي.

قفز اسمه فجأة أمامي في لقاء جمعني مع زميل الدراسة في الماجستير عبد المحسن أسعد بشاوري الذي كان يدرس معي أيضاً في الثانوية الليلية بالساحل الشرقي بالسعودية، تذكرناه سوياً وأبلغني أن مستر جلدي يسكن بالقرب من لوس أنجلوس وأنه حصل على رقم هاتفه، تحركت بدافع حب الاستطلاع وأبلغته عبر الهاتف أنني عاصرته خلال عمله بالسعودية وأريد التعرف عليه، رحب باستقبالي في منزله وبالفعل ذهبت مع زوجتي للقائه، ووجدته محتفظاً بكثير من القطع الأثرية والتقليدية من سجاد ومشغولات في منزله هناك، وأكد أنه يعتز بهذه الفترة المهمة في حياته ويحمل الكثير من الذكريات الرائعة لكل من قابلهم على أرض المملكة.

تعلمت من لقاء مستر جلدي أن العالم يحتاج إلى بعضه البعض، وأن الشعوب تخدم بعضها، ساهم وجود هذا الرجل في الكثير من الخدمات المهمة للسعودية، عبر خط السكة الحديد الذي بات أحد المعالم الرئيسية للنهضة في الخمسينيات والستينيات الميلادية، وحتى الآن لا زال يمثل شرياناً هاماً للمواصلات ونقل المؤن من الساحل الشرقي إلى وسط الجزيرة وعاصمة المملكة، وفي الوقت نفسه أعطى صورة رائعة عن وطنه وخدمات جليلة له أيضاً من خلال جلب الكثير من المواد الخام منه، وتأكدت أن نظرية التقوقع التي ينادي بها البعض عندما يقولون (هم يحتاجونك أنت لن تحتاجهم) هي ضرب من الخيال، فالعالم يحتاج إلى بعضه البعض، ولا يمكن أن يتعايش البشر بدون التمازج وتبادل المنافع.

بدأنا الاستعداد لحفل التخرج الذي يمثل إحدى الذكريات المهمة في مشواري، كل شيء هناك محسوب بدقة، لابد أن تذهب في البداية لأخذ مقاسات ملابسك، يتم استئجار زي التخرج لاستخدامه في الحفل والتصوير به ثم إعادته، يتعاملون مع كل الأمور بواقعية شديدة، صحيح تصل قيمة إيجار المعطف والقبعة إلى نصف ثمنها لكنك ستستخدمها مرة واحدة فقط، كانت لحظات حالمة ورائعة لا تنسى، يا له من

شعور جميل وأنت تحصد ما زرعته بعد تعب وكفاح، جمعنا حقائبنا وعدنا على عجالة عقب تسلمي شهادة الماجستير من جامعة جنوب كاليفورنيا، احتفظت أيضا بالشارة التي تلبس مع القبعة.. وهي مازالت معي حتى الآن.

قبل شهور قليلة من عودتي إلى المملكة وصلني خطاب رسمي يتضمن حدوث إعادة هيكلة جديدة لمصلحة الجمارك، ونقل مقرها الرئيسي من جدة إلى الرياض، لم تكن الفكرة جديدة في هذا المجال بالنسبة إليّ، فقد كانت قائمة ومطروحة قبل ذلك بفترة طويلة، لكن العم الشيخ محمد نور رحيمي كان أكبر المعارضين لها لأسباب ومبررات موضوعية، فميناء جدة يستقبل ما يزيد عن 70 % من حجم الحاويات

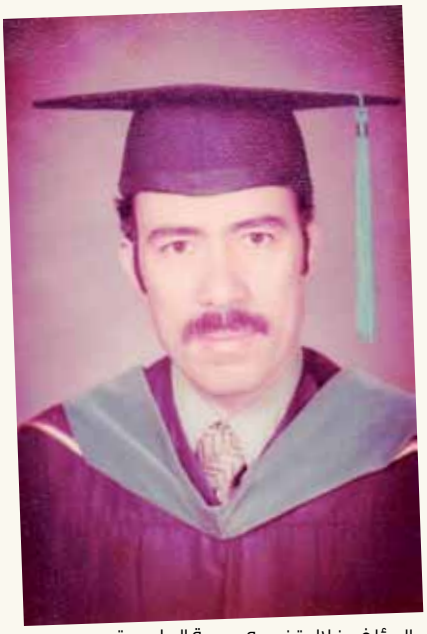

المؤلف خلال تخرجه بدرجة الماجستير

UNIVERSITY OF SOUTHERN CALIFORNIA

The Trustees of the University by virtue of the authority vested in them and on the recommendation of the faculty of

THE SCHOOL OF PUBLIC ADMINISTRATION

have conferred the Degree of

MASTER OF PUBLIC ADMINISTRATION

on

IBRAHIM YOUSIF KURDI, B.S.

who has successfully completed the requirements

Given at Los Angeles, California, on the eighth day of June, in the year of our Lord, one thousand nine hundred and seventy-two

شهادة الماجستير من الولايات المتحدة الامريكية

والبضائع التي تصل للمملكة، علاوة على أن الكثير من الدول المجاورة ومنها مصر على سبيل المثال يكون المقر الرئيسي لمصلحة الجمارك بجوار الميناء الرئيسي في الإسكندرية وليس القاهرة، وأجلت وزارة المالية تنفيذ المقترح أكثر من مرة تقديراً للشيخ محمد نور رحيمي، وانتظروا حتى تمت إحالته للتقاعد وبدأوا في الإجراءات الفعلية التي انتهت بنقل مصلحة الجمارك إلى العاصمة السعودية الرياض.

رغم المقدمات الكثيرة لقرار النقل إلا أنها مثلت مفاجأة لكثير من الموظفين الذين اعتادوا على العيش في جدة، وتم نقلهم دون تهيئة الأجواء والظروف المناسبة، الأمر الذي دفع الكثيرين منهم إلى طلب النقل إلى إدارات أخرى أو الخروج المبكر للمعاش، ولاشك أن هذه التجربة رغم سلبياتها أفادت الدولة كثيراً في إجراءات النقل التي حدثت لبعض الجهات فيما بعد، حيث تم تجهيز حي كامل لموظفي وزارة الخارجية، وعدد من الإدارات الأخرى.

الأنباء التي وصلتني في أمريكا غيرت مسار رحلتي القادمة من أمريكا في يونيو 1972م، فجاء طريق العودة عبر بيروت حيث تركت فيها زوجتي وأبنائي، ثم واصلت السفر إلى الرياض حيث مقر عملي الجديد الذي ذهبت إليه على عجالة لاستكشف الأمر، كان الأستاذ فهد الدغيثر مدير عام معهد الإدارة العامة هو المشرف على الجمارك خلال فترة نقلها، وقد اختار الأستاذ حمد إبراهيم الرشودي مديراً عاماً مكلفاً للجمارك، والأخير تربطني به زمالة دراسة في الولايات المتحدة الأمريكية وعاصرته خلال جزء من البعثة، قابلته في مكتبه وحرصت على أن أترك له المساحة الكافية التي تتماشى مع وضعه الجديد، وفي الوقت نفسه وجدت حالة من عدم الرضا لدى زملائي السابقين الذين انتقلوا إلى الرياض ولم يجدوا مكاتب أو عمل أو مهام محددة.

شعرت أن الأجواء لم تعد مناسبة للاستمرار والبقاء في المصلحة التي قضيت فيها ما يقارب من عقدين، على الرغم أنني كنت بدأت في ترتيب حياتي بالرياض، اشتريت سيارة واستأجرت فيلا بمنطقة الملز بسعر لم يتجاوز سبعة آلاف ريال في العام، وعرض صاحبها فكرة بيعها إليّ، لكنني لم أكن أملك السيولة التي تمكني من الإقدام على هذه الخطوة.

جاء أبنائي إلى الرياض مع انطلاق الدراسة في خريف 1972م، وواجهنا مشكلة كبيرة حيث كانت اللغة الإنجليزية هي الطاغية على حديثهما، أجرت مدرسة التربية النموذجية بالرياض اختباراً في اللغة العربية لوسام التي كان يفترض دخولها الفصل الخامس الابتدائي فصدمونا وقالوا إنها ستعود للصف الأول لضعف لغتها العربية، تعهدت والدتها أن تجعلها في مستوى أقرانها خلال أسبوعين فقط، خاضت التحدي بإصرار خوفاً على مستقبل صغيرتنا وظلت تراجع لها ليل نهار، ليتم إنقاذ الموقف في النهاية وتدخل الفصل الخامس، بينما لم تواجهنا أي مشكلة بالنسبة لخليل الذي جاء مع بداية دخوله للمرحلة الابتدائية.

انخرطنا في أجواء الرياض بمساعدة أقارب زوجتي الذين خففوا علينا هذه الفترة

مع الزميل الاستاذ عبدالرزاق محمد حمزة أمام نصب تروجان في جامعة جنوب كاليفورنيا في حفل التخرج مايو ١٩٧٢م

الانتقالية علاوة على وجود بعض زملاء الدراسة والأقارب الآخرين، نخرج نهاية الأسبوع إلى البر نستمتع بالمتنزهات المتاحة، ونسعى إلى إقناع أبنائنا بالواقع الجديد وحياتهم التي بدأت تتشكل معالمها.. عاشوا طوال الفترة السابقة بين جدة وبيروت وأمريكا، لكنهم وجدوا الظروف مهيأة تماماً لبدء محطة جديدة من محطات العمر.

إضاءات

- الناس في عجلة من أمرها، كل شخص مشغول بنفسه، لا أحد يساعدك أو يستجيب إليك، إذا ناديته سيقول ابحث عن الخارطة، أخذت انطباعاً سلبياً عن نيويورك في البداية.. شعرت أنها مدينة بلا قلب.
- عمدت في الفترة الأولى لوصولي إلى لوس أنجلوس على دراسة الجوانب الطبوغرافية للمكان الذي أسكن به، عرفت أن جامعة جنوب كاليفورنيا من الجامعات العريقة، لكنها تقع وسط منطقة فقيرة ترتفع فيها نسبة الجريمة.
- قيادة السيارة في كاليفورنيا تمثل رعباً حقيقياً في ظل القوانين الصارمة الموجودة هناك، كثير من الطلاب السعوديين يرفضون خوض التجربة خشية الوقوع في المحظور.
- حرصت على غرس الإقدام والجرأة في قلوب أبنائي بسن مبكرة، عشت أياماً من الترقب نتابع سفر وسام ابنة السبعة أعوام وحدها من بيروت إلى لوس أنجلوس.. وبعد ٢٠ ساعة طيران جاءت التجربة ناجحة.
- في لحظات فارقة من حياتك لابد أن تكون هناك قرارات حاسمة تتحمل تبعاتها.. وهذا ما حدث عندما وقفنا في مفترق طرق بين عودة ابنتي للدراسة في بيروت أو الاستمرار معنا في أمريكا.
- لم نشعر أننا نعيش غربة.. تكيفنا بشكل كبير مع الحياة في لوس أنجلوس وصرنا جزءاً منها، ونقلنا الكثير من العادات السعودية والعربية إلى هناك.
- أدرك أن المشاريع والطموحات الكبيرة إذا لم تكن مصحوبة بخطة عمل وآلية تنفيذ وأهداف واضحة فإنها تتحول إلى مجرد كلمات جوفاء وحبر على ورق.
- الشعب الأمريكي ودود، طيب، اجتماعي، يعيش على طبيعته، ليس لديه أي نوع من التمييز أو العنصرية، يسعى إلى خدمتك للدرجة التي يستطيعها، ولا يقترب من عقيدتك أو المساحة الشخصية الخاصة بك.
- تعلمت من لقاء مستر جلدي أن العالم يحتاج إلى بعضه البعض، وأن الشعوب تخدم بعضها، وتأكدت أن نظرية التقوقع التي ينادي بها البعض خاطئة، ولا يمكن أن يتعايش البشر بدون التمازج وتبادل المنافع.

الفصل السادس

الرياض

المنعطف الأهم

مطعم السفراء

على بعد خطوات من أشعة الشمس القاسية التي ترسم تفاصيل الصيف بالعاصمة الرياض.. وفي مطعم السفراء بشهر يوليو 1972، حيث اعتدت على تناول طعام الغداء هناك، تصادف وجود الدكتور أحمد عبد القادر شيناوي الذي تقابلت معه في لوس انجلوس وحضرت حفل تخرجه، وعلمت الكثير عن أخلاقه الرفيعة وأدبه الجم، أبلغني أنه تولى مسؤولية مؤسسة الصوامع والغلال، إحدى المؤسسات الوطنية التي ستتولى إقامة مشاريع عملاقة لتخزين القمح وتوفير الدقيق في شتى أرجاء المملكة، وعرض عليّ فكرة الانضمام إليها، مؤكداً أن تخصصي في الإدارة العامة يتماشى مع المنصب الموجود في الإدارة العليا للمؤسسة والذي مازال شاغراً.

شعرت بكثير من الاعتزاز لدعوته الكريمة.. وقلت له إنني مازلت أتلمس الأوضاع في الرياض، وطلبت منه إعطائي الفرصة لأفكر قبل اتخاذ قراري النهائي بعد ترتيب كل أوراقي، وبالفعل حصلت على هاتفه مع وعد أن يكون هناك لقاء قريب، ولم أدر وقتها أن القدر يخبئ لي لقاء طويلاً استمر سنوات عديدة مع الرجل الذي يجمع بين المهارة والكفاءة والتعامل الرائع مع الجميع.

في الفترة نفسها عرضت عليّ الكثير من الفرص الوظيفية الأخرى تواكباً مع شهادة الماجستير التي عدت بها من أمريكا، منها العمل بالمؤسسة العامة للموانئ التي كانت في بداية تأسيسها ايضاً، وبعض الجهات الحكومية الأخرى، لكنني كنت حريصاً على استشارة من أثق في رجاحة فكرهم، واستقر الأمر بالفعل على الانتقال إلى صوامع الغلال التي تملك مشروعاً وطنياً رائعاً سيساهم في توفير الأمن الغذائي للمملكة على المدى البعيد، علاوة على أنني شعرت أن العمل مع بدء وضع اللبنات الأولى للمؤسسة سيخدم أهدافي وتوجهاتي.

6 أشهر كاملة وأنا أحسب الأمور بدقة في ظل تحفظ الجمارك على انتقالي، لكنني نجحت في تجاوز الأمر وحصلت على موافقة مبدئية من الأستاذ فهد الدغيثر المشرف العام على مصلحة الجمارك بعد الاستعانة بأحد الأصدقاء المشتركين والذي ساهم في إقناعه، ثم أبلغت الدكتور أحمد شيناوي بجاهزيتي للعمل على الفور في صوامع الغلال، وذهبت إلى مكتبه في اليوم التالي، واستقر الأمر على تعييني بوظيفة خبير إداري للإشراف على توفير القوى البشرية والاختيار والتدريب ورسم الاستراتيجية والهيكلة الإدارية للمؤسسة والتنسيق مع الشركات ذات العلاقة، وغيرها من الأعمال التي أعطتني صلاحيات واسعة لاتخاذ الكثير من القرارات المهمة مع بداية مرحلة عملي، كثالث أهم الشخصيات في المؤسسة الوطنية التي نما دورها بشكل واضح في الفترة التالية.

المؤلف على مكتبه في صوامع الغلال بالرياض

سمعت كثيراً عن صوامع الغلال خلال مرحلة تعليمي الثانوي حيث كانت تعد من المشاريع المتعثرة، يتحدث الإعلام عنها كثيراً ويقول إنها ستقوم بدور استراتيجي لتوفير الأمن الغذائي، لكن لم تظهر على أرض الواقع، إلا عندما تبنى معالي وزير التجارة الأستاذ محمد العوضي الفكرة وتحمس لها بشكل كبير، ووضع لها نظاماً أساسياً اعتمده مجلس الوزراء، وتضمن النظام مرونة كبيرة، وضمن استقلالية المؤسسة وأن مجلس إدارتها هو المرجعية المعتمدة، بما في ذلك وضع كادر خاص وسلم رواتب يختلف عن كادر نظام الموظفين مع استقلالية في التوظيف والترقيات وكثير من عوامل الجذب للكفاءات والاحتفاظ بها دون العودة إلى ديوان الخدمة المدنية، مع مرونة كبيرة في وضع ميزانيتها من وزارة المالية دون عراقيل، وأنشئت المؤسسة رسمياً بمقتضى المرسوم الملكي م/14 الصادر في 25 ربيع الأول عام 1392هـ (١٩٧٢م) والمعدل بالمرسوم الملكي رقم م/3 الصادر في 12 صفر عام 1406هـ (١٩٨٦م) في إطار التخطيط الذي أعدته الدولة، حيث كانت المؤسسة العامة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق مرتبطة في البداية بوزارة التجارة والصناعة قبل أن تتحول بعد سنوات إلى وزارة الزراعة.. حيث قامت المؤسسة على خمسة أهداف رئيسية تتمثل في:

- تكوين صناعة متكاملة لتخزين الغلال وإنتاج الدقيق وتصنيع علف الحيوان.

ـ إدخال صناعات غذائية أخرى مرتبطة أو مكملة.
- تسويق منتجات المؤسسة داخل السعودية.
- شراء الغلال وإيجاد مخزون احتياطي مناسب منه لمواجهة الظروف الطارئة.
- الأخذ بعين الاعتبار أهداف السياسة الزراعية المعتمدة.

وضع الدكتور أحمد شيناوي اللبنات الأولى.. وعندما ذهبت إليه كان يرسم تفاصيل الخطط والمشاريع العملاقة بوجود شخصين فقط، أحدهما خبير اقتصادي والثاني سكرتير وتم الحصول على موافقة الجمارك على نقل خدماتي في الصوامع اعتباراً من بداية عام 1973م، وبعد فترة وجيزة انضم إلينا الأستاذ عبد الرحمن داود كمدير مالي، وظل الدكتور الشيناوي يعمل ليل نهار من أجل ترتيب هذا الكيان الذي لعب دوراً رياديا في التنمية الغذائية التي شهدتها المملكة في فترة الثمانينيات والتسعينيات الميلادية، وكان النموذج الذي تبناه مجلس الإدارة بناء على اقتراح الدكتور أحمد شيناوي هو التعاقد مع شركة متخصصة لكي تكون استشارياً للمشروع، وبعد استعراض عدد من العروض وقع الاختيار على شركة بيلسبيري هولندخ كندا ومقرها في مدينة مينيابوليس في ولاية ميناسوتا، وكان الدور المنوط بها وضع التصاميم الهندسية وتحديد الطاقات التخزينية للصوامع والمطاحن ومصانع الأعلاف، علاوة على الإشراف على جميع مراحل المشروع العائدة للمؤسسة بما في ذلك مراحل التشغيل وتدريب الكوادر البشرية، إضافة إلى أن الاستشاري يساعد على ترشيح عدة مقاولين لتوريد الآلات والمعدات وتركيبها وتشغيلها وضمان حسن الأداء، ومن جهة أخرى يقوم الاستشاري بوضع برامج تدريب تفصيلية وتحديد مواقع التدريب في أمريكا وكندا.

لقد ساعدت الاتفاقية مع الاستشاري على خلق جيل جديد من الكفاءات المؤهلة التي أخذت تتدرج من المستويات المبتدئة حتى أنها أخذت على عاتقها التشغيل والصيانة بعد بدء المشروع، ويسرني أن أذكر فيما بعد أسماء بعض الشباب السعودي الذي كان له دور رائد ونواة لكادر فني وإداري لصناعة وتشغيل صوامع الغلال ومطاحن الدقيق ومصانع الأعلاف.

ظهر الدكتور أحمد شيناوي شفافاً ومنظماً منذ اللحظة الأولى.. أوضح لي الهيكلة الإدارية للإدارة العليا للمؤسسة العامة لصوامع الغلال، والدور المنوط بي بما يتماشى مع خبرتي والماجستير الذي حصلت عليه للتو من أمريكا، ولاحظت وجود الكثير من التحديات المرافقة للعمل والتي تحتاج إلى جهد كبير وعمل شاق.

بدأنا في مبنى صغير ملحق بوزارة التجارة وبالتحديد في مركز الأبحاث والتنمية الصناعية، وبحثنا فيما بعد عن مقر مستقل للمؤسسة حيث لم يعد المكان كافياً لاستيعاب عدد الموظفين الذين التحقوا بالعمل والإدارات الجديدة التي تم استحداثها، وبالفعل وقع اختيارنا على أكثر من موقع بمدينة الرياض قبل أن نستقر على المقر

المؤقت، وبعد ذلك بعدة سنوات أقامت المؤسسة مبناً خاصاً بها بتصميم فريد يقع على أحد الشوارع الرئيسية في العاصمة الرياض، وكانت الخطة التي وضعت ونوقشت مع الاستشاري في بداية التأسيس مبنية على محورين.. الأول قصير المدى يركز على توفير الاحتياجات الأساسية للعمل الفوري في بداية التأسيس لتوفير الكادر اللازم من الموظفين والخبراء والمحاسبين والمهندسين لمواجهة متطلبات فترة التأسيس، والثاني طويل المدى يقوم على تدريب وتأهيل الشباب السعودي لتسلم أدوار قيادية في صوامع الغلال ومطاحن الدقيق.

وفي البداية تم الاستعانة بمكتب الحرس الوطني في القاهرة واتخاذه كمقر وعنوان لاستقبال طلبات التوظيف وإجراء المقابلات للمتقدمين، وكان الزميل يوسف بياري الخبير الاقتصادي ومؤلف هذا الكتاب هما لجنة التوظيف، حيث تمكنا من اختيار مدير الحسابات، مهندس مدني، مستشار قانوني، وآخرين، حيث استقبلنا أعداداً كبيرة عقب نشر الإعلانات في الصحف المصرية عن الوظائف المتاحة، ومن ضمن الوظائف الرئيسية التي طرحت مهندس مدني لمتابعة المشاريع والتنسيق مع الشركات الاستشارية والمقاولين، وكذلك مستشار قانوني يراجع العقود والاتفاقيات التي سيتم إبرامها في البداية، وتمكنا من استقطاب عنصر مهم عاصر كتابة العقود مع الشركات الاستشارية والمقاولين، إضافة إلى موظفين في الإدارة وفنيين، وذلك علاوة على رئيس المحاسبين ومدقق حسابات وغيرهم.

شبابنا في كنساس

بالتواكب مع إتمام الجهاز الإداري المدرب القادر على ممارسة العمل وإدارة شؤون المؤسسة، بدأنا في استقطاب شباب من الجامعات ومعاهد التدريب المهني والثانوية الصناعية، لم نعتمد على الإعلانات فقط، بل قمنا بالاتصال مباشرة بالمعلمين والمسؤولين في المعاهد الصناعية للحصول على مرئياتهم بالنسبة للأسماء المرشحة التي تتميز بالجدية والالتزام، وأجرينا مقابلات مع المرشحين في جدة والرياض والمنطقة الشرقية، ثم جرى اختصار العدد إلى 20 شخصاً، وبعدها اتصلنا بكلية البترول والمعادن التي تحولت فيما بعد إلى جامعة الملك فهد للبترول، وذهبت إلى الجامعة في الظهران وقابلت عدداً من المسؤولين وأوصوا بعدد من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم واختيار عدد منهم لتأهيلهم إلى مناصب قيادية، في حين ستتركز مهمة الشباب من المعاهد الصناعية على الجوانب التشغيلية.

تعاقدنا مع شركة متخصصة في تكنولوجيا مطاحن الدقيق، ووضعنا أدلة وتنظيماً لكل جانب من جوانب مؤسسة صوامع الغلال، وتم البدء في اتجاه جديد يقوم على العلم والدراسة والتأهيل الصحيح، حيث تم الترتيب عبر الشركة الاستشارية مع إحدى الكليات بجامعة كنساس التي تقع في نفس الولاية على نهر المسيسيبي تحمل نفس الاسم، تعتمد بشكل أساسي على الزراعة واشتهرت بإنتاج القمح، وفي المقابل أخطرنا الطلاب المستهدفين وأقمنا لهم دورة تدريبية لتهيئتهم قبل السفر، وانطلقت هذه المجموعة في رحلة طويلة رافقتهم خلالها، ذهبنا إلى دراسة الجانب النظري هناك، في حين كانت الدراسة العملية في مطاحن تابعة إلى شركة بيلسبيري وشركات أخرى.

وضمت قائمة الشباب الذين سافروا للتأهيل في أمريكا كلاً من: محمد الزهراني، سلمان المزيني ، أحمد بردي ، حامد بيك، عيسى الغامدي، علي مشهور ، علي الحاجي، سلمان العوامي، محمد الفرج، صالح أبو السعود، عبد الرحمن الملحم، خليل العبدالعظيم، صالح الحرز، محمد البحراني، وحسن الغافلي.

كانت متطلبات العمل في المطاحن قاسية إلى حد كبير، حيث تقع بعض الظروف الطارئة مثل تسرب مفاجئ لكميات كبيرة من الدقيق في عمليات الطحن، ويتطلب ذلك حالة استنفار من أكبر مسؤول إلى أصغر شخص للسيطرة على الأمر، واستخدام المكانس لجمع الدقيق وتدويره، وكان من الضروري تهيئة كل شخص يعمل في هذا المجال على الإمساك بالمكنسة بما في ذلك رئيس المطحنة نفسه، ولم يتقبل بعض الشباب هذا الوضع في البداية، لكننا نجحنا أن نقدم لهم نماذج

مجموعة من المتدربين الذين تم إرسالهم إلى أمريكا لدراسة تكنولوجيا الصوامع والمطاحن عام ١٩٧٤م

مدخل كلية كانساس بأمريكا التي شهدت تدريب المتدربين السعوديين

رائعة تساهم في تغيير هذه الثقافة التي جاؤوا بها. شاهدوا بأعينهم بشكل عملي القيادات العليا في مطاحن الدقيق تعمل دون تكبر.. فتغيرت قناعاتهم وتقبلوا هذا الوضع. بات الجميع مؤهلاً لفرز القمح والتعرف على نوعه ونظافته وسلامته من السوس والشوائب. علاوة على عملية الطحن وتوفير المخزون الاستراتيجي للوطن من هذه السلعة الرئيسية التي تدخل في تكوين مجموعة كبيرة من الأطعمة.

وإنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن تمكنت المؤسسة العامة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق في خلق جيل من الكفاءات الذي أخذ على عاتقه تشغيل وإدارة وصيانة وتوسعة مشاريع الصوامع بشكل مبهر مما يؤكد أن الاستراتيجية طويلة المدى التي اتبعتها المؤسسة بقيادة معالي الدكتور سليمان السليم وزير التجارة ورئيس مجلس إدارة المؤسسة و معالي الدكتور احمد عبد القادر شيناوي مدير عام المؤسسة في مجال استقطاب وتدريب العناصر الشابة مع بداية تأسيسها وابتعاثهم الى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأوروبا للدراسة و التدريب والعودة مع بداية تشغيل باكورة مشاريعها في الرياض وبعدها إلى مناطق المملكة الأخرى. ساهمت تلك السياسة في خلق جيل من الرواد في صناعة حديثة بالمملكة متمثلة في مناولة وتخزين الغلال. والشروط التي يلزم توافرها ومراعاتها بشكل دقيق وصارم. تجنباً للأخطار المصاحبة للصناعة. علاوة على أسس وتقنيات المطاحن للحصول على المنتجات المختلفة ذات الجودة العالية التي تلبي احتياجات السوق. مع القدرة على مواكبة كافة المتغيرات في هذه الصناعة والتطور التكنولوجي للمطاحن وكذا صناعة الأعلاف.

ومن خلال الكفاءات الرائدة في هذه الصناعة تمكنت الصوامع من إسناد مهام عديدة في كافة مراحل الصناعة لمجموعة من الشباب الذين عملوا لسنوات عديدة وتمكنوا من تطوير مهاراتهم الفنية والإدارية والإشرافية من خلال التدريب على العمل و المشاركة في المؤتمرات والمعارض العالمية المتخصصة في هذه المجالات وأصبحوا يضاهون نظراءهم في الصناعة بالدول الأخرى المتقدمة.

ويشرفني أن أذكر بعض الأسماء من الإدارة العليا وكبار المسؤولين من طلائع الشباب الذين ساهموا في إقامة وتشغيل وصيانة وإدارة هذه الصناعة الوليدة (صوامع الغلال ومطاحن الدقيق).

أولاً فئة المدراء: معالي الدكتور أحمد عبد القادر شيناوي المدير العام للمؤسسة. الأستاذ يوسف بياري خبير اقتصادي. الأستاذ عبد الرحمن محمود داود مساعد المدير العام للشؤون المالية وإبراهيم يوسف كردي مساعد المدير العام للشئون الإدارية.

ثانياً فئة المهندسين والجامعيين: م.د. محمد نجيب خضر. م. أحمد عبد الوهاب عابد. م. عبد المحسن محمد العتيبي. م. رضا سليمان صبان. م. إبراهيم نجم الحزامي.

أول دفعة يتم إرسالها في بعثة تدريبية لأمريكا من خريجي المدارس الثانوية المهنية لتأهيلهم للعمل في صوامع الغلال

م. منصور السويح، م. عبد الله سليمان الربيعان، م. عبد الله المداني، م. عبد الرحمن باخذلق.

فئة الإداريين: أ. عبد العزيز البسام، أ. حمد الطعيمي، أ. عبد الحميد جابر.. ويرجى المعذرة من الإخوة الذين لم تذكر أسماؤهم ليس بهدف التقليل من مساهمتهم الفعالة ومشاركتهم مع بقية زملائهم ولكن بسبب السهو.

لقد استمر العديد من الزملاء المذكورة أسماؤهم في العمل بالصوامع لفترة من الزمن، ولكن الكثير منهم قد انتقل إلى مجالات أخرى، وحققوا نجاحات بارزة سواء في الصناعة أو التجارة أو الاستشارات.

وفي نفس الوقت فإن الكثيرين منهم حصلوا على تدريب في الخارج خلال عملهم في المؤسسة في إدارة وتشغيل الصوامع والمطاحن وقد استمروا في العمل

معالي الدكتور سليمان السليم وزير التجارة ومعالي المدير العام للمؤسسة الدكتور أحمد الشيناوي ومسئولي الصوامع في إحدى المناسبات

بالصوامع وتدرجوا في عدة مناصب ووصل بعضهم لمراكز قيادية في معظم مناطق المملكة مثل صوامع المنطقة الغربية بجدة وصوامع الوسطى في الرياض والقصيم وصوامع الشرقية في الدمام. فهذه التجربة تمثل نموذجاً يحتذى به.. وذلك لخلق جيل مميز قادر على إدارة مجمعات صناعية متطورة.

أبلت المجموعة الأولى من الشباب السعودي بلاءً حسناً خلال بعثتهم في الولايات المتحدة الأمريكية، وأتمت واجبها على أكمل وجه، وعادت مسلحة بالعلم والخبرة، وأدت دوراً رائداً على مدار الـ35 عاماً الماضية، حيث تدرجوا في عملهم بشكل ناجح وتسلموا مراكز قيادية في المؤسسة العامة لصوامع الغلال.

شهدت هذه الفترة حركة توسع كبيرة في الصوامع التي بدأت بمشروع الرياض ثم الدمام، وصولاً إلى مشروع جدة الذي كان المشروع الأضخم والأكبر حيث أقيم في ميناء جدة الإسلامي، وكانت هناك إمكانات لشفط القمح من عنابر البواخر ووضعه على سيور ناقلة وتفريغه في عنابر ضخمة تستوعب آلاف الأطنان، واللافت أننا نجحنا في افتتاح المشاريع الثلاثة في سنوات قليلة لتصبح الأساس لعمل المؤسسة

العامة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق وتساهم في تحقيق الأهداف الوطنية التي رسمتها الدولة، بعد أن باتت في نهاية عام 2015م تستوعب 14 فرعاً تعمل في أغلب مناطق ومدن المملكة.

كان الدكتور أحمد شيناوي يتابع العمل على مختلف المستويات ويمضي ساعات عديدة مع المهندسين والاستشاريين وشباب المؤسسة، ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة رغبة في أن يكون العمل مكتملاً وعلى أحسن المستويات، ويؤكد لهم ثقته بهم وفي قدراتهم، وبدوره يتفرغ للأمور الاستراتيجية المرتبطة بالمشاريع القائمة والتوقعات المستقبلية ويعقد الاجتماعات مع شركات البناء والمعدات، ويتابع المراحل المتعددة لتصنيع وتوريد مختلف أجزاء المشاريع، وكان الاستشاري حاضراً بحكم مسؤوليته التعاقدية.

يتميز الدكتور أحمد شيناوي بشخصية قوية تدعو للاحترام، ويتحلى بالمنطق والحجة ومهارات التفاوض المبهرة، كان الجميع ينظر إليه بإعجاب ويعتبر قدوة في العمل والأخلاق والشخصية فهو قائد وإداري محنك، سريع البديهة، يحسن اختيار العبارات، ذاكرة لماحة حاضرة، حازم في قراراته التي يتخذها بترو ولا يتردد في مواجهة الصعاب، يحترمه زملاؤه والمحيطون به فهو نموذج يحتذى به.

تحولت مواقع العمل إلى خلية نحل، وحتمت ظروف عملي الانتقال المتواصل من الرياض إلى الدمام وجدة.. حيث بدأنا التوسع بشكل كبير واستعنا بعدد كبير من المهندسين، وسط متابعة حثيثة لكل مرحلة من مراحل المشاريع من قبل المسؤول الأول للمؤسسة الدكتور أحمد شيناوي، وتفان من الجميع مسؤولين وتنفيذيين وعمال، وأتذكر أننا في رمضان كنا نتناول طعام الإفطار في مواقع العمل، حيث كانت هناك متطلبات عديدة لابد من الوفاء بها، وأردنا أن نعطي الصورة المشرفة للتعامل مع الاستشاريين والشركات الأجنبية والمقاولين الذين استعنا بهم في تلك الفترة، ونجحنا ولله الحمد أن نسايرهم في مستوى الأداء والكفاءة، وهي فترة مضيئة تبرهن على قدرة الشباب السعودي أن يفعل الكثير إذا توفرت له البيئة والتأهيل والتدريب والمقومات المساعدة، حيث أنجزت المشاريع الرئيسية في وقت قياسي وبتكاليف اقتصادية مدروسة حصلت خلالها المؤسسة العامة لصوامع الغلال على أفضل الخدمات وأجودها بأقل تكلفة ممكنة، ورغبة في إنجاز المشاريع في أقصر وقت ممكن لمواجهة النقص الحاصل في الدقيق فقد عمدت المؤسسة إلى أن يكون هناك أكثر من شركة تتولى توريد وتركيب المعدات وتشغيلها للمشاريع بحيث تكون جاهزة للتشغيل في أوقات متقاربة حرصاً على عامل الوقت.

ظلت المملكة سنوات طويلة تعاني من شح كبير في الدقيق الذي يستورد من كندا والولايات المتحدة الأمريكية واستراليا مع تأثر الجودة، فقد أدت فترة الاستيراد

الطويلة التي تقضيها البواخر في الطريق إلى المملكة وتصل أحياناً إلى شهر ونصف إلى نمو السوس وانتشاره في الدقيق مع صعوبة استبعاده أو القضاء عليه في ظل وجود يرقات تساهم في تلف هذا المنتج الغذائي الذي يفترض أن يكون صحياً. ومع انطلاق العمل في المطاحن ومؤسسة الصوامع بشكل أساسي تم القضاء بشكل كامل على شح الدقيق، وتحسين جودته بشكل كبير.

مررنا بمراحل عديدة في عملية التسويق خلال المرحلة التأسيسية، حيث كنا نواجه بعض التحديات الخاصة بالعبوات والتغليف. ففي البداية تم تعبئة الدقيق في أكياس من القطن تستورد من الهند وباكستان، وأوصى الاستشاري بذلك لأسباب منطقية تتمثل في إفساح المجال للدقيق للتهوية، وطرحت علينا فكرة استخدام أكياس من الألياف الصناعية، وعرضت الفكرة على الخبراء لكنهم لم يؤيدوها، بداعي أن وضعها فوق بعضها البعض في عملية التخزين لن يكون مرناً وستؤدي نوعية العبوات إلى سقوطها، ثم جرى التعامل مع الأفكار البديلة ومنها الأكياس المصنعة من مواد بلاستيكية منسوجة بعد معالجة العيوب التي ظهرت في البداية، وكان هناك مصنع في الدمام يقوم بتصنيعها الأمر الذي وفر على المؤسسة العامة لصوامع الغلال عناء الاستيراد، وبعد التنسيق بين المسؤولين والمؤسسة وأصحاب المصانع أمكن التغلب على العيوب السطحية.

واجهنا تحدياً آخر في عملية توزيع وتسويق الدقيق في الأسواق المحلية.. وتم الاستعانة بتجار الدقيق الذين كانوا يستوردونه من كندا وأمريكا لكي تكون هناك قنوات توزيع من خلالهم فهم أكثر دراية وخبرة بالسوق، وساهمت الجهود والخبرات المتوفرة في الصوامع في القضاء على معظم المعوقات والتحديات، وبعد أن بدأنا إنتاج الدقيق من مجمعات المؤسسة في الرياض والدمام وجدة، فرضت الدولة قيوداً على استيراد الدقيق من الخارج بعد أن أصبح الدقيق السعودي متوفراً محليا، كما أدى الدعم الكبير والمتواصل للدولة للقمح في تحقيق الأهداف الكبيرة التي أنشئت من أجلها المؤسسة، وتمكين هذه الصناعة الوطنية التي ساهمت بالفعل في تقديم قيمة مضافة للمجتمع.

ومع تصاعد إنتاج الدقيق المحلي وتوفيره في كل مدن ومحافظات المملكة، حدثت أزمات هامشية بين وقت وآخر لمنتج النخالة وهو منتج ثانوي، كان عليه طلب كبير للاستخدام في علف المواشي، واشتكى كبار مربي المواشي والدواجن في بعض الفترات، الأمر الذي دفع المؤسسة العامة لصوامع الغلال للتعجيل والتوسع في

إقامة مصانع للأعلاف التي كانت أصلاً ضمن المشاريع المخطط لها منذ البداية. وبالفعل تم توفير الأعلاف بشكل كبير. وساهمت الطفرة التي مرت بالمملكة خلال العقد الأول لصوامع الغلال مع تزايد أسعار البترول في تحقيق الكثير من الأهداف الاستراتيجية في ظل الحماس والكفاءة الكبيرة التي تمتع بها فريق العمل يتقدمه الدكتور أحمد شيناوي.

رجال أوفياء

دشن جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ـ يرحمه الله ـ المشروع الأول لمطاحن الدقيق في حضور رجالات الدولة السعودية يتقدمهم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ كما تشرفت المؤسسة بزيارات متتابعة من أصحاب السمو الملكي الأمراء عبد الله بن عبد العزيز وسلمان بن عبد العزيز للإطلاع على باكورة مشاريع المؤسسة التي كانت منعطفاً هاماً في سياسة الأمن الغذائي للمملكة، وأدت إلى القضاء على أزمات نقص الدقيق وقلة جودته.

ويقع مشروع الصوامع الأول في الرياض على بعد 12 كم بطريق الرياض / الخرج، وبمحاذاة خط سكك حديد الرياض / الدمام الذي خصص خط منها لنقل الغلال ومواد الإنتاج بين فرعي المؤسسة بالرياض والدمام، وانطلق الفرع الأول في 24 / 11 / 1397 هـ (الموافق 1977م).

وتلاحقت المشاريع فتم افتتاح الفرع الثاني في العام التالي (1978م) بمجمع ميناء الملك عبد العزيز بالدمام، وذلك لسد احتياجات المنطقة الشرقية من الدقيق والأعلاف، وكأحد أهم منافذ استيراد القمح، تم التعاقد على شراء المعدات الرئيسية للمشروعين من شركة إيطالية تدعى أوكريم.

ولم يمر عام واحد إلا وتم افتتاح المشروع الثالث الأكبر والأضخم بمجمع ميناء جدة الإسلامي، حيث بدأ تشغيله (1979م)، ويعتبر قاعدة إنتاجية عريضة لسد احتياجات منطقة مكة المكرمة من الدقيق وخاصة في مواسم الحج والعمرة، كما يُعد المنفذ الرئيسي لاستيراد القمح، وكان مقاول المعدات هو شركة بيولر السويسرية، واللافت أن المشروع الأخير أقيم على قاعدة خرسانية كاملة بعد ردم جانب من البحر الأحمر، في حين أقيم مشروعا الرياض والدمام على هياكل حديدية.

أتذكر أننا واجهنا ظروفاً مناخية صعبة خلال افتتاح مشروع جدة الذي تشرفنا خلاله برعاية كريمة من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ، حيث كان مقر الافتتاح داخل أحد المستودعات في المشروع، ووجدنا حرارة الجو هناك صعبة ولا تطاق، فأجرينا اتصالات بمعالي مدير عام الخطوط السعودية في ذلك الوقت الكابتن أحمد مطر، وتكرم بإرسال عدد من وحدات تكييف الهواء من النوع الذي يستخدم لتزويد الطائرات بالتكييف وهي جاثمة في المطارات، وتم التغلب على المشكلة وإنقاذ الموقف وبدأ الحفل بحضور جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ـ يرحمه الله ـ الذي دشن المشروع .

وتشرفنا أيضاً بزيارة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ مرة أخرى للمشروع، كما كان هناك دعم منقطع النظير من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ إبان توليه إمارة منطقة الرياض، حيث أطلع

الملك خالد بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ يفتتح مشروع صوامع الغلال بالرياض

الملك خالد بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ في افتتاح صوامع الغلال بالرياض

المؤلف يتحدث مع الدكتور سليمان السليم بحضور
الدكتور أحمد شيناوي مدير عام المؤسسة

الأستاذ أحمد عبد الوهاب رئيس المراسم الملكية الأسبق
مع عبد الرحمن داود من كبار مسؤولي صوامع الغلال

الملك عبد الله بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ يصافح المؤلف خلال افتتاح مشروع صوامع الغلال بالرياض

على كل تفاصيل المشروع، وشرفنا بتذوق المنتجات، ولم يبخل علينا بنصائحه ودعمه المتواصل، ووجدناً دعماً ماثلاً من صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة ـ يرحمه الله ـ حيث زار مشروع الصوامع في ميناء جدة وأبدى إعجابه الكبير بكفاءة العمل وجودة الإنتاج.

في المقابل.. واجهت المؤسسة العامة لصوامع الغلال الكثير من التحديات قبل تدشين

الملك سلمان بن عبد العزيز عندما كان أمير الرياض أثناء زيارته لصوامع الغلال

مشاريعها الرئيسية. كانت البداية بالبحث عن مكان لإقامة مشروع الرياض بالقرب من خط السكة الحديد الذي يربط الدمام بالرياض مع ضرورة توفر المياه والكهرباء، وكان التحدي الأول هو ملكية الأرض التي كانت عبارة عن موقع عسكري تابع لوزارة الدفاع والطيران.. فجاء الدعم الكبير من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران الذي وافق على منح الأرض الموجودة بطريق الخرج، بمجهودات مشتركة من معالي وزير التجارة الدكتور سليمان السليم ومعالي رئيس المؤسسة العامة للصوامع الدكتور أحمد شيناوي.

نجحنا في توفير المياه عن طريق حفر أبار عميقة وصلت إلى 2000م تحت سطح الأرض.. كانت المياه تتدفق وهي في درجة حرارة عالية وتحتاج إلى تبريد وتنقية، كما تم التعامل مع مشكلة الطاقة الكهربائية، حيث تم توفير عدد من المولدات في البداية قبل أن يتم توصيل شبكة الكهرباء بشكل رسمي.

في المقابل.. واجهنا بعض المشاكل الهندسية في مشروع جدة.. لاسيما أن المشروع

الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير مكة المكرمة في حفل افتتاح صوامع الغلال بميناء جدة بحضور وزير البترول هشام ناظر

أقيم في الميناء.. فتمت معالجة التربة بشكل خاص، من خلال دك الأرض بمعدات ثقيلة وعملاقة، والوصول إلى الكثافة المطلوبة للتربة، وفي كل مرحلة يتم أخذ عينات من أجل التأكد من قدرة الأرض على تحمل آلاف الأطنان من الخرسانات وما هو مخزن بها.

كلمات الوداع

طلب المؤلف التقاعد من مؤسسة صوامع الغلال

وزير التجارة يوافق على تقاعد المؤلف

مع تزايد المسؤولية وتصاعد الدور الكبير الذي تلعبه صوامع الغلال.. ظل حلمي الخاص يلمع في مخيلتي.. فقد راودني حلم البدء في عمل خاص منذ فترات الدراسة الأولى.. لكن وجودي في الصوامع كان مدخلاً رئيسياً لتحقيق هذا الحلم.. هداني المولى سبحانه وتعالى للتفكير في مشروع تكون مواده الخام متوفرة محلياً، وشعرت أن القمح والدقيق التي تمثل أساس الصناعات الغذائية يمكن أن تكون نقطة المرور نحو تحقيق هذا الحلم، لاسيما أن الدولة أعزها الله تقدم الكثير من الدعم لهذا المنتج المحلي وتساعد المستثمرين على الصناعة بشكل عام والصناعات الغذائية التي تشكل عصب الحياة بشكل خاص.

اقتضت الأمانة عدم الخلط بين المصلحة العامة ومصالحي الشخصية المتمثلة في مشروعي الخاص الذي مازال قيد التفكير، فقد قررت مع نفسي ألا أتخذ أي خطوة عملية إلا بعد أن أتفرغ تماماً، حتى أستطيع أن أنفذ هذا الحلم الكبير.. وأكرس كل طاقتي من أجل إخراجه إلى أرض الواقع.

لم يكن هناك خيار آخر سوى الترجل عن العمل الحكومي والتفرغ للمشروع.. ووصلت إلى قناعة كاملة بضرورة التقدم للإحالة على التقاعد بهدف توفير العناصر الأساسية لعملي الجديد.

حفل تكريم المؤلف بعد التقاعد الاختياري من صوامع الغلال

استأنست برأي معالي وزير التجارة الدكتور سليمان السليم، وسعادة مدير عام مؤسسة صوامع الغلال الدكتور أحمد شيناوي وطرحت عليهما تلك الرغبة، طلبا مني التريث في القرار ومحاولة التوفيق بين مسؤولياتي في العمل الحكومي وعملي الخاص لفترة أطول حتى أقف على أرض صلبة، قدرت مشاعرهما وحرصهما على عدم التسرع فأجلت البث في طلب التقاعد حتى يستكمل آخر مشاريع الصوامع وهو مشروع جدة.

والتزمت بالمشاريع الثلاثة التي كنت أعمل عليها، وبعد الانتهاء منها في بداية عام 1980م، عاودت الطلب رغبة في التفرغ لعملي الخاص.

كان قراري بطلب التقاعد الذي اشتمل على قدر كبير من المغامرة والجرأة دون تهور.. أتى بعد دراسة عميقة، ففكرة المشروع لم تكن وليدة اللحظة والتفكير العميق، لكنها كانت خطوة محفوفة بالمخاطر، خصوصاً أنني كنت في موقع وظيفي رائع، أمامي مستقبل مشرق مرموق، وفي مركز اجتماعي يتمناه الكثيرون، وأحصل على راتب جيد، مع الشعور بالأمن والاستقرار، وقرار دخولي سوق العمل في تلك الفترة معناه أنني سأعتمد على مواردي الذاتية وبمثل مغامرة كبيرة، خصوصاً أن راتب المعاش التقاعدي لم يكن في مستوى الطموح، لكن عندما اتخذت قراري كانت كل هذه الأمور عوامل ثانوية نظير تحقيق حلمي الكبير بتكوين كيان مستقل.

استشرت أصحاب الخبرة.. وجاءت المؤشرات إيجابية، وبقيت المعارضة المشروعة من زوجتي التي كانت تشعر بالقلق على المستقبل، تخشى أن يؤدي التخلي عن الدخل المالي الثابت والمركز الاجتماعي في هزة لكيان الأسرة وقدراتنا المالية ما قد ينعكس على مستقبل الأبناء، تفهمت ما تشعر به، وأكدت لها أن الرزق بيد الله سبحانه وتعالى وأنني فكرت في الأمر من كل جوانبه وأن القادم سيكون أفضل بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

تجربتي في العقار خلال تلك الفترة ساعدتني أيضاً على المضي قدماً في قراري، فقد عاشت الرياض طفرة كبيرة في هذا المجال، وتنوعت الفرص المتاحة، ونجحت ولله الحمد في توفير رصيد مادي معقول ساهم في تحسين وضعي على بداية الطريق من خلال شراء وبيع بعض الأراضي بمشاركة بعض الأخوة والأصدقاء، الأمر الذي حفزني على العمل الخاص أكثر، علاوة على استكمال بناء عمارة من ثلاثة أدوار في شارع الأمير ممدوح بالرياض، خصصت الدور الأرضي لسكني وتم تأجير الدورين العلويين.

وفي الأول من رجب عام 1400هـ (1980م) رفعت خطاباً رسمياً إلى الدكتور أحمد شيناوي أطلب فيه الموافقة على الإحالة على التقاعد من صوامع الغلال وذكرت في تفاصيله: (في تاريخ 1 / 7 / 1400 هـ أكون قد أكملت في خدمة الدولة ستة

مدير عام المؤسسة العامة لصوامع الغلال يثمن جهود المؤلف بعد التقاعد

حفل تكريم المؤلف بعد التقاعد الاختياري من صوامع الغلال

وعشرين عاماً ونصف. حيث إن خدماتي الرسمية المعتمدة لدى الديوان العام للخدمة المدنية بدأت من 1 / 1 / 1374 هـ. وبهذه المناسبة فإنني أشعر بأن الظروف مواتية لكي أتقدم بطلب إحالتي إلى التقاعد نظراً لرغبتي في البدء بإقامة نشاط تجاري وصناعي خاص بي بعد هذه السنوات العديدة من الخدمة الحكومية. اكتسبت خلالها الكثير من الخبرات والمهارات خصوصاً أثناء المدة التي أمضيتها في هذه المؤسسة من 11 / 1 / 1393هـ وحتى الآن. شاكراً ما لقيته من تقدير ودعم وتشجيع من قبل معالي رئيس مجلس الإدارة وأعضائه. ومن قبلكم شخصياً. وكذلك العون والمؤازرة من قبل كافة الزملاء منسوبي المؤسسة.)

وفي الرابع والعشرين من شهر رجب عام 1400 هـ (1980م) استجاب مجلس إدارة المؤسسة لطلبي. وصدر قرار الدكتور أحمد شيناوي الذي قال فيه: (إن مدير عام المؤسسة العامة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق. بناء على الصلاحيات المخولة له نظاماً بوصفه رئيساً للجهاز التنفيذي للمؤسسة بموجب المادة الثامنة من نظام المؤسسة الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/14 في 25 / 3 / 1392م. وعلى نظام التقاعد المدني الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/14 في 25 / 3 / 1392م. وعلى نظام الخدمة المدنية الصادر بالمرسوم نفسه ولوائحه التنفيذية. وبناء على قرار مجلس إدارة المؤسسة رقم 19 بالتمرير في 18 / 7 /

1397هـ بالموافقة على طلب الأستاذ إبراهيم يوسف كردي الذي يشغل وظيفة مساعد المدير العام للشؤون الإدارية على المرتبة 12 بالدرجة العاشرة ذات الرقم 1 بالإدارة العامة، بإحالته على التقاعد اعتباراً من 1 / 8 / 1400هـ، وتفويض مدير عام المؤسسة في إصدار القرار التنفيذي اللازم لذلك).

وفي خضم فرحتي المشوبة بالترقب والقلق بقبول طلبي وصلني خطاب شكر رقيق في ألفاظه.. عميق في معانيه من الدكتور أحمد شيناوي، يؤكد فيه: (يسرني وقد أجبتم إلى طلبكم الإحالة إلى التقاعد بعد خدمة جاوزت خمسة وعشرين عاماً، أن أسجل لكم بالشكر والتقدير مساهماتكم البناءة في سبيل إخراج هذه المؤسسة ومشروعاتها إلى حيز الوجود، فلقد أسعدني طوال زمالتكم لي أن كنت دائماً عند حسن الظن بكم.. عطاء بغير حدود، وكفاءة على أرفع مستوى، مقرونة بالخلق الطيب والتعاون الصادق مع الجميع، وأنكم بذلك قد سطرتم صفحات ناصعة في سجل هذه المؤسسة ستبقى مع الأيام شهادة إعزاز تحفظها لكم ما بقي نبض مشروعات المؤسسة، تجسيداً حياً لطموحات وطننا وعطاء المخلصين من أبنائه، ولا يسعني بهذه المناسبة إلا أن أسأل الله لكم التوفيق والسداد دوماً فيما تباشرونه من نشاطات أخرى).

وبعدها بأيام قليلة دعاني الدكتور أحمد شيناوي وزملائي في المؤسسة إلى حفل تكريم في المقر الرئيسي للمؤسسة بالرياض، كان له وقع إنساني كبير على قلبي، سمعت فيه أطيب كلمات الوداع الرقيقة التي تجسد العمل الكبير الذي تم بجهود مشتركة على مدار سبع سنوات، وشعرت بأصدق معاني الحب مع هذه المجموعة المختارة التي عملت بتفان في مراحل التأسيس الأولى للمؤسسة العامة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق، بل أسعدني أكثر وجود اخواني الذين وفقنا الله باختيارهم وتمكنوا من الحصول على التدريب والتأهيل في كبرى الشركات المتخصصة في أمريكا وكندا لكي يتقلدوا أعلى المناصب في المؤسسة العامة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق.

عجزت الكلمات عن ترجمة المشاعر النبيلة والصادقة التي ظهرت خلال الحفل.. لكنه كان دافعاً كبيراً بالفعل للبدء في مرحلة جديدة مليئة بالطموح والعمل الجاد والتحديات العديدة.. والوقوف بقوة على المحك لتنفيذ الحلم الذي انتظرته طويلاً.

الطفرة وحرب الكرامة

شهدت الساحة المحلية والعربية متغيرات كثيرة في السبعينيات.. وجاءت الأحداث المتلاحقة بداية من حرب أكتوبر 1973م، مروراً بحادث اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ الذي مثل صدمة كبيرة للشعب السعودي بأكمله.. فقد كان ـ يرحمه الله ـ رجل دولة محنك من طراز فريد، حازماً، يجيد التعامل بدبلوماسية مع الجميع، وتولي شقيقه وعضده الأيمن الملك خالد بن عبد العزيز زمام الأمور من بعده.

على الصعيد الاقتصادي ارتفع سعر برميل النفط من دولارين إلى 25 دولاراً، وتسبب ذلك في نقلة غير مسبوقة أدت إلى توفير أموال كبيرة لتنفيذ المشاريع والنهضة العمرانية والصناعية والخطط التنموية العملاقة التي جرت في السبعينيات والثمانينيات، وأذكر أن عدداً من الوفود الأجنبية وصلت إلى المملكة تطالب بالسيطرة على أسعار البترول بداعي أنه سيؤثر على اقتصاد العالم بأجمعه، فجاء رد الملك فيصل بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ حاسماً، وقال لهم إن البترول السعودي ظل سنوات طويلة يباع بأقل من سعره، وشهدت هذه الفترة تأسيس عدد من المدن الصناعية الكبرى، وكذا تأسيس الهيئة الملكية للجبيل وينبع وشركة سابك وغيرها من الشركات الكبرى، بدأت الدولة تنفق بسخاء على الخدمات الاجتماعية وتم توفير وجبات غذائية للطلبة تستورد من الخارج.. رغبة في توفير مستوى معيشي أحسن مما كان في السابق، وأنشئت مجموعة من صناديق التنمية (الصناعي، الزراعي، العقاري) وأنا أحد الذين استفادوا من صندوق التنمية العقارية، حيث كانت الشروط المطلوبة أن يكون لديك قطعة أرض تحصل بمقتضاها على 300 ألف ريال كحد أعلى.. وتحولت المملكة كلها في تلك الفترة إلى ورشة عمل كبيرة في جميع المناطق والمدن والمحافظات، وكانت هناك صعوبة في الحصول على مواد البناء في الرياض بسبب كثرة العمل وعدد المشاريع وتزايد الطلب، وعندما بدأت في بناء منزلي في الرياض حجزت المواد قبلها بفترة كافية، عشنا طفرة بناء هائلة بكل تفاصيلها.

ظهرت بعض الاختناقات.. ولم تعد الموانئ قادرة على استيعاب الشحنات التي تأتي على مدار الساعة، وتسبب ذلك في قائمة انتظار طويلة تصل إلى 4 أو 5 أسابيع، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أسعار الشحن، وأذكر أن هذه الفترة شهدت أيضاً حالة استنفار من أجل حل هذا التكدس، كان يتم تفريغ الأسمنت بواسطة الطائرات الهليكوبتر من الباخرة إلى الميناء، حيث كان يوجد مصنع أسمنت واحد في جدة قبل أن يتم افتتاح عدد كبير من المصانع في مناطق عديدة.

أدت الطفرة الكبيرة إلى تعديل الرواتب بشكل جذري.. فمن كان يحصل على ألفي ريال بات يحصل على ستة آلاف، الأمر الذي تسبب في تضخم الأسعار، لكن زيادة مداخيل

المواطنين أدت إلى حالة من التوازن وساهمت في حالة من السعادة الكبيرة لدى الجميع.

على الصعيد العربي.. عشنا تفاصيل حرب أكتوبر التي كانت بمثابة إعادة اعتبار العرب وتأكيد على إمكاناتهم وقدراتهم، ليست البشرية فحسب.. بل القدرة على التخطيط والإعداد والتنفيذ، ولاشك أن عبور قناة السويس وتجاوز خط بارليف ساهم في إعادة الاعتبار للمواطن العربي بشكل عام وأعاد إليه الكثير من العزة والكرامة، وساهم الموقف البطولي للملك فيصل بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ في تعزيز مكانة العرب، بعد أن أوقف تصدير البترول إلى أمريكا والدول المتحالفة مع إسرائيل، وشكل جبهة مهمة ساهمت في تحقيق هذا النصر الرائع.

كانت المنطقة تعج بالأحداث السياسية التي أثرت على حياتنا.. ومنها الحرب الأهلية في لبنان والتي استمرت سنوات طويلة، وبداية الحرب العراقية الإيرانية التي شغلت المنطقة كلها وتركز الاهتمام عليها في وسائل الإعلام بشكل كبير، لاسيما أنها استمرت 8 سنوات متواصلة.

على الصعيد الأسري.. وجدت الدعم اللا محدود من زوجتي على وجه الخصوص، فقد تحملت الأرق والتعب والغياب فترات طويلة عن المنزل، وكان هناك تفهم كبير لمتطلبات العمل.. وفي شهر ديسمبر عام 1973م ومع بداية مشواري في صوامع الغلال رزقني الله بالابن الثالث سامر الذي ولد في الرياض على عكس شقيقيه السابقين، وجاء قدومه كبشرى سارة في بداية مشوار مليء بالإنجازات، ولم نجد صعوبة في تسكين أبنائي بالمدارس في العاصمة، وبالتحديد في مدرسة التربية النموذجية، حيث حصدت وسام المراكز الأولى بعد مشكلة اللغة العربية التي تجاوزتها في البداية، وانتقلت بعد ذلك إلى مدرسة التربية الإسلامية ثم التحقت بجامعة الملك سعود، ولم يكن هناك أي مشكلة بالنسبة لخليل الذي بدأت دراسته بشكل رسمي مع قدومه للرياض، فقد حصل هناك على الابتدائية والمتوسطة والثانوية من مدارس التربية النموذجية قبل أن ينتقل إلى جدة للدراسة في كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز.

وأثناء سفري في مهمة رسمية خارج المملكة عام 1975م وبعد تفاقم الحرب الأهلية في لبنان قرر نسيبي السيد منير خليل شومان مغادرة بيروت والحضور إلى الرياض للابتعاد عن جو الحرب من ناحية، وخوفاً على أبنائه وبناته مما لا يحمد عقباه، واصطحب في سيارته الصغيرة زوجته وشقيقته وأبناءه وبناته وعددهم (4)، وعندما عدت للرياض وجدتهم في منزلنا هناك، وكان حضورهم مدعاة للراحة النفسية وبعداً عن القلق، وعقب وصولهم بأيام حضرت والدة زوجتي بالطائرة فأصبحت العائلة كلها في الرياض، وأدخلنا الأولاد والبنات المدارس وتخرج بعضهم من جامعة الملك سعود ثم استقروا وتزوج الأولاد والبنات.

إضاءات

- في بداية المشروع.. كان الدكتور أحمد شيناوي يرسم تفاصيل الخطط والمشاريع العملاقة بصوامع الغلال بوجود شخصين فقط، وظل يعمل ليل نهار من أجل ترتيب هذا الكيان الذي لعب دوراً رياديا في التنمية الغذائية التي شهدتها المملكة في فترة الثمانينيات والتسعينيات الميلادية.
- وضعت خطتي كخبير إداري لصوامع الغلال على محورين.. الأول قصير المدى يركز على توفير الموارد البشرية للعمل الفوري، والثاني طويل المدى يقوم على اختيار وتدريب وتأهيل الشباب السعودي لتسلم أدوار قيادية في صوامع الغلال.
- لم نعتمد على الإعلانات فقط،بل قمنا بالاتصال مباشرة بالجامعات والمعلمين والمسؤولين في مصادر التوظيف للحصول على مرئياتهم بالنسبة للأسماء المرشحة التي تتميز بالجدية والالتزام، وكان لهم دور كبير في بلورة قائمة الترشيحات النهائية.
- متطلبات العمل في المطاحن قاسية جدا، حيث يشهد ظروفاً طارئاً مثل تسرب مفاجئ لكميات كبيرة من الدقيق في عمليات الطحن، ويتطلب ذلك حالة استنفار من أكبر مسؤول إلى أصغر شخص، واستخدام المكانس لجمع الدقيق وإعادته.
- لم يتقبل بعض الشباب الوضع في البداية، لكننا نجحنا أن نقدم لهم نماذج عملية تساهم في تغيير الثقافة التي جاؤوا بها، شاهدوا بأعينهم بشكل عملي القيادات العليا في مطاحن الدقيق تعمل دون تكبر وتساهم في حل المشاكل.
- كنا في رمضان نتناول الإفطار في مواقع العمل،أردنا أن نعطي الصورة المشرفة للتعامل مع الاستشاريين والشركات الأجنبية والمقاولين الذين استعنا بهم في تلك الفترة، ونجحنا أن نسايرهم في مستوى الأداء والكفاءة، وهي فترة مضيئة تبرهن على قدرة الشباب السعودي.
- ساهمت الطفرة الكبيرة في تعديل الرواتب بشكل جذري.. فمن كان يحصل على ألفي ريال بات يحصل على ستة آلاف، الأمر الذي تسبب في تضخم الأسعار، لكن زيادة مداخيل المواطنين أدت إلى حالة من التوازن وساهمت في حالة من السعادة الكبيرة لدى الجميع.
- ساهم الموقف البطولي للملك فيصل بن عبد العزيز - يرحمه الله - في تعزيز مكانة العرب، بعد أن أوقف تصدير البترول إلى أمريكا والدول المتحالفة مع إسرائيل، وشكل جبهة مهمة ساهمت في تحقيق هذا النصر الرائع، وفي نفس الوقت وضع حداً لأسعار الطاقة الرخيصة التي كانت غير عادلة، وفي غير صالح الدول المنتجة للبترول.
- اقتضت الأمانة بالتفرغ للعمل الخاص وإتاحة الفرصة للصفوف التالية للتقدم في السلم الوظيفي.

الفصل السابع

حكاية

السنبلة

من الوسام للسنبلة

لكي تكون ناجحاً، لابد أن تكون لديك أحلام ورؤى وانفعالات وطموحات، يجب أن تضع شيئاً ما نصب عينيك وترغب فيه بشكل جنوني، وهذا الحلم أو الهدف أو الطموح سيصبح أكبر دافع لك.

ولكي يحقق الإنسان ما يصبو إليه، يتطلب ذلك حماساً والتزاماً واعتزازاً ورغبة في بذل قصارى الجهد، ورغبة في مواصلة العمل لمدة أطول، ورغبة في عمل أي شيء من أجل تحقيق الهدف، ولكي تحقق ما تصبو إليه في هذه الحياة فأنت تحتاج للحافز والطاقة.

كل هذه الأمور وضعتها نصب أعيني وأنا أفكر في تحويل حلمي بالعمل الخاص إلى واقع.. ورغم أن هذا الحلم لم يكن وليد اللحظة بل نما بداخلي منذ مراحل الدراسة الأولى، إلا أنني في عام 1978م قررت الاتجاه إلى صناعة المواد الغذائية قبل أن أترجل عن العمل في مؤسسة صوامع الغلال، وحين وصلت إلى عتبة الأربعين من عمري شعرت أنني وصلت إلى السن المناسبة لإقامة مشروعي الخاص، صرت أجمع بين الخبرة والحماس والدراية الكافية بالسوق.

بدأت البحث في كل الاتجاهات عن مصادر معلومات عن هذه الصناعة المهمة التي تمثل أحد الموارد الرئيسية لاستمرار الحياة، قمت برحلات إلى أوروبا وأمريكا.. زرت المعارض الصناعية والزراعية والتجارية هناك، تعرفت بشكل أوسع على المعدات والماكينات والخبرات المطلوبة.. تبلورت لدي الفكرة بشكل أوضح، وبدأت أبحث عن خبير فني حتى نتخذ خطوات عملية.

كنت أملك مؤسسة فردية تسمى (الوسام السعودي) يتركز نشاطها على الصيانة ولا أتفرغ لها بالشكل الكافي، وتقدمت إلى وزارة الصناعة والكهرباء في تلك الفترة للحصول على ترخيص ممارسة نشاط صناعة المواد الغذائية باسم هذه المؤسسة الصغيرة، احتاج الأمر إلى فترة من الزمن، تلبية لبعض الاشتراطات التي وضعتها الوزارة والتي تأكدت بعد

ممارسة النشاط أنها شروط مشروعة وضرورية حماية للمستثمر والصناعة.

صدر ترخيص أولي للنشاط باسم (الوسام)، وكنت حريصاً منذ البداية على إضفاء صفة الكيان الكبير على المشروع، حيث كان الترخيص مجرد مدخل لتكوين شركة ضخمة تضطلع بمشاريع مهمة في صناعة المواد الغذائية، وفي تلك الأثناء وخلال المراسلات مع الشركات الموردة للماكينات عرض عليّ صديقي العزيز عبد الله عبد الكريم اللحيدان استخدام مكتبه بالرياض لإتمام المراسلات واستخدام التيلكس، شعرت بقيمة هذا الدعم الكبير لاسيما أن المشروع وقتها لا يتحمل نفقات زائدة، وكنت خلال هذه الفترة أتحدث مع اللحيدان بشفافية عن المشروع وعن كل الخطوات التي أقدمت عليها، ويعبر لي دائماً عن مشاعره الطيبة ودعمه المتواصل.

المؤلف وعلى يساره مستر نيلسون جونير رئيس شركة(AEGIS) اثناء توقيعه على اتفاقية توريد معدات التصنيع

المؤلف بعد توقيع اتفاقية توريد معدات التصنيع

ومع الدخول في التفاصيل وظهور متطلبات عديدة تتعلق برأس المال وحجم المشروع وجدت أنه من الضروري دخول شركاء.. ووضعت قائمة محتملة تضم حوالي 20 شخصاً.. وقمت بتصفيتها على أشخاص بعينهم، وتحدثت بالفعل مع بعضهم وأبدوا استعداداً للدخول كشركاء، وعرض عليّ صديق من جدة وضع مبلغاً مالياً تحت تصرفي حتى يتم بلورة المشروع وأصر على تسليمي 120 ألف ريال، لكنه ما لبث أن أبلغني أن لديه حسابات أخرى ويريد الانسحاب فرددت له المبلغ على الفور، وفاجأني

الصديق العزيز عبد الله عبد الكريم اللحيدان عندما قال لي: (إذا فكرت في دخول آخرين معك في المشروع.. يشرفني أن أكون شريكاً لك).

تركت كلماته أثراً كبيراً في نفسي لاسيما أنني أعلم صدق مشاعره، وحماسه للفكرة التي يقتنع بها، وخلال أيام قليلة أبلغته أننا سنكون بمشيئة الله شركاء، لكننا وجدنا بعد الدراسات الأولية ضرورة دخول شريك ثالث، فقد كنا نستطيع توفير من 3 إلى 4 ملايين ريال، في حين أن المشروع سيحتاج إلى 5 ملايين على الأقل، وتدخل الأستاذ عبد الله عبد الكريم اللحيدان مجدداً ليؤكد وجود شريك من طرفه يثق به.. واستقر الأمر على دخول شركة إخوان التجارية التي يرأسها الأخ الصديق عبد العزيز محمد النويصر.

لم يكن شريكنا الثالث متحمساً للأمر في البداية.. لكن توجيه والده الشيخ محمد عبد الله النويصر ـ يرحمه الله ـ غير الكثير من قناعاته، أكد له أهمية المشروع وجدواه الاقتصادي، وعلى الفور وضعنا عقد التأسيس وتوزيع الحصص، الذي حصلت بمقتضاه على 40 % من أصول الشركة مقابل 30 % للحيدان ومثلها للنويصر، وذهبنا إلى مكتب الأخير في شارع الستين بجدة، والذي وقع على عقد من 18 صفحة دون أن يقرأ كلمة واحدة.. في تأكيد واضح على ثقته الكبيرة في شخصي وبالتالي في فكرة المشروع، وحالة التسامح والرضا التي سيطرت علينا جميعاً مع إطلالة السنبلة، وفي الحال استدعى عبد العزيز النويصر مدير الحسابات في شركة إخوان وطلب منه تحرير شيك بحصتهم في الشركة.. تسلمته على الفور.. الأمر الذي ضاعف المسؤولية الملقاة على كاهلي.

وضع الشريكان ثقتهما الكاملة في شخصي.. وأعطوني صلاحيات كاملة لإدارة وتصريف الأمور.. مما شكل مرونة كبيرة وساعدني على التحرك والتعامل بشكل مباشر مع الشركات ذات العلاقة.. والحقيقة التي ينبغي أن أذكرها للتاريخ أنني وعلى مدار ثلاثة عقود ونصف من الزمن لم أجد سوى الدعم والمساندة والتفهم من الصديقين والشريكين الأستاذ عبد الله عبد الكريم اللحيدان والأستاذ عبد العزيز محمد النويصر.. فهما نموذج رائع لرجال الأعمال الوطنيين.. يتحركان باستراتيجية واضحة وفق معايير وآلية احترافية رائعة تعزز من مكانتهما كأسماء بارزة لها ثقلها وحجمها في مسيرة الاقتصاد السعودي.

تقدمنا بموجب عقد التأسيس إلى وزارة الصناعة والكهرباء لاستبدال الترخيص باسم الشركة الجديدة (السنبلة) بدلاً من الوسام السعودي، لكن واجهتنا مشكلة في وزارة التجارة بعد أن اعترض المسؤول عن تسجيل العلامات التجارية على الاسم.. بداعي تشابهه مع أسماء أخرى، لم نقتنع بمبرراته حيث كانت العلامة التجارية جديدة على السوق، قال البعض إن (السنبلة) اسم شهر من شهور السنة الشمسية يتميز بالحرارة الشديدة.. قلت: (لا بأس فسوف يكون لدينا أفران وستكون الأطعمة التي نقدمها طازجة وساخنة).. كنت مقتنعاً تماماً بالاسم ورفضت كل محاولات تغييره أو التنازل عن العلامة

عبد الله عبد الكريم اللحيدان

ابراهيم يوسف كردي

عبد العزيز محمد النويصر

التجارية.

شعرت منذ البداية أنني أتعامل مع اسم مبارك يحمل معاني سامية.. فقد قال الله في محكم آياته: (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)، خضت تحدياً كبيراً من أجل الاسم ولم أستسلم لاعتراضات موظف وزارة التجارة، ذهبت للدكتور عبد الرحمن الزامل وكيل وزارة التجارة وهو زميل دراسة في أمريكا، طلبت المساعدة في تسجيل الاسم مع أخذ كل التعهدات التي يرونها، اقتنع بوجهة نظرنا وأعطى تعليماته إلى الموظف بتسجيل الاسم والعلامة التجارية (شركة صناعات الأغذية والعجائن الفاخرة المحدودة السنبلة) على مسؤوليته الشخصية، ومثل هذا الانتصار نقطة انطلاق كبيرة لما يحمله الاسم من أهمية ومعان كبيرة، ونحمد الله أننا كنا نملك رؤية كبيرة في أن تكون الشركة للصناعات الغذائية الشاملة ليمثل ذلك فرصة مستقبلية كبيرة للتوسع والتطور والنمو.

والحقيقة أن خطوة تسجيل الشركة تحت اسم السنبلة ما كانت تتم لولا أن المسؤول الدكتور عبد الرحمن عبد الله الزامل قد أعطى التعليمات الصريحة لمسؤولي تسجيل الشركات بإتمام تسجيل الشركة كسمة تجارية، وأيضاً كعلامة تجارية تمت تسجيلها لاحقاً حسب نظام العلامات التجارية، وتم توفير الحماية القانونية لها، وبالتالي بدأت انطلاقة الشركة، وبالمناسبة فإن الدكتور الزامل رجل حازم وذكي وإداري من الطراز الأول.

رهنت بيتي

إيماني الكامل بالخطوات التي أتخذها وحلمي الذي اقترب من التحقيق دفعني أن أرهن بيتي في الرياض للحصول على قرض من بنك القاهرة السعودي الذي تحول فيما بعد للبنك السعودي المتحد ثم إلى سامبا.. حيث قدمت عمارة من ثلاثة أدوار أمتلكها بالرياض ضماناً للمبلغ الذي تم اقتراضه. ووفر الشريكان اللحيدان والنويصر ضمانات مماثلة للبنك. ونجحنا خلال هذه الفترة في توفير رأس المال الأولى المطلوب للمشروع. وبدأنا في التعاقد على إنشاء المباني والاتفاق مع الشركات الموردة للآلات.

ساهمت دراسة الجدوى التي أجريناها في تغيير رأس المال وإحداث تعديلات في هيكلة التمويل.. كانت التقديرات الأولية تقول إن المشروع سيتكلف خمسة ملايين ريال. لكن وجدنا أن الكلفة سترتفع لتصبح من 7 إلى 8 ملايين ريال. لم يكن أمامنا خيارات سوى الاتجاه إلى البنوك للحصول على جانب من التمويل.

تقدمنا إلى صندوق التنمية الصناعية في الرياض نطلب الدعم والمساندة.. فكانت المفاجأة الصاعقة أنهم أبلغونا عقب دراسة الموضوع بضرورة البحث عن مشروع آخر. بداعي أن السوق صعب والمشروع ليس مجدياً اقتصادياً ويحمل الكثير من المخاطر. وفيما بعد عرفت أن الدراسة المناظرة التي أجراها الصندوق لم تكن إيجابية. طلبوا استدعاء المستثمر للجلوس معه ومناقشة الأمر. وعقدت معهم ثلاث جلسات متتالية نجحت خلالها في إقناعهم بوجهة نظري وجدية المستثمرين والتزامهم وكذا الجدوى الاقتصادية للمشروع.

وجدوا على وجهي الحماس والرغبة والتصميم والجدية.. مما دفعهم إلى تغيير قرارهم. وافقوا على الدعم والمشاركة في التمويل شريطة أن نصرف 50 % من النفقات الأولى للمشروع من أموالنا. قبل أن يبدأ الصندوق في صرف القرض. وهو شرط أعطاهم الكثير من الطمأنينة.

ولقد وجدت الدعم الكبير من المهندس عبد الله محمد نور رحيمي الذي كان يشغل منصب مدير المشاريع في الصندوق. حيث ساعدنا على الحصول على موافقة الصندوق على قبوله تمويل المشروع.. فشكراً له.

برهن صندوق التنمية الصناعية على أنه نموذج راق ورائع لما ينبغي أن تكون عليه الإدارات الحكومية. تعامل معنا باحترافية كاملة.. ولم يغامر بالأموال المؤتمن عليها.. وضعها في مكانها الصحيح بشكل يؤكد جديتهم في العمل. في ظل وجود رغبة صادقة للمساعدة والاستماع للمستثمر والبحث معه عن حلول. وليس وضع العراقيل.. ويا حبذا لو كانت كل الدوائر الحكومية تتمتع بعناصر على نفس كفاءة وجدية واحترافية مسؤولي صندوق التنمية الصناعية. ولقد كان الاستاذ محمد عبد المنعم حمودة أول ضابط مسؤول

مصنع السنبلة

عبد الله عبد الكريم اللحيدان والمؤلف

بمشروع السنبلة الذي وجدنا منه كل الدعم والمساندة والتوجيه.

رأيت من خلال خبرتي وزيارتي المتعددة إلى أوروبا وأمريكا ضرورة أن تكون هناك شركة واحدة تتولى توريد وتركيب المعدات وتكون أيضاً مسؤولة عن التشغيل التجريبي وتضع مديراً مسؤولاً من قبلها لمدة عام أو عامين في المشروع. كان الشرط يبدو صعباً لكنه ليس مستحيلاً. عرض الاستشاري مجموعة من الشركات التي يمكن أن توفر المعدات.. وتم اختيار شركة لها باع جيد في الحصول على مقاولات (تسليم مفتاح)، تشتري المعدات من مصادر مختلفة بموافقتنا وبناء على رغبتنا. حيث كانت هناك معدات يابانية وهولندية. وكنت أميل بشكل كبير إلى خطوط الإنتاج اليابانية رغم ارتفاع سعرها.. وقمنا بالتفاوض بشكل مباشر مع مصنعي الآلات وتعرفنا على جزئياتها وعملها والآلات

المساعدة التي تركب عليها.. وفي النهاية جلبنا للشركة الأمريكية المشغلة عرض لخط الإنتاج المستهدف وسعره، على أن يحصلوا على عمولتهم مقابل النقل والتشغيل والإشراف والمسؤولية.. وهو أمر مشروع ومقبول يطبق في معظم دول العالم.

مر اختيار الموقع بعدة مراحل.. كانت هناك خيارات بين جدة والرياض والدمام، واستقر الأمر على جدة لأسباب عديدة تتعلق بكونها الميناء الرئيسي للمملكة، ووجود المشروع الأكبر لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق بها، علاوة على الكثافة السكانية خصوصاً في مواسم الحج والعمرة، وقلة تكلفة التصدير والشحن.

تقدمنا إلى وزارة الصناعة للحصول على أرض بالمدينة الصناعية الأولى بجدة أيام تولي معالي الدكتور غازي القصيبي ـ يرحمه الله ـ مسؤوليتها، حيث قدم دعماً لا محدوداً لكل الصناع، وأطلق عبارته الشهيرة (كن سعودياً واشتري منتجاً سعودياً)، وتجاوبت الوزارة مع طلبنا بشكل سريع وخصص لنا موقعاً، لكنني عندما أطلعت عليه على أرض الواقع لم أجده مناسباً، حيث جاء وسط مصانع الخرسانة والطوب.

رفضت استلام الموقع وعدت إلى وكالة وزارة الصناعة بعد أن تولى مسؤوليتها الدكتور فؤاد الفارسي.. مؤكداً صعوبة إقامة مصنع للأغذية وسط أجواء بيئية محاطة بالأسمنت ومواد البناء، وتفهم الأمر مشكوراً ووجه بتخصيص موقع آخر مناسب، وأتبعت الوزارة سياسة حكيمة بتخصيص المساحة المطلوبة ولكن إبقاء مساحة مماثلة مجاورة تحت الطلب لمواكبة التوسعات المستقبلية، مما ساعدنا بشكل كبير على التوسع في فترات زمنية لاحقة، لاسيما بعد اكتظاظ المدينة الصناعية بالمصانع وشح الأراضي.

ومنذ البداية تم الاستعانة بشركة استشارية سويدية مقرها في مدينة مالمو وهي شركة اجري كونسبت التي وضعت التصورات الأولية للمشروع وخطوط الإنتاج، وقبلها أعدت دراسة الجدوى الاقتصادية، كما تم الاستعانة بمكتب هندسي سعودي هو مكتب المهندس طلال الطاهر الذي وضع كافة الخرائط والتصورات النهائية، وأشعر بالاعتزاز بالتعامل معه ومع الفريق الهندسي التابع له فهو رجل ذو خبرة واسعة وخصوصاً في تصميم المصانع ومرافقها، وبالمناسبة وحتى الآن وبعد 35 عاماً لازالت السنبلة تتعامل مع مكتبه في مشاريعها التوسعية.

واجهنا تحدياً آخر يتمثل في توفير المياه العذبة التي يحتاجها مشروعنا.. مع العلم أن المدينة الصناعية توفرت لها بنية أساسية رائعة لكن بعضها تهالك بحكم عوامل الزمن، وعملنا على الاستعانة بشاحنات المياه من وادي فاطمة والجموم وبعض المناطق الأخرى،ووضعنا جهاز تنقية للمياه وفق معايير عالية جداً للتأكد من سلامتها، مع ضرورة تحليلها من قبل المختبر بشكل مستمر، في المقابل لم نجد أي مشاكل في توفير الطاقة الكهربائية.

ظهر التحدي الأكبر في بناء وتشييد المصنع.. اتفقنا مع مقاول يملك سمعة جيدة

أول شاحنة استخدمتها الشركة

وجرى اختياره بعد تلقى عدد من العروض، قطع جزءاً لا بأس به من عملية تشييد وبناء المصنع، لكنه تعثر فجأة وتوقف عن إكمال المبنى، اجتمعنا به وشددنا على ضرورة الالتزام بالجدول الزمني المتفق عليه، لاسيما أن هناك معدات ستصل إلى ميناء جدة في مواعيد محددة مسبقاً، والتأخير سيؤدي إلى خسائر كبيرة.

لم تف شركة المقاولات بالتزاماتها بعد أن أخطرناها عدة مرات، فتعاملنا معها بطريقة احترافية، وتمت مصادرة الضمان البنكي الذي ينص عليه العقد، ومع انسحاب المقاول من الموقع كان الهيكل الأساسي للمبنى شبه مكتمل مع بقاء التشطيبات والمرافق الخارجية.. تم تقييم الأجزاء المتبقية وقررنا إكماله خصماً من حساباته لدينا، ووجدنا أنفسنا نقوم بعمل المقاولات بشكل اضطراري، واجهنا مشكلة أخرى مع العمال الذين اعتمد عليهم المقاول في بناء الهيكل الخرساني، جاؤوا إلينا يطلبون مستحقاتهم المتأخرة لدى المقاول المتعثر، نجحنا في احتواء الأمر واستعنا بهم في الأعمال الفنية المتبقية وساعدناهم على الحصول على مستحقاتهم السابقة.

تواكبت الأزمة الطارئة التي خلفها انسحاب المقاول مع قدوم العمالة الفلبينية التي تعاقدنا معها للتشغيل، وهي عمالة ماهرة مشهود لها بالكفاءة عالمياً، لذا جاء تجاوبهم سريعاً مع العرض الذي قدمناه لهم بإمكانية تأدية أعمال فنية أخرى تتعلق بالتبليط والدهان والتشطيبات.. عملوا بسماحة نفس ورضا كامل مقتنعين أن هذه الشركة تمثل مصدراً للرزق ومن المهم مساعدتها على القيام بدورها على أكمل وجه.. مهما كانت صعوبة العمل وهذا ما حدث فعلاً.. وسارت الأمور بشكل جيد.

لحظات فرح

محطة فاصلة في حياتي.. لحظات فرح لا يمكن أن أنساها ما حييت، لا يمكن أن أنسى صوت الماكينات وهي تدور للمرة الأولى، صوت الآلات تعزف أجمل سيمفونية في العالم.. والجميع يترقب خروج المنتج الأول للشركة الوليدة بعد ثلاث سنوات من التجهيز والتعب.. وسنوات طويلة من الحلم.. أخيراً تحولت الفكرة التي سكنت مخيلتي سنوات إلى واقع أشاهده بعيني.

اللوحة التذكارية للإفتتاح

شعور لا يوصف وأنا أتلمس أول منتج وضع في علبة كرتونية يحمل اسم السنبلة.. ظللت أياماً عديدة شبه مرابط في المصنع أثناء التشغيل التجريبي، وجاء استقبال المنتج بسعادة غامرة لي وللشركاء.. حيث كان خط الإنتاج الأول مخصصاً للمعجنات الهشة والثاني للبيتزا.

شرفنا صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة ـ يرحمه الله ـ بافتتاح المشروع بشكل رسمي في ديسمبر 1983م، عقب شهور قليلة من التشغيل التجريبي، وبعد تخطي العديد من التحديات التي تسببت في تأجيل التشغيل المقرر في عام 1982م، وحمل انطلاق المشروع احتفالية رائعة بحضور معالي وزير الصناعة المهندس عبد العزيز عبدالله الزامل.. حيث شمل برنامج الافتتاح إطلاق ثلاثة مصانع بينها السنبلة للصناعات الغذائية الفاخرة، جهزنا سرداق كبيرة وأطلع أمير منطقة مكة المكرمة ـ يرحمه الله ـ على جميع المنتجات، وتوليت مهمة الشرح والتعليق على خطوط الإنتاج لسموه ولمعالي وزير الصناعة، وجاءت كلماته تحمل الكثير من الفخر والاعتزاز بالمنتج السعودي.. وسط دعم كبير وغير مستغرب.

واجهنا منافسة شرسة وتحدياً لافتاً مع شركات أجنبية موجودة في السوق، وقررنا أن يمثل منتجنا قيمة مضافة للمستهلك ليس على صعيد الجودة فحسب.. بل في السعر، حرصنا على أن نقدم منتجاً وطنياً فائق الجودة بسعر أقل من المنتجات التي يتم استيرادها من الخارج ، لذا جاء تحرك هذه الشركات سريعاً لتهبط بالأسعار خوفاً من المصنع المحلي الذي شكل لهم أرقاً كبيراً.. نزلوا بسعر المنتج الذي كان يباع بستة ريالات إلى أربعة

صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز اثناء افتتاح مصنع السنبلة وبجانبه المهندس عبدالعزيز الزامل وزير الصناعة والكهرباء

ريالات أو أقل.. في حين قدمنا نحن المنتج المشابه بثلاثة ريالات تقريباً.

لم تكن البداية سهلة.. خصوصاً أننا نقوم بتسويق وتوزيع المنتجات بأنفسنا في جدة قبل أن نتوسع في بقية المدن والمحافظات والمناطق، اعتمدنا على عاملين أساسيين في إقناع منافذ التوزيع والبقالات التي لا تريد أن تغير قناعاتها أو تتخلى عن منتج تتعامل معه منذ سنوات طويلة، قلنا لهم إننا نوفر منتجاً وطنياً بسعر أقل وإننا مستعدون أن نقدم لهم ميزات إضافية في التحصيل.. الأمر الذي ساهم في كسب المزيد من الأرض والانتشار بشكل أوسع خلال فترة وجيزة.

بدأ التوزيع على أماكن محدودة بجدة في ظل الحساسية التي يتمتع بها منتجنا وأغلبه مجمد يحتاج إلى توفر ثلاجات بدرجة حرارة 18 درجة مئوية تحت الصفر للحفاظ على جودته، علاوة على أن البعض يميل للمنتجات المبردة أو الطازجة، مع العلم أن التجميد بشكل صحيح (I.Q.F) individually quick freezing وخلال عشر دقائق فقط يحافظ على قيمة الجودة.. ويجعل المنتج لا يختلف نهائياً عن الطازج.

باتت السنبلة أول شركة في منطقة الشرق الأوسط تقتني وتشغل جهاز التجميد

الحلزوني (اسباير فريزر) الذي يقوم بتجميد المنتجات في فترة لا تتجاوز 10 دقائق بطريقة الـ(I.Q.F).. يدخل المنتج من جهة ويخرج مجمداً من الجهة الأخرى.. وتملك شركتنا شهادة عالمية توثق هذه الأولية المهمة. استعنا بالجهاز من السويد بعد تجريب أجهزة أخرى بديلة لم نجد منها المرونة والنتيجة التي ترضي طموحاتنا.. وهو يعمل حتى الآن في مصانعنا بعد التحسينات التي أجريت عليه.

الدكتور ماجد القصبي عندما كان أمينا لغرفة جدة في زيارة إلى مصانع السنبلة

أما الطريقة التقليدية القديمة في تجميد المواد الغذائية في حفظ المنتجات في غرف التبريد لمدة 24 ساعة، والحصول عليها مجمدة بعد ذلك، فهذه الطريقة غير سليمة وغير صحية، بل إنها تؤدي إلى نمو البكتيريا في المنتج، بينما الطريقة الحديثة التي أشرت إليها أعلاه هي الطريقة الصحيحة.

فليس المهم أن تطلق عدداً من خطوط الإنتاج.. المهم ماذا تفعل بعد ذلك؟ كيف تتصرف في الخطوات التالية التي تمثل الانطلاقة الحقيقية نحو السوق.. أن تكون هناك استراتيجية واضحة للتسويق والتوزيع والانتشار، نقنع العملاء الجدد من الشركات والوكالات والعملاء بمنتجنا، وسط منافسة قوية في سوق يتميز بالتنوع، ومع حرب الأسعار التي أطلقها البعض لتقليص حظوظنا وحرماننا من الحصول على حصة من السوق.

قمنا بحملات ترويجية في مختلف الأسواق.. شاركنا في معارض الصناعات الوطنية بجدة والرياض والمنطقة الشرقية وعسير وتبوك والمدينة، خضنا معركة تسويقية بشرف بسبب الاشتباك الضروري الذي اضررنا إليه لفتح المجال لمنتجاتنا، شيئاً فشيئاً بدأنا نتواجد بشكل واضح ونرسخ أقدامنا بشكل أكبر، تغلبنا على الصعوبات التي واجهتنا في انتشار المواد المجمدة بسبب ضيق مساحات الفريزرات والثلاجات في بعض منافذ التوزيع، فكل شركة تحارب على المساحة المخصصة لها، وعندما يأتي منتج جديد يحتاج إلى جهد إضافي للوصول إلى ثلاجات العرض.

لم يكن لدينا أسطول توزيع كما يتصور البعض.. بدأنا بثلاث شاحنات صغيرة، لكننا ضاعفنا العدد بعد فترة قليلة، وتم الاتفاق مع شركة التجارة العمومية حيث كان مديرها

الامير ماجد بن عبد العزيز - يرحمه الله - في معرض الصناعات الوطنية بجده ١٩٩٧م

العام الصديق الأستاذ محمد إبراهيم قدورة، لتقوم بتسويق منتجاتنا في الرياض والمناطق الأخرى باستثناء المنطقة الشرقية التي تولتها شركة التجارة العامة (مجموعة خالد الحاج للتجارة المتحدة)، كنا نرسل المنتجات إلى الموزعين في الرياض والدمام، ويقومان بدورهما في التوزيع بالمنطقتين.

(لا يحك جلدك مثل ظفرك) هكذا يقول المثل العربي وهو ما وجدناه بالفعل على أرض الواقع، وجدنا الأصناف التابعة لنا لا تجد العناية الكافية من الاهتمام مع الموزعين المعتمدين في الرياض والدمام، تحت تأثير البائعين الذين لا يحبذون دخول منتج جديد غير معروف وليس له قاعدة في السوق، بدأنا نعتمد على القوة الذاتية ونضاعف البائعين ونحسن اختيارهم ونعطيهم حوافز حتى يتمكنوا من إقناع الموزعين، قدمنا تسهيلات في التسديد، لكن للأسف بعض منافذ التوزيع كانت تتباطأ أكثر في التسديد، الأمر الذي يؤثر بشكل كبير على دورة التدفق النقدي.. فهو يحد من حركتك ويقلل من فرصتك في دفع رواتب الموظفين وشراء المواد الخام، صمدنا طويلاً لحل هذه الإشكالية، واستخدمنا كل وسائل الاتصالات لبناء وتيرة جيدة تساعد على استلام مستحقاتنا في موعدها، وأخذ ذلك فترة من الزمن.

بيروقراطية عربية

نجحت السنبلة خلال عامين أن تصل إلى مرحلة التوازن.. ومن حسن الحظ أننا نجحنا في التوصل إلى اتفاق مع إدارة التموين في الخطوط السعودية، فهم كانوا في حاجة إلى منتجات وطنية سهلة وجاهزة لتقديمها لعملائهم على الطائرات، وحدث اتصال مشترك اقتنعوا خلاله بمنتجاتنا واعتمدوا بعضها لتوضع داخل علبة واحدة تتكون من البيتزا والكبة والكروساK المحشية والكيك المقطع الجاهز، بحيث تقدم باردة كسناك، وجاء وفد من الخطوط السعودية للكشف على المصنع وأبدى رضا كاملاً عن آلية العمل وجودة المنتجات، وساعدناهم في تقليل كلفة الإنتاج، ومثل ذلك عاملاً هاماً في تمكين السنبلة من العمل بشكل متواصل لامداد تموين الخطوط السعودية، حيث وصل ما كنا نزودهم به إلى ما يقارب 70 % من إنتاج الشركة في عام 1984م، إلا أن ذلك التعامل لم يكن محكوماً بعقد واتفاقية بين الطرفين مما يعطي الخطوط السعودية حرية التوقف في أي وقت تشاء، وذلك يمثل عامل خطورة عالية.

لم يستمر الوضع طويلاً.. فمن الطبيعي أن تبحث كل شركة عن مصلحتها الخاصة، وكان البديل للخطوط السعودية العودة إلى تعزيز المطابخ في المطارات لإعداد الوجبات الخاصة بهم بتكلفة رأوا أنها أقل، وفي صيف عام 1985م وخلال تواجدي خارج المملكة وصلتني مكالمة هاتفية تشير إلى أن الخطوط السعودية قد قررت إيقاف شراء الوجبات فوراً، التجربة فتحت أعيننا إلى ضرورة تنويع مصادر التسويق، وعدم الاعتماد على عميل رئيسي واحد.

انطلقنا في الأسواق المحلية ثم بدأنا التصدير للخارج واستفدنا من التجربة بشكل كبير، ورب ضارة نافعة، استفدنا من الأزمة وتفتحت أعيننا على حقائق مهمة لابد من أخذها في الحسبان، واستطعنا في فترة وجيزة أن نتغلب على مشكلة انخفاض المبيعات، وبدأنا التصدير لدول الخليج، وكنا نشارك بكثافة في معارض الصناعات الوطنية في الإمارات والكويت وقطر وعمان، وكانت الإمارات في طليعة الدول التي بدأنا التصدير لها، حيث اتفقنا مع موزع إماراتي رئيسي له شبكة عريضة في السوق ومعه جهازيه الإداري والتسويقي، وتنحصر مهمتنا في إيصال المنتج إليه مع متابعة تسويقية على أن يتم تحصيل قيمة المبيعات في فترة لا تزيد عن 90 يوماً.

كان من الصعب أن نتولى بأنفسنا عملية التسويق ونقتحم سوقاً لا نعرف تفاصيله بالشكل الكافي، الأمر الذي يزيد من حجم التكلفة ويؤدي إلى عواقب غير مضمونة، فالموزع المحلي أكثر قدرة على التعامل مع السوق ويحقق أفضل النتائج بأقل تكلفة، ونجحنا على مدار السنوات الماضية ووفق هذه السياسة في الوصول إلى 40 دولة في

منطقة الشرق الأوسط والأدنى.. بينها إندونيسيا وأفغانستان والهند وباكستان.. ووصل منتج العسل مؤخراً إلى تنزانيا في وسط إفريقيا، علاوة على التواجد القوي في الدول العربية رغم وجود العديد من العراقيل التي تواجهنا في التصدير لهذه الدول.

هناك بيروقراطية عجيبة واجهتنا خلال التصدير للدول العربية.. أحياناً يبحثون في الملفات القديمة ويخرجون لوائح وأنظمة لتعطيل دخول المنتج الوطني السعودي، وأحيانا أخرى يضعون شروطاً تعجيزية وطلبات عديدة تضعف انسياب التجارة بين الدول العربية وتقوض عملية التبادل التجاري التي ينبغي أن تكون عليها، رغم وجود اتفاقية منظمة التجارة العربية الحرة الكبرى (G.A.F.T.A) التي تنص على إزالة الحواجز الجمركية لكن لم يتم تفعيل نصوص الاتفاقية المذكورة بشكل كاف حتى الآن.

حققت منتجات السنبلة مردوداً جيداً في دول الخليج وعدد من دول شمال إفريقيا وبالذات الجزائر وليبيا، وبدأنا نصدر لعدد من الدول الأوروبية ولدينا جهاز تسويقي فعال يساهم سنوياً في فتح أسواق جديدة لمنتجاتنا التي تعد واحدة من أهم صناعات الغذاء السعودية، ولاشك أن الأحداث الأخيرة والتقلبات التي حدثت في عدد من الدول ساهمت في تعطيل بعض الصفقات.

توسعنا بشكل كبير خلال العقود الثلاثة الماضية.. وبات لدينا ثلاثة مصانع منتجة في المدينة الصناعية بجدة.. المصنع الأول للمعجنات بدأنا به عام 1983م، ويتبعه مصنع للمخبوزات ثم مصنع عسل الشفاء، ومصنع اللحوم الذي افتتح عام 1992م، وتطورت المصانع الثلاثة بشكل كبير على مدار السنوات الماضية وباتت تطبق أدق المعايير العالمية.

وتوسعت الشركة بشكل كبير على صعيد رأس المال المدفوع.. وفي حين كانت البداية بخمسة ملايين زادت بعدها إلى 8.8 مليون ريال، وجاءت بعدها زيادات تلقائية وتطوعية من قبل الشركة، حيث زاد رأس المال إلى 15 مليوناً، ومن ثم إلى 25 مليوناً مروراً بـ 45 مليون ريال.. لنصل في النهاية إلى 100 مليون ريال، وباتت الشركة بأصولها وسمعتها الكبيرة وعلاماتها التجارية التي حققتها الآن تتجاوز المليار ريال سعودي .

الشعار الأول وعلامة السنبلة

الشعار الحالي

عسل الشفاء.. قصة نجاح آخرى

بالتواكب مع بدء الإنتاج في شركة السنبلة.. أقام شريكنا الأستاذ عبد العزيز محمد النويصر مصنعاً للعسل في المدينة الصناعية عبر شركة إخوان السعودية التجارية.. حيث دأبت هذه الشركة على تنفيذ مشاريعها وفق أعلى معايير الجودة، سواء من حيث المبنى أو الآلات أو الخامات، استفادت من شركة استشارية كبيرة، واستوردت معدات المصنع من ألمانيا، وبدأوا في الإنتاج عام 1983.

كل عناصر النجاح توفرت لعسل الشفاء

توفرت كل عناصر النجاح لمصنع العسل منذ إطلاقه، وبدأ بطاقة إنتاجية تصل إلى 250 طناً في العام، لكن تخصص شركة إخوان في إدارة العقارات والممتلكات لم يجعل لديها الوقت الكاف لتنمية وتعزيز قدرات المصنع، الأمر الذي شجعنا على أن نعرض عليهم إمكانية التعاون بحيث يدخل المصنع ضمن نشاطات مجموعة السنبلة.

وعقب مداولات وجلسات متعددة في شهر أغسطس 1988م تم التوصل إلى اتفاقية تتضمن استحواذ شركة السنبلة على مصنع العسل بمرافقه وجهازيه الإداري والفني، شعرت بكثير من التفاؤل منذ البداية لأننا نتعامل مع منتج مبارك ذكر في القرآن الكريم، وعلامته التجارية (الشفاء) أيضاً مباركة وذكرت في محكم آيات الذكر الحكيم، لذا عملنا منذ اللحظة الأولى على رفع القدرة الإنتاجية لتصل إلى 400 طن بزيادة تتجاوز 60 %، ثم بدأنا في التسويق بشكل واسع للمنتج، واخترنا المراقب المالي للسنبلة مستر سمارا سنجهي ليكون مسؤولاً عن المصنع الجديد.

أتذكر أنني قلت له بالنص: "هذا طفلك.. أعمل جيداً على تفعيله ورعايته، أريد أن أرى نتائج مبهرة وملموسة في فترة وجيزة"، وبالفعل اعتبر الرجل المهمة الجديدة نوعاً من التحدي، أهتم بتوفير المواد الخام وبذل جهوداً مضنية لتحسين العمل وحساب التكاليف والإشراف على المصنع، إضافة إلى إدارة التسويق والمبيعات التي كانت موجودة.

حققنا نجاحاً رائعاً.. وشعرنا بطعم ولذة النجاح، وأول شيء فكرت فيه هو توفير الحماية القانونية للعلامة التجارية التي لم تكن مسجلة حتى ذلك الحين، واستعنت بالدكتور عبد الرحمن الزامل وكيل وزارة التجارة لشؤون الصناعة الذي تدخل أيضاً وساعدني

الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة –يرحمه الله – أثناء افتتاحه معرض الصناعات الوطنية بجدة مع سامر ابراهيم كردي نائب رئيس مجلس الإدارة

على تسجيل علامة الشفاء.. الأمر الذي جعلنا نقف على أرض صلبة، ونركز بشكل كبير على الجودة والانتشار، وأجرينا اتصالات عديدة بالموزعين في دول الخليج الذين رحبوا بالمنتج بشكل كبير، حيث كانت كل عناصر النجاح متوفرة، سواء على صعيد الاسم أو الجودة أو القدرة على تلبية احتياجات السوق، وحتى البيع والتسويق.

عملنا بشكل متسارع على زيادة الطاقة الإنتاجية، وقمنا بتعديل الترخيص الصناعي حتى باتت الطاقة المرخصة من وزارة التجارة والصناعة في الوقت الحاضر 15 ألف طن سنوياً، مما يعني أننا ضاعفنا الطاقة 60 مرة تقريباً، واكب ذلك العديد من التوسعات وإضافة خطوط وأصناف جديدة، والتركيز بشكل كبير على المنتج وجودته.

أشعر بكثير من الاعتزاز والفخر لأننا نحرص دائما على اختيار العسل من أحسن الخامات وأوثق المصادر وتتم المعالجة وفقاً لأعلى المستويات العالمية، ثم حصلنا على شهادة الجودة من الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس منذ ما يزيد على العشرين عاماً ولدينا شهادة الـ ISO22000 وتخضع منتجاتنا إلى الفحوصات والتحاليل الدورية من قبل هيئة الغذاء والدواء السعودية (S.F.D.A)، علاوة على وجود مختبر الجودة النوعية ضمن مرافق المصنع مزوداً بكافة الأجهزة الحديثة يديره فريق كفؤ ومؤهل، ولدينا (الهاسب) وهي من الشهادات المرموقة.

الشباب السعودي.. إلى أين؟

رغم الجهود الكبيرة التي تبذلها الدولة.. إلا أن دور العمالة السعودية في المهن الحرفية والإدارية البسيطة والمتوسطة، مازالت أقل من الطموحات، صحيح أن هناك بعض الكفاءات التي لا يمكن إنكارها لكن ثقافة الانضباط والالتزام في العمل مازالت دون المستوى المطلوب، علاوة على عدم اقتناع الكثير من الشباب بالعمل الحرفي الذي يمثل عماد تطور المجتمعات في معظم دول العالم، والغريب أن ظاهرة التكاسل التي نراها على بعض شبابنا دخيلة على المجتمع السعودي.. فقد كان أباؤنا وأجدادنا يؤدون عملهم بإخلاص وتفان تحت أشعة الشمس وفي ظروف صعبة، ونجحوا في بناء رصيد كبير للأجيال القادمة التي لم تأت بنفس الروح والحماس والكفاءة، مع العلم أن بيئة العمل في الحاضر باتت أكثر تطوراً وملائمة من الماضي، كل المصانع مكيفة وتتوفر فيها الخدمات الصحية والبيئية.

والحقيقة التي لا ينبغي أن يتجاهلها كل الصناع وأصحاب العمل مشكلة التسيب الوظيفي التي تمثل صداعاً مزمناً لنا، نقضي فترات طويلة في تأهيل وتدريب الموظف ووضعه على الطريق الصحيح، ونفاجأ باختفائه بداعي حصوله على عمل آخر براتب أفضل، وهذا ليس على مستوى العمالة العادية في المصانع لكن على مستوى الموظفين في المكاتب.. لكن هذا واجبنا ومسؤوليتنا الأدبية والاجتماعية أن نضع أيدينا في أيدي الجهات الحكومية للأخذ بأيدي هؤلاء الشباب.. والعمل سوياً لغرس ثقافة جديدة لديهم عن العمل تشبه التي كان عليها أباؤنا وأجدادنا، مع العلم أننا وصلنا في مجموعة السنبلة إلى نسبة سعودة تزيد عن 30 % وهي نسبة مرتفعة في القطاع الصناعي.

يقدم صاحب العمل فاتورة باهظة لعدم انضباط بعض العمال وغيابهم غير المبرر دون سابق إنذار، يتسببون في حالة من الإرباك.. الإشكالية الكبيرة أن غياب العامل عن موقعه في أحد خطوط الإنتاج يتسبب في تعطيل الحركة في جهات أخرى.. فالعمل حلقات متواصلة ومترابطة، ومن المهم جداً أن تتكاتف كل الجهود لتنمية ثقافة العمل وتطويرها بشكل يؤسس لثقافة جديدة تعيد الثقة في قدرات الشباب السعودي على إثبات الوجود والالتزام وتحمل المسؤولية.

عاصرت العمالة من مختلف الجنسيات.. ولا زلت أذكر المجموعة الأولى التي أتينا بها من الفلبين عام 1983 م بكل خير فهي الأكثر تميزاً.. ومنذ البدايات الأولى عملت على تنويع مصادر العمالة والبحث عن بدائل أقل تكلفة وأكثر فعالية.. وكانت السنبلة من أوائل الشركات التي استعانت بعمالة سيرلانكية منذ أكثر من 30 عاماً، لم نكتف بالعمالة

الفنية بل أتينا بموظفين في الحسابات ومراقب مالي ومهندسين ويتمتعون بكفاءة كبيرة.. ومن الصعب التفرقة بينهم وبين العمالة الأخرى المنضبطة مثل الفلبينية والهندية.. فنحن نبحث عمن يؤدي العمل بالمستوى المطلوب ولديه قابلية للتطوير بصرف النظر عن الأمور الأخرى الثانوية.

وفي ظل التطور الكبير الذي عاشته السنبلة خلال العقود الزمنية الماضية.. تحولت شركتنا من مؤسسة فردية إلى شركة ذات مسؤولية محددة، ثم تحولت إلى شركة مساهمة مقفلة.. الأمر الذي أهلنا لتأسيس الشركة بقواعد مختلفة من النواحي التنظيمية والضوابط ومبادئ الحوكمة.. لتقف على قدم المساواة مع الشركات الأخرى المساهمة غير المتداولة.. فهناك فصل تام بين الملكية والإدارة، لدينا رئيس تنفيذي مستقل ليس من الشركاء وفريق تنفيذي محترف، وليس للملاك دخل مباشر أو غير مباشر في العمل اليومي، ويكتفي مجلس الإدارة الذي يضم الشركاء بوضع السياسات والإستراتيجية التي تسير عليها الشركة، وعلى الفريق التنفيذي إدارة العمل بكفاءة وتنفيذ كل السياسات التي تعود بالنفع، وهناك درجة عالية من الانسجام بين مجلس الإدارة والجهاز التنفيذي، وعلى الصعيد الإداري.. لم يكن منصب رئيس مجلس الإدارة مطروحاً عندما كانت الشركة ذات مسؤولية محدودة.. فقد كنت أحد المديرين، وعقب اجتماع الجمعية العمومية في 7 مايو 2013م انتخبت رئيساً لمجلس الإدارة.

لاشك أن هناك بعض التأثيرات الكبيرة التي تزيد من مسؤوليات صاحب العمل وبالتالي واكبت عملية التوسع.. اذ زادت العمالة بشكل لافت.. وبالتالي ارتفعت الرواتب المدفوعة نهاية كل شهر.. ومستحقات العاملين لنهاية الخدمة، وفي حين كان عدد موظفي الشركة لا يتجاوز 400 موظف قبل 5 سنوات، زاد العدد مؤخراً إلى 1700 موظف، إضافة إلى أطراف أخرى تقدم خدمات لوجستية للشركة مثل شركات النقل والتخليص الجمركي وموردي المواد الخام وغيرهم.. الذين يعتبرون جزءاً أصيلاً من منظومة العمل، وقد احتجنا إلى هذه الزيادة الكبيرة في العمالة مع تطبيق أنظمة وزارة العمل ونطاقات السعودة.

ونحمد الله أن مجموعة السنبلة تتمتع بسمعة مرموقة بين العديد من الشركات وتتعامل مع العاملين بها بأسلوب راق ومتحضر، ولا تميز في تعاملها مع العاملين بحسب الجنس أو الجنسية أو الديانة، كما أنها تحرص على أن تدفع مستحقات العاملين وكذا مكافآتهم في موعدها، ولم يحدث مطلقاً أن تأخر صرف الرواتب ولو ليوم واحد.

لم يعد العمل في مصانعنا الثلاثة وخطوط الإنتاج وإدارات الشركة المختلفة مقصوراً على الرجال فقط.. بل لدينا عمالة نسائية تقترب من 100 سيدة.. يؤدين عملهن كما ينبغي في خطوط إنتاج المعجنات والعسل، حيث نلبي جميع المتطلبات التي تشترطها وزارة العمل في هذا الجانب من توفير بيئة نموذجية وخاصة للمرأة.

صلاحيات.. وتدخلات

علمتني الحياة أن المدير الناجح هو الذي يختار العناصر الأمينة ذات الكفاءة لتتحمل المسؤولية وتكون جديرة بالصلاحيات، المدير الناجح هو الذي يستطيع أن يصنع البديل له ويمنح الصلاحيات لمن حوله مع المتابعة والرقابة، بحيث تكون هناك تدخلات حكيمة لضبط الأمور وإعادتها للمسار الصحيح في حالة الانحراف، وقد مررنا بتجربة من هذا النوع، عندما مارس أحد المديرين صلاحياته بشكل سلطوي وتعسفي مع الآخرين، لم أقبل هذا الأمر وتحركت سريعاً بمجرد معرفتي، فنحن نعمل وفق ضوابط أخلاقية لا يمكن المساس بها، وحق الموظف التزام مقدس لا يمكن المساس به، ولابد أن يحصل أي موظف مهما صغر دوره على حقوقه..وفي المقابل نطلب من الجميع تأدية واجباتهم على أتم وجه، وفق سلوكيات وأخلاقيات ممتازة.

أشعر بكثير من الاعتزاز ببيئة العمل الموجودة لديناً، ورغم أن هناك شركات وجهات عديدة تشارك سنوياً في مسابقات ومنافسات لأفضل بيئة عمل، إلا أننا نطبق ذلك بالفعل وليس القول ولا نبحث عن الشهرة والأضواء، لا نفرق بين موظف أو آخر بصرف النظر عن جنسيته.

تصبح الشركة كلها على قلب رجل واحد في حال الكوارث والأزمات وتحدث حالة استنفار على جميع الأصعدة لمساعدة شخص ما مصاب أو مريض، وقبل فترة عدة اشهر وفي الساعة 5.30 صباح يوم جمعة شهد المصنع حريقاً بسيطاً بسبب أحد أجهزة التكييف القديمة، حضر الكثيرون للمصنع وتعاملوا مع الحدث على أنه يهم كل شخص فيهم، وحين جاءت فرق الإطفاء بالدفاع المدني وجدوا العمال والموظفين قد تمكنوا من إطفاء الحريق.

توزيع المسؤوليات ساهم في تحسين أوضاع العمل بشكل كبير في السنوات الأخيرة.. يؤدي الرئيس التنفيذي المهندس رضا مصطفى كاج عمله بكفاءة كبيرة، وهو شخصية مرموقة يعمل بالشركة منذ 13 عاماً، إدارياً، مهنياً، قائداً، موجهاً، يتحلى بالأخلاقيات والسلوكيات الفاضلة، وحكيم في تعامله مع القضايا المختلفة، موضع احترام وتقدير من كافة الأطراف، وباتت لدينا فرق متخصصة في الأمن والسلامة.. وقسم متخصص في المسؤولية الاجتماعية سواء للعاملين داخل الشركة أو الجهات الخارجية، إضافة للعديد من الأقسام والإدارات المهمة.

وخاضت إدارة الشركة معارك كبيرة لتوفير الحماية القانونية للشركة فيما يتعلق بالاسم والعلامات التجارية في زمن بات مليئاً بالقراصنة الذين يحاولون التلاعب بالأسماء، وبعد التحدي الكبير الذي كسبناه في تسجيل اسم (السنبلة) بمساعدة الدكتور عبد الرحمن الزامل، بذلنا مجهوداً كبيراً لتسجيل علامة (الشفاء) كعلامة تجارية لمنتج العسل بمساعدة الدكتور الزامل أيضاً، التي واجهت عواصف عديدة من القرصنة فيما بعد، فعلى أرض الواقع هناك من يحاولون لي ذراع الحقيقة.. ويسجلون علامات مملوكة

مصنع مجموعة السنبلة في مدينة 6 اكتوبر المصرية

من آخرين ولها حماية قانونية بدعوى أنها جديدة ومبتكرة. وجدنا علامات تحمل نفس الاسم مع إضافات بسيطة مثل (سدر الشفاء) أو (معجزة الشفاء) أو (شفاءك).. وكلها أنواع من الخداع والتحايل للاستفادة من شهرة علامة (الشفاء) في السوق. ومطلوب من المسؤولين في وزارة التجارة التنبه لهذا الأمر ومعالجته وقطع الطريق على مثل هذا التحايل. لاسيما أننا أنفقنا الملايين من أجل بناء سمعة ومكانة هذه العلامة. لذا خضنا العديد من القضايا في الفترة الماضية وكسبنا الكثير منها.

أما أساليب الغش في منتج العسل نفسه فهي كثيرة. وهناك محاولات لا حصر لها تتمثل في عبوات تحمل تصاميم خادعة بداعي أن محتوياتها عسل طبيعي صافي بينما هو في الحقيقة عبارة عن سائل محلى بالسكر. ولقد تعاملنا مع حالة غش وظللنا نلاحق أصحابها على مدار خمس سنوات . ووضع معالي الأستاذ عبد الله زينل وزير التجارة والصناعة السابق النهاية لها بتشكيل لجنة فنية أثبتت بالدليل القاطع الغش والخداع وعوقبت الشركة التي تورطت في القضية.

لقد مرت السنبلة بسلسلة طويلة من المحطات والمنعطفات المهمة في مسيرتها.. بداية من الافتتاح وبداية الإنتاج ثم الانتشار المحلي والتصدير إلى 40 دولة. ثم التوسع والاستحواذ على مصنعين للعسل واللحوم. وصولاً لتحولها إلى شركة مساهمة مغلقة. والتوسع خارجياً وافتتاح مصنع كبير بمدينة 6 اكتوبر المصرية. مما أعطاها زخماً فيما يتعلق بالنواحي الدستورية والمؤسساتية والقيام على أسس مقننة موضوعة من قبل الجهات الحكومية. ووصلت منتجاتنا في الفترة الماضية إلى 250 صنفاً. لحظات من الانتصارات والانكسارات عشتها على مدار الفترة الماضية..

كلما قطعت خطوة تشعر بلذة السعادة بداية من الحصول على الأرض. حفر الأساسات. توقيع عقود المعدات. وصول المواد الخام. بداية الإنتاج. التصدير. التوسع. تأتينا أوقات نواصل خلالها الليل بالنهار. في المقابل شعرت بكثير من الترقب والخوف مع زيادة المسؤولية.

فريق عمل السنبلة قدم نموذجاً رائعاً في الكفاح والمثابرة

ومن حسن الحظ أن لدينا من المسؤولين والمدراء من يؤدون عملهم على أكمل وجه ويتحملون الكثير من الأعباء.. ورغم زيادة حجم الشركة والمسؤولية في الفترة الأخيرة إلا أن الأعباء باتت أقل من ذي قبل. فقد كنت في السنوات الأولى لانطلاقة السنبلة أؤدي كل الأعمال من الإدارة إلى التخليص الجمركي والتعقيب ومراجعة الجوازات وطلب التراخيص والتنسيق مع الجهات الحكومية، حتى تم توظيف أشخاص يؤدون هذه الأعمال.

وأود أن أشكر كافة الإخوة الذين قدموا خدمات لا تنسى لشركة السنبلة منذ بدايتها، وهم كثر وامتدت خدماتهم لسنوات طويلة ولولا مجهوداتهم ودعمهم وولائهم لما وصلت الشركة إلى ما وصلت إليه.

وأخص أولاً شركائي الأساسيين الذين خاطروا في بداية المشروع ووضعوا ثقتهم وأموالهم في شركة جديدة ليست معروفة ولا وجود لها في ذلك الوقت، وهم أخي الشيخ عبد الله عبد الكريم اللحيدان وأخي الشيخ عبد العزيز محمد النويصر، عندما أخذوا المخاطرة وتقبلوا الفكرة وأظهروا الدعم والتأييد للمشروع وللشخص القائم عليه، والحمد لله أن حققت شركة السنبلة نجاحات ملموسة في الإنتاج وتنويع الأصناف والتوسع والانتشار الجغرافي المتمثل في مصنع الشركة الرائد في مدينة 6 أكتوبر ومساحته 27000م الذي أنشأ عام 2001م وبدأ التشغيل في أكتوبر 2004م، وكان السيد سامر كردي مشرفاً على مراحله الأولية، كما كان للمهندس محمد جمال سالم دور مهم في المتابعة والتنسيق.

والشكر موصول للجهازين الإداري والتنفيذي للشركة والأشخاص الذين بذلوا جهوداً مميزة وأبدو إصراراً كبيراً لكي تستمر الشركة في تحقيق النجاح تلو الآخر، وأمضى بعضهم سنوات طويلة تتجاوز العشرين عاماً، ويسعدني أن أذكر بعضاً من الأسماء التي عملت بالشركة سنوات عديدة منهم: الحاج سالم بدر، صلاح بلة، أحمد الشيخة، محمد عثمان حامد ـ يرحمه الله ـ ، عبد المنعم محمد علي ـ يرحمه الله ـ ، خليل منير شومان ـ يرحمه الله ـ محمد منير شومان، وكذلك مستر ديفيد ديردن الذي كانت له مساهمات وأفكار ومبادرات هامة تحولت إلى نتائج على أرض الواقع، ومستر منقالا سمارا سنجهي، وخافيير ريكاردو، ونايلايتن.. وكذلك أشيد بالجهازين الإداري والتنفيذي الحالي وعلى رأسهم المهندس رضا مصطفى كاج، والمهندس خالد صالح والهيثم السليماني، وكافة العاملين من مدراء وموظفين في كافة القطاعات.

العلامات التجارية المملوكة للشركة

مع التوسع الكبير الذي شهدته شركة صناعات الأغذية والعجائن الفاخرة (السنبلة) على مدار السنوات الماضية.. باتت تملك عدداً كبيراً من العلامات التجارية التي تتوفر لها الحماية القانونية في معظم دول العالم.. وهي كالتالي:

إضاءات

- لكي تكون ناجحاً، لابد أن تكون لديك أحلام ورؤى وانفعالات وطموحات، يجب أن تضع شيئاً ما نصب عينيك وترغب فيه بشكل جنوني، وهذا الحلم أو الهدف أو الطموح سيصبح أكبر دافع لك.
- إيماني الكامل بالخطوات التي أتخذها وحلمي الذي اقترب من التحقيق دفعني أن أرهن بيتي في الرياض للحصول على قرض من البنك.. حيث قدمت عمارة من ثلاثة أدوار أمتلكها بالرياض ضماناً للمبلغ الذي اقترضته، ووفر الشريكان اللحيدان والنويصر ضمانات مماثلة.
- برهن صندوق التنمية الصناعية السعودي على أنه نموذج راق ورائع لما ينبغي أن تكون عليه الإدارات الحكومية الحديثة، لم يغامر بالأموال المؤتمن عليها.. ووضعها في مكانها الصحيح، ويا حبذا لو كانت كل الدوائر الحكومية تتمتع بنفس الروح والكفاءة.
- ليس المهم أن تطلق عدداً من خطوط الإنتاج.. المهم ماذا تفعل بعد ذلك؟ كيف تتصرف في الخطوات التالية؟ المهم أن تكون هناك استراتيجية واضحة للتسويق والانتشار، تقنع العملاء الجدد من الشركات والوكالات والعملاء بمنتجاتك.
- من المهم أن يحرص رجل الأعمال على تسجيل وحماية العلامات التجارية الخاصة به، بل والاستمرار في متابعة الحماية القانونية لكل العلامات.
- تجربتنا مع الخطوط السعودية.. فتحت أعيننا إلى ضرورة تنويع مصادر التسويق.
- هناك بيروقراطية عجيبة في التصدير للدول العربية.. أحياناً يبحثون في الملفات القديمة ويخرجون لوائح وأنظمة لتعطيل دخول المنتج الوطني السعودي، وأحيان أخرى يضعون شروطاً تعجيزية وطلبات عديدة تضعف انسياب التجارة بين الدول العربية، وتقوض عملية التبادل التجاري.
- ارتفع عدد العاملين في السنبلة من ٤٠٠ إلى ١٧٠٠ موظف ، إضافة إلى أطراف أخرى تقدم خدمات لوجستية للشركة الأمر الذي ضاعف من مسؤولياتنا.
- ظاهرة التكاسل التي نراها على بعض شبابنا دخيلة على المجتمع السعودي.. فقد كان أباؤنا وأجدادنا يؤدون عملهم بإخلاص وتفان تحت أشعة الشمس وفي ظروف صعبة، ونجحوا في بناء رصيد كبير للأجيال القادمة التي لم تأت بنفس الروح والحماس والكفاءة.
- الحقيقة التي لا ينبغي أن يتجاهلها كل الصناع وأصحاب العمل مشكلة التسيب الوظيفي التي تمثل صداعاً مزمناً لأصحاب الأعمال، نقضي فترات طويلة في تأهيل وتدريب الموظف ووضعه على الطريق الصحيح، ونفاجأ باختفائه بداعي حصوله على عمل آخر براتب أفضل.
- علمتني الحياة أن المدير الناجح هو الذي يختار العناصر الأمينة ذات الكفاءة لتتحمل المسؤولية وتكون جديرة بالصلاحيات، المدير الناجح هو الذي يستطيع أن يصنع البديل له ويمنح الصلاحيات لمن حوله مع المتابعة والرقابة.

الفصل الثامن

ذكريات

المبنى الأزرق

الصناعة.. وكواكب الاقتصاد

الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة وبعض مسؤولي غرفة جدة

(الصناعة عنوان تقدم الأمم.. والمدخل الحقيقي لنهضة أي دولة) هذه قناعتي التي آمنت بها منذ وقت مبكر، وهي العبارة التي شعرت بأهميتها وقيمتها خلال زياراتي المتعددة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ودول الشرق الأوسط والأقصى، كنت حريصاً على المشاركة في معظم المعارض والملتقيات والفعاليات والنشاطات التي تدعم القطاع الصناعي وتساهم في تطويره وتحقق قيمة مضافة للصناع، صحيح أنني كنت أركز بشكل كبير على الفعاليات المتعلقة بصناعة المواد الغذائية التي أنتمي إليها، لكنني في واقع الأمر كنت مغرماً ومتابعاً لكل ما له علاقة بالصناعة.

شاركت في نشاطات الغرفة التجارية الصناعية بجدة منذ عام 1988م وبعد خمس سنوات من إطلاق مشروعي الصناعي، أحسست أن بيت التجار الأزرق المتواجد بالقرب من شاطئ عروس البحر الأحمر يسكن داخل قلوب الكثيرين من رجال الأعمال ـ وأنا منهم ـ تعرفت على الكثير من الرجالات الذين أثروا الحياة الاقتصادية ولعبوا دوراً مؤثراً في الحركة الصناعية والتجارية، يجمعنا فنجان قهوة داخل القاعات العتيدة لغرفة جدة نشارك في أحد المنتديات أو الملتقيات أو حلقات النقاش.

تعززت علاقتي بشكل كبير بالدكتور عبد الله بن صادق دحلان أمين عام غرفة جدة، وشاركت مع مجموعة من الزملاء في اللجان وبالذات اللجنة الصناعية بغرفة جدة واللجنة الوطنية الصناعية بمجلس الغرف وقمنا بوضع إستراتيجية الصناعة الوطنية بمشاركة الأستاذ عبد الله زينل، المهندس عادل فقيه، المهندس عمر خليفتي، المهندس حسين أبو اداود، الدكتور طلال بكر - يرحمه الله - ومجموعة أخرى، وأصبحت بعدها عضواً في اللجنة الصناعية التي تضطلع بتمثيل الصناع في جدة، تعمل على حصر المعوقات والمشاكل التي تواجههم، وتعقد لقاءات مع الجهات الحكومية بهدف طرح الحلول والاقتراحات التي تساهم في تطوير الصناعة وإزالة العقبات التي تواجهها.

طرحت مع زملائي الكثير من الرؤى والأفكار العملية التي تشغل الصناع في تلك الفترة.. وجاء اختياري نائباً لرئيس اللجنة الصناعية ثم

في انتخابات الغرف التجارية الصناعية بجدة

الشيخ إسماعيل أبو داود - يرحمه الله - والدكتور عبد الله دحلان ومنير حلواني - يرحمه الله - مع المؤلف

رئيساً لها ليزيد من مسؤوليتي ويزيد من مشاركتي وحضوري إلى غرفة جدة، ويعمق ارتباطي بالقطاع الصناعي، فقد كنا نناقش سواء في الغرفة أو جلساتنا الخاصة أهم القضايا والمشاكل التي تشغلنا ونضع التوصيات والحلول التي نرفعها إلى مجلس الإدارة ومن ثم إلى اللجنة الوطنية لمجلس الغرف بالرياض.. واستطعنا تفعيل الكثير من التوصيات التي تصب في مصلحة الصناعة.

وفي بداية عام 1990م اتصل بي الدكتور عبد الله صادق دحلان هاتفياً وقال لي: (ترى ستكون معنا في الغرفة).. ذهب تفكيري إلى أنني سأبقى رئيساً للجنة الصناعية في الدورة الخامسة عشرة لمجلس الإدارة التي كان مقرراً لها أن تبدأ في نفس العام، فقلت له: (أعرف.. سأكون في تشكيل اللجنة الصناعية الجديد)، قال: (ليس اللجنة الصناعية.. أقصد مجلس الإدارة)، هنا شعرت بوقع المفاجأة في كلماته.. لاسيما أن مجلس الإدارة في تلك الفترة يضم كوكبة من أبرز رجال الأعمال والاقتصاديين ليس في جدة بل في السعودية كلها بقيادة الشيخ إسماعيل أبو داود ـ رحمة الله عليه ـ .

بدأت انتخابات الدورة الخامسة عشرة لمجلس الإدارة ولم أفكر في المشاركة فيها ولم يكن وارداً في ذهني المشاركة، وبعد ظهور النتائج واختيار 12 عضواً نصفهم من الصناع والنصف الآخر من التجار، صدر قرار معالي وزير التجارة والصناعة الدكتور سليمان السليم بتعيين 6 أعضاء من المتخصصين والخبراء، تشرفت بأن أكون أحدهم، حيث تم اختياري مع الشيخ علي سعيد باسمح ممثلين عن القطاع الصناعي.. إضافة إلى أعضاء آخرين.

شعرت بامتنان واعتزاز كبيرين بالثقة التي وضعها معالي وزير التجارة في شخصي، وعلمت أن الاختيار جاء بترشيح مباشرة من العم الشيخ إسماعيل أبو داود ـ يرحمه الله ـ .. عطفاً على عملي في اللجنة الصناعية خلال العامين السابقين لدورة مجلس الإدارة، شكرت معالي الوزير هاتفياً، وذهبت إلى مكتب العم إسماعيل معبراً عن امتناني وغبطتي فقال لي: (لا.. أنت تستحقها.. أثبت وجودك وفعاليتك في لجان الغرفة.. وجاء الدور لتشارك في مجلس الإدارة كعضو مع باقي الأعضاء).

ضم مجلس الإدارة 18 عضواً يمثلون خيرة رجال الأعمال في الصناعة والتجارة والاستشارات والهندسة ومختلف المجالات الاقتصادية بجدة، وتحول إلى ناد لنخبة رجال الأعمال بخلفيات وكفاءات وخبرات مميزة، وتشكل المجلس من السادة: العم إسماعيل أبو داود، عبد القادر الفضل، عبد الرؤوف أبو زنادة، عبد اللطيف باناجة، عمر بادحدح، وليد الجفالي، محمد علي الحمراني، محمود نشار، هشام جمجوم، علي باسمح، محمد العنقري، غازي ناظر، عبد العزيز السليمان، محمد يوسف زينل، يوسف بنان، محمد سليمان الخريجي، إبراهيم يوسف كردي، وإبراهيم الجميح، يضاف إليهم الأمين العام الدكتور عبد الله دحلان الذي يعتبر شعلة من النشاط والديناميكية والعمل الدؤوب، لذا

المهندس عبد العزيز الزامل وزير الصناعة والكهرباء السابق مع المؤلف

حضور رجال الأعمال في إحدى مناسبات غرفة جدة

كنت حريصاً على المشاركة والمساهمة والالتزام بأي مهمة أكلف بها.

أذكر أن الدكتور عبد الله دحلان أكد خلال الاجتماع الأول لمجلس الإدارة على أهمية حضور فعاليات ونشاطات الغرفة، وقال: نحن نعاني من غياب الأعضاء عن استقبال الوفود الأجنبية والمشاركة في المنتديات والملتقيات والفعاليات الأمر الذي يسبب لنا حرجاً كبيراً.. لذا أرجوكم أن تتواجدوا في هذه الفعاليات والمشاركة بإيجابية بها، وعزز الوالد الشيخ إسماعيل أبو داود هذا الكلام وشدد على ضرورة أن تكون الدورة الجديدة فعالة تقدم قيمة مضافة للمشتركين ومنسوبي غرفة جدة.

شعرت بالمسؤولية تجاه بيت التجارة وحرصت مع عدد من الزملاء على التواجد في أكثر المناسبات، وكانت زمالتي مع الأخ الشيخ علي باسمح مضرب المثل من أعضاء مجلس الإدارة وفي اللجان المشتركة خصوصاً عندما كنا نشارك ضمن الوفود التجارية التي تسافر إلى خارج المملكة لزيارات بعض الدول الشقيقة والصديقة، وكنت دائماً أرغب في المشاركة لأنها تضيف لي الكثير من الخبرات والاحتكاك والمعلومات.. مع العلم أننا كنا نسافر على حسابنا الشخصي ونعمل كمتطوعين لخدمة قطاع الأعمال في جدة والأنشطة الاقتصادية في المملكة بشكل عام.

تحرير الكويت

اجتماع أعضاء غرفة جدة بوجود المؤلف مع أحد الوفود الأجنبية

تواكبت فعاليات الدورة الخامسة عشرة لمجلس إدارة غرفة جدة مع أحداث سياسية واقتصادية هزت المنطقة بأثرها.. فقد اجتاحت قوات صدام حسين أرض الكويت الشقيقة ووضعت منطقة الخليج على صفيح ساخن في موقف غير مسبوق.. سارعت الغرفة بتشكيل فرق عمل لمواجهة الأزمة في ظل التخوف الذي سيطر على الجميع من نقص المواد الغذائية والسلع الأساسية وبات مجلس الإدارة في حالة استنفار كامل، وطلب من مستوردي المواد الغذائية العمل على توفير مخزون يكفي فترات طويلة، وساهمت جهود حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ في السيطرة على الوضع تماماً حتى تم تحرير الكويت وعادت الأمور إلى وضعها الطبيعي.

استقبلت المملكة الكثير من اللاجئين الكويتيين في جميع المناطق ومنها منطقة مكة المكرمة، وفتحت السعودية حكومة وشعباً أبوابها في وجه الأشقاء.. وقامت بما يمليه عليها ضميرها الإنساني ومسؤوليتها الكبيرة تجاه الأشقاء، وقادت التحالف الدولي لتحرير الكويت الذي أثمر عن عودة الحق لأصحابه ودحر القوات المعتدية، وقام رجال الأعمال بدورهم بشكل مشرف حيث بقيت السلع متوفرة بصورة كبيرة، ولعبت غرفة جدة دوراً كبيراً في عملية التوعية والتثقيف واستقبال الوفود الاقتصادية وعرض وجهة نظر

المملكة وحث التجار والصناع على توفير المواد الغذائية والسلع بصورة أكثر من ذي قبل.

شهدت الدورة نفسها سفر عدد من الوفود التجارية السعودية إلى دول أمريكا الجنوبية (البرازيل، الأرجنتين، تشيلي، وغيرها) وتشرفت بمشاركة الوفد الذي ترأسه العم الشيخ إسماعيل أبو داود، وخلال تواجدنا في الأرجنتين اجتمع الشيخ إسماعيل أبو داود بصفة شخصية مع السفير السعودي هناك الأستاذ فؤاد ناظر لبحث إمكانية إيجاد مركز إسلامي في العاصمة بوينس أيرس، وزار الشيخ اسماعيل بصحبة السفير فخامة الرئيس كارلوس منعم ذي الأصول السورية، وبدوره تجاوب مع الفكرة وخصص قطعة أرض كبيرة بالقرب من مركز المدينة لإقامة المركز الإسلامي ومسجد وعدد من الفصول الدراسية لأبناء المسلمين هناك.. وكان هذا المشروع الذي بناه وأشرف عليه الشيخ إسماعيل أبو داود شخصياً نقطة تحول مهمة للجالية العربية والإسلامية في الأرجنتين، وأرجو ألا أكون قد سببت حرجاً لورثة الشيخ إسماعيل أبو داود لأنه لم يكن يريد ذكر مثل هذه الأعمال على الملأ.

لم يكتف العم الشيخ إسماعيل أبو داود بالفكرة والدعم المالي.. بل ظل يتابع المشروع مع السفير فؤاد ناظر، وكلف مكتب المهندس زهير فايز بإعداد التصميمات، وذهب بالمشروع إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ. وأبدى جلالته الدعم الكامل للمشروع كعادته في مثل هذه المناسبات.. واستمر العمل على المشروع الذي رأى النور بعد سنوات من الجهد، وسافر الأمير عبد العزيز بن فهد وزير الدولة وقتها إلى العاصمة الأرجنتينية على رأس وفد سياسي واقتصادي لافتتاح المركز الإسلامي.. جعل الله مثل هذه الأعمال في ميزان حسناتهم.

وخلال زيارة الوفد التجاري لغرفة جدة للبرازيل والأرجنتين قابلنا أفراداً من الجالية الإسلامية والعربية، وشعرت بفخر كبير لما تقوم به الجالية من نشر العلوم العربية والدينية، والدور الكبير الذي تقوم به لتعزيز علاقة أبناء المسلمين هناك بدينهم الحنيف وأوطانهم العربية.

عملت غرفة جدة أيضاً على توطيد التعاون مع الغرفة التجارية العربية اللاتينية المشتركة، والغرفة العربية البرازيلية المشتركة، اللتين تلعبان دوراً مؤثراً في زيادة التجارة البينية وتنشيط الحركة بين هذه الدول من جهة والسعودية والدول العربية والإسلامية من جهة أخرى، حيث تملك دول أمريكا اللاتينية إمكانات كبيرة على الصعيد الاقتصادي والصناعي وكان تعزيز العمل معها خياراً رائعاً يدل على فكر عميق وبعد نظر.

عاصرت مع زملائي تجربة اقتصادية ثرية في دول أمريكا اللاتينية عندما خاضت هذه الدول حرباً للسيطرة على نسبة التضخم المرتفعة بها، وقام الرئيس كارلوس منعم بجهود استثنائية ساهمت في السيطرة على الوضع الاقتصادي بالأرجنتين والحد من الارتفاع المستمر للأسعار.. في المقابل تم تحرير سعر السلع في البرازيل وبات لا يوضع

الشيخ إسماعيل أبو داود والأستاذ خالد أبو اسماعيل رئيس اتحاد الغرف المصرية في احد الاجتماعات

الشيخ إسماعيل أبودواد والدكتور هشام جمجوم والمؤلف في إحدى زيارات الغرفة الخارجية

المؤلف خلال اجتماع مشترك مع مسؤولي أوزبكستان بحضور الاستاذ عبدالله النجيدي والشيخ علي سعيد باسمح

وفد رسمي برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل –رحمه الله– مع وفد رجال أعمال سعوديين إلى أوزبكستان وأذربيجان

زيارة الوفد الرسمي ووفد رجال الأعمال الى اذربيجان واوزبكستان

المؤلف خلال جولة مع وفد الغرفة في أوزباكستان

السعر على المنتج لأنه يحدث تغيير بين يوم وآخر. والحقيقة أنه رغم تحفظ البعض على اعتمادهم على اقتصاد السوق إلا أنهم أثبتوا للعالم أجمع خلال السنوات الماضية أنهم يسيرون في الاتجاه الصحيح. فقد نجحت البرازيل في تحقيق نمو اقتصادي كبير بعد أن زادت الصادرات بصورة أفضل من قبل ووصل الناتج المحلي إلى 108 تريليون دولار سنوياً. وبات يحتل المركز التاسع بين أكبر اقتصاديات العالم. وفي المرتبة الأولى في أمريكا اللاتينية مع متوسط ناتج محلي للفرد يبلغ أكثر من 6000 دولار.

زرنا الدول الإسلامية المنفصلة عن الاتحاد السوفيتي.. ذهبنا إلى أوزبكستان التي تعد إحدى الجمهوريات الإسلامية ذات الطبيعة

وفد غرفة جدة مع فخامة الرئيس الأرجنتيني كارلوس منعم والسفير السعودي فؤاد ناظر

وفد الغرفة التجارية إلى الأرجنتين وبينه المؤلف

المؤلف ورجل الأعمال عبد الله تونسي في رحلة إلى شرم الشيخ

الفيدرالية ضمن الجمهوريات السوفياتية السابقة، وتضم أقاليم لها شهرة عريقة في تاريخ الإسلام، منها بخارى وسمرقند وطشقند وخوارزم، حيث قدمت هذه المناطق علماء أثروا الثرات الإسلامي بجهدهم، كان منهم الإمام البخاري والخوارزمي والبيروني والنسائي والزمخشري والترمذي وغيرهم.

وعقدنا اجتماعات مثمرة في أذربيجان التي تعد واحدة من ست دول مستقلة في منطقة القوقاز في أورآسيا تقع في مفترق الطرق بين أوروبا الشرقية وآسيا الغربية، ويحدها بحر قزوين إلى الشرق وروسيا من الشمال وجورجيا إلى الشمال الغربي وأرمينيا إلى الغرب وإيران في الجنوب.

حضرنا في شرم الشيخ المصرية اجتماعات اليوبيل الفضي للغرفة الإسلامية التي ترأسها في تلك الفترة الشيخ إسماعيل أبو داود.. وتواجدت غرفة جدة بشكل بارز في المحافل الدولية، علاوة على المنتديات والمؤتمرات الدولية التي تقيمها.. وعلى رأسها منتدى جدة الاقتصادي الذي اكتسب سمعة عالمية.

تأخرنا 12 عاماً

المؤلف مع رجال أعمال اخرين يستقبلون الزعيم الماليزي مهاتير محمد في غرفة جدة

ولفتح الأسواق للصادرات السعودية للدخول إلى مناطق لم تكن تتواجد فيها.. تحولت قضية الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية إلى قضية الساعة في مجتمع رجال الأعمال وفي الاجتماعات المختلفة والندوات وورش العمل التي شاركت فيها غرفة جدة من خلال كوكبة مميزة من رجال الأعمال وأساتذة الجامعات وأصحاب المبادرات، فكان هناك فريقان.. الأول يعارض دخول المملكة إليها بداعي وجود شروط مجحفة، وأنها ستفتح الباب على مصراعيه أمام فيضان من الشركات الأجنبية والمستثمرين الأجانب والتي قد تؤدي إلى قيامهم بالاستغناء عن وكلائهم الذين مثلوهم سنين عديدة واستثمروا الأموال الطائلة في إقامة هذه الوكالات.

لقاء د. حبيبي من اندونيسيا في حضور الشيخ عبد العزيز السليمان

والفريق الثاني يؤيد الدخول إليها على اعتبار أنها تساهم في تحرير

التجارة السعودية وتربطها بشكل أكبر بالتجارة العالمية، وكنت شخصياً مع عدد من رجال الأعمال ندرك بأن منظمة التجارة العالمية W.T.O آتية ولا مجال لمنعها، وأنها تحمل للسعودية الكثير من الفوائد والايجابيات التي يحتاج إليها السوق، وبالتالي فإن التأخير يعد مضيعة للوقت، ولابد من التعامل مع المتغيرات الحديثة بسياسة الباب المفتوح.

المؤلف والشيخ علي سعيد باسمح

المؤلف وفايز حمادة ومحمد عبد الله الخريجي في إحدى المناسبات

شكلت لجان على مستوى الوزارات ومجلس الغرف السعودية.. عقدت الندوات وحلقات النقاش في غرفة جدة، المؤشرات أكدت أن الأمر محسوم وأنه لا توجد خيارات أخرى، لأنه من الصعب أن تعيش معزولاً عن العالم وتغرد بمفردك بعيداً عن الجميع.. ومازلت أرى أننا تأخرنا كثيراً في قرارنا، حيث استمرت المداولات والمفاوضات 12 عاماً كاملة، كان بالإمكان تحقيق مكاسب كبيرة لو لحقنا مبكراً بركب هذه المنظمة العالمية، لكننا لم نوقع الاتفاقية بشكل رسمي سوى في الحادي عشر من شهر نوفمبر عام 2005م، الأمر الذي كبدنا ـ من وجهة نظري ـ الكثير من الخسائر، فقد تأكد للجميع أن الانضمام لمنظمة التجارة العالمية يساعد على اندماج الاقتصاد السعودي في الاقتصاد العالمي وزيادة الاستثمارات الداخلية والخارجية وإيجاد فرص عمل للمواطنين، ويضع الاقتصاد السعودي على أعتاب مرحلة جديدة الأمر الذي يعزز المطالب في الحصول على فرص عادلة للنفاذ للأسواق العالمية، ويتيح فرصاً حقيقية للشركات الوطنية للدخول في شراكة فاعلة مع الشركات العالمية والاستفادة من خبراتها المتراكمة في

اقتصاد عبر الحدود، إضافة إلى مضاعفة فرص وصول المنتجات والخدمات السعودية إلى الأسواق العالمية.

تمت مناقشة عدد كبير من الملفات الاقتصادية الحساسة ووضعت توصيات وحلولاً لأمور تتعلق بتنمية القطاع الصناعي الذي كان يعاني في تلك الفترة من شح في الأراضي المتاحة للصناع وتحسين المرافق وتوفر الخدمات والطاقة، وواجهنا أبرز التحديات التي تواجه التجار والمستوردين، ومنها مشاكل الشحن والجمارك وتأخر البضائع في ميناء جدة الإسلامي، استطعنا أن نحل جزءاً كبيراً من المشاكل وبقيت مشاكل أخرى عالقة.

المؤلف والشيخ إسماعيل أبو داود وأحد مسؤولي الغرفة

وقبل ذلك ساهمت غرفة جدة في إيجاد مدينة المستودعات التي حلت مشاكل عديدة للتجار والصناع وأدت للتخفيف من مشكلة نقصان الأراضي في المدينة الصناعية، بسبب قربها من ميناء جدة وقدرتها على استيعاب الكثير من البضائع التي تعد مخزوناً استراتيجياً مهماً، كما بدأت وقتها في بناء وتشييد مركز المنتديات والمعارض في شمال جدة الذي تحول إلى أحد أهم محطات الجذب في عروس البحر الأحمر، بعد أن أصبح يستضيف أبرز وأهم المعارض والمنتديات والفعاليات السعودية الكبرى.

المؤلف في حوار جانبي مع رجل الأعمال إبراهيم الجميح

اصطحبنا الدكتور عبد الله دحلان أمين عام الغرفة في جولة للإطلاع على مرافق الغرفة المختلفة عقب الاجتماع الأول لمجلس الإدارة، زرنا مدينة المستودعات وأطلعنا على

إحدى المناسبات في قاعة الشيخ إسماعيل أبو داود بغرفة جدة

مراحل الإنجاز في مركز المنتديات والفعاليات، وشاهدنا عدداً من فروع الغرفة المختلفة، وشعرنا جميعاً بأهمية الدور الذي يقوم به الجهاز التنفيذي للغرفة في تعزيز قدراتها وتقوية مكانتها كممثل حقيقي للقطاع الخاص في العاصمة الاقتصادية للمملكة.

وللتاريخ.. استقبلت غرفة جدة عدداً من الزعماء وصناع القرار بينهم مهاتير محمد قائد النهضة في ماليزيا، ودأبت منذ سنوات طويلة على اتخاذ قرارات وخطوات جريئة ومدروسة ومثلت دوراً ريادياً على صعيد بيوت الأعمال في السعودية ومنطقة الخليج، حيث كانت صاحبة السبق في مشاركة سيدات الأعمال بفاعلية عبر منتدى جدة الاقتصادي الذي حظي بمشاركة عدد كبير من صناع القرار في العالم، ووجدت بعض القرارات معارضة في البداية لكن ما لبث المعارضون أن أيدوا هذه الخطوات بعد وقت من الزمن.

وجاء قرار دخول سيدات الأعمال ضمن مجلس إدارتها بداية من الدورة التاسعة عشرة تعزيزاً لمكانة غرفة جدة ودورها الريادي.. فما لبثت بقية الغرف السعودية أن أعطت الفرصة للمرأة التي تمثل نصف المجتمع، وتحتاج لمن يمثلها في المجتمع الاقتصادي وينقل مشاكلها والمعوقات التي تواجهها، في ظل وجود مليارات الريالات المجمدة في البنوك لسيدات أعمال ينبغي تفعيلها والاستفادة منها في المشاريع الوطنية التي تخدم الاقتصاد الوطني.

ومع مرور السنين أكدت غرفة جدة وممثلوها بعد نظرهم.. فقد باتت المرأة شريكاً أساسياً في قطاع اللجان وضمن الجهاز التنفيذي.. وتواجدت شابات الأعمال بشكل بارز في الكثير من الفعاليات المهمة، ووصل عدد المرشحات لمجلس إدارة الدورة الحادية والعشرين إلى (8) سيدات أعمال، لتؤكد غرفة جدة ريادتها في هذا الجانب.. وتكشف عن حضاريتها في التعامل مع كل جديد.

سنوات العطاء

الأمير مشعل بن ماجد محافظ جدة في أحد المناسبات بوجود عبدالله المعلمي وعلي باسمح وصالح بن لادن والمؤلف

المؤلف وأحمد التركي وخالد أحمد زينل

كانت السنوات الأربع الأولى في مجلس الإدارة حافلة بالنشاط والفعاليات.. محفزة للاستمرار والعطاء، والعمل بشكل أكبر لخدمة قطاع الأعمال، لذا بدأت وبعض زملائي التجهيز لدخول معترك الانتخابات للدورة السادسة عشرة، وترشحت بشكل رسمي ولم أوفق في السباق الذي كان يحتاج إلى ترتيبات عديدة وتتحكم فيه آليات معينة.. لكن العمل الكبير الذي قدمناه في الدورة 15 لم يغب عن أذهان صناع القرار.. ودفع معالي الدكتور سليمان السليم وزير التجارة إلى تعييني مجدداً وكذلك الزميل علي سعيد باسمح للاستمرار في الدورة السادسة عشرة التي بدأت عام 1994م واستمرت على مدار أربع سنوات، بترشيح من العم إسماعيل أبو داود.

حاول رجل الاقتصاد الرائد الشيخ إسماعيل ابو داود أن يحافظ على الهيكل الرئيسي لمجلس الإدارة ليكمل مسيرة الإنجازات التي تحققت في الدورة السابقة.. فجاء التشكيل الجديد لا يختلف كثيراً، يضم نفس الكوكبة في مختلف المجالات سواء من المعينين أو المنتخبين، حيث تشكل من: الشيخ إسماعيل أبو داود رئيساً، عبد الله زينل، عبد القادر الفضل، صالح بن لادن، عبد اللطيف باناجة، سامي عطار، إبراهيم الجميح، وليد الجفالي، محمد العيسائي، هشام جمجوم، عبد العزيز السليمان، عبد الله صالح كامل، عبد الرؤوف أبو زنادة، محمد العنقري، علي باسمح، محمد عبد اللطيف جميل، عبد العزيز النويصر، إضافة إلى العبد لله.

أضافت عناصر الشباب التي لحقت بمجلس الإدارة في الدورة السادسة عشرة المزيد من الحيوية والديناميكية على عمل المجلس، وساعدت على تلاقح الأفكار في ظل وجود عدد من الخبراء الذين أثروا الحركة الاقتصادية في جدة على مدار عقود وسنوات عديدة.

أعطى تواجد الشيخ إسماعيل أبو داود على رأس المجلس ثقلاً كبيراً.. فهو يملك هيبة كبيرة وسمعة دولية تتخطى حدود الوطن، وله حضوره المميز في كل المحافل، يكسب احترام الجميع، ويتيح الفرصة للآخرين للاختلاف معه، لكنه مثل أي قائد يكون صاحب القرار النهائي الذي يراه مناسباً، كان يعول كثيراً على مجموعة من أعضاء المجلس الخبراء الذين رافقوه سنوات طويلة، وتناوب العم إسماعيل أبو داود على رئاسة مجلس الغرف السعودية وفق اللائحة السابقة التي كانت تحصر الرئاسة بين رؤساء غرفة الرياض وجدة والدمام.. وهو ما تغير في السنوات اللاحقة.

في المقابل.. لعب الشيخ عبد القادر محمد الفضل دوراً مهماً من خلف الكواليس، له تأثيره الكبير في القرارات والتوصيات التي صدرت في تلك الفترة، يملك القدرة على إقناع الآخرين بوجهة نظره وبالتالي ينطلق المجلس نحو العديد من التوصيات المهمة، وساهم في الحفاظ على الانسجام الكبير بين أعضاء المجلس الذي ضم وجوهاً شابة مثل محمد عمر العيسائي، عبد الله صالح كامل، وصالح بن لادن.. وغيرهم.

ويعد الشيخ عبد الرؤوف أبو زنادة خير مرجع لتاريخ الغرف التجارية السعودية وليس غرفة جدة فحسب، فهو صاحب أطول تاريخ مع بيت أصحاب الأعمال.. وقد بلغني أنه بدأ يتعامل مع غرفة جدة قبل العم الشيخ إسماعيل أبو داود، شغل منصب نائب الرئيس فترات طويلة وكان أكثر الذين يعتمد عليهم المجلس في تنفيذ سياساته وآلية عمله.

شخصياً أتمنى أن يتم تكريم الشيخ عبد الرؤوف أبو زنادة لدوره المميز واسهاماته في غرفة جدة وتوجهاتها الاستثمارية المميزة فهو يمثل تاريخاً ناصعاً، على قدر الخدمات الجليلة التي أداها، حيث كان وراء الكثير من المشاريع المهمة ومنها الأرض التي أقيم عليها المقر الحالي للغرفة، لعب دوراً مهماً في التفاوض والحصول عليها بسعر مغر، واختار عدداً من الكفاءات التي أثرت العمل في بيت أصحاب الأعمال.

المؤلف والشيخ علي باسمح وإبراهيم العيسى وعبد الرحمن عبده في احد المؤتمرات بجدة

د. عبد الرحمن الزامل رئيس مجلس الغرف السعودية والاقتصادي الشيخ عمر العيسائي مع المؤلف

عماد المهيدب وإسماعيل حمادة والمؤلف وعبد الله العبدالكريم وفايز حمادة في إحدى مناسبات

أما الشيخ عبد العزيز السليمان فهو أحد الكفاءات الاقتصادية المهمة والهامات الصناعية والتجارية المعروفة.. تولى منصب نائب رئيس مجلس الإدارة، رجل أعمال مخضرم، حكيم في قراراته، يزن كل كلمة يتحدث بها بميزان دقيق، ويملك شخصية مستقلة قادرة على الإقناع، ويمثل واجهة مشرفة أمام الوفود الزائرة.

وضم المجلس مجموعة مميزة أثرت العمل منها وليد الجفالي، وسامي عطار وغيرهما، وهناك أسماء لم تظهر في الدورة السادسة عشرة بسبب أمور صحية أو رغبتهم في التركيز على أعمالهم الخاصة، وفرضت طبيعة المجلس على الأعضاء التفاعل مع المتغيرات الحديثة في تلك الفترة.

لقد أثرت تجربة الغرفة التجارية الصناعية خبراتي ومكنتني من الاحتكاك برجال أعمال واقتصاديين مرموقين لهم ثقلهم في الصناعة والتجارة بمنطقة الخليج.. وكنت حريصاً خلال كل مراحل حياتي على اكتساب الخبرات والتزود بكل ما يساعدني على إبراز قدراتي والتعبير عن ذاتي بالشكل الإيجابي الذي يخدم المجتمع.

كل واحد من جيبه

الشيخ إسماعيل أبو داود في احتفالات الغرفة الإسلامية باليوبيل الفضي عام ٢٠٠٢م

أحمل الكثير من الذكريات مع شخصيات بارزة أثرت هذه الحقبة المهمة من الزمن.. ففي إحدى الزيارات التي قمنا بها إلى تونس، كرم الرئيس زين العابدين بن علي رئيس مجلس إدارة غرفة جدة الشيخ إسماعيل أبو داود بأحد الأوسمة الرفيعة.. وشعرنا وقتها ـ كما كان الحال دائماً ـ بالقيمة الكبيرة التي يمثلها هذا الرجل على الصعيد العربي والدولي وعند المسؤولين ورؤساء الدول.

كما أحمل ذكريات رائعة خلال رحلتنا إلى شرم الشيخ إبان الاحتفال باليوبيل الفضي للغرفة الإسلامية، حيث عززت هذه الرحلة من العلاقات القوية بين رجال الأعمال السعوديين ونظرائهم في دول العالم الإسلامي، كما قربت بين أصحاب الأعمال السعوديين بعضهم البعض.

في نهاية الدورة السادسة عشرة كان هناك شبه إجماع بين عدد من الرموز ورجال الأعمال المخضرمين في غرفة جدة بالترجل عن عضوية الغرفة وعدم الترشح مرة أخرى بهدف ترك المجال لجيل جديد من الشباب وأصحاب المبادرات الجديدة، ولاقت الفكرة ترحيباً كبيراً من جميع الأعضاء، وبالفعل لم نسع للترشح بالانتخابات الجديدة أو للتعيين، وشهدت الدورة اللاحقة دخول أسماء جديدة بل كانت أول دورة يخلو فيها كرسي الرئاسة من الشيخ إسماعيل أبو داود.. وهذه سنة الحياة التي ينبغي أن تسير عليها كل القطاعات.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن أعضاء مجلس الإدارة المنتخبين والمعينين يمثلون طليعة رجال الأعمال التي تسعى للخدمة العامة ودعم قطاع الأعمال بدون مقابل.. وللأسف هناك خطأ شائع عند الكثير من منسوبي قطاع الأعمال، فهم يظنون أن المتواجدين في مجالس الإدارات يحصلون على فوائد مالية لهم، ويظنون أن عضو مجلس الإدارة يتقاضى مخصصات مالية ورحلاته مدفوعة الثمن، وكلها معلومات مغلوطة تجافي الحقيقة، كنا نسافر على حسابنا، نشترى التذاكر من جيوبنا، ونقيم في الفنادق على نفقتنا الشخصية، ولم يكن هناك أي نوع من الفائدة المادية للعضو، لكن بعض الرحلات الخارجية التي كانت برئاسة الشيخ إسماعيل أبو داود كان يصر على تحمل نفقات الطائرة من جيبه، وأذكر أنني في بداية عملي بالغرفة سألت الدكتور عبد الله دحلان ببراءة: (ما هي الآلية المتبعة في السفريات مع الوفود التجارية؟) فرد ضاحكاً باللهجة المكاوية المحببة: (حبيبي كل واحد من جيبه).

درع تكريم المؤلف خلال رئاسة الدكتور غسان السليمان لغرفة جدة

شخصياً.. أرى أنها آلية حكيمة من الغرف التجارية والصناعية حرصاً على الشفافية والنزاهة، لاسيما أن أغلب أعضاء مجالس الإدارات لديهم القدرات المالية، وجميعهم يدركون أنه عمل تطوعي يحتاج إلى الإنفاق والبذل دون النظر إلى عائد.. وهو جزء من المسؤولية الاجتماعية التي ينبغي أن يقوم بها رجال الأعمال تجاه وطنهم ومجتمعهم، لكنني في الوقت نفسه أرى ضرورة حرص رجال الأعمال والمستثمرين على الاستفادة من الفرص الاستثمارية التي تطرحها الوفود الأجنبية الزائرة للمملكة.. لاسيما أنها تطرح على الجميع ومن المهم أن تجد هذه الوفود تفاعلاً أكثر من قطاعات الأعمال المختلفة.

ورغم ابتعادي عن المناصب الرسمية في غرفة جدة.. إلا أن قصة عشق باتت تربطني بهذا المبنى الأزرق الذي قضيت فيه عشر سنوات من العمل التطوعي الرائع، وأحرص على حضور بعض الفعاليات والمناسبات، وأتلقى العديد من الدعوات الكريمة مع زملائي في مجالس الإدارات السابقة للمشاركة في المنتديات والملتقيات لحسن ظنهم فينا، لكن يظل قطار الزمن يتحرك بسرعته المعهودة وتظهر محطات جديدة في الحياة تتطلب العمل والتركيز على العمل الخاص مع ظهور وجوه وشخصيات جديدة تتحمل المسؤولية وتواصل المسيرة، وقد سعدت كثيراً بالتكريم الذي شملني في فترة تالية من رئيس مجلس إدارة الغرفة في دورتها الثامنة عشرة الدكتور غسان أحمد السليمان ضمن الأسماء التي

مجموعة من رجال الأعمال في زيارة إلى جزيرة فرسان

المؤلف وعبد اللطيف باناجه في إحدى مناسبات غرفة جدة

الشيخ عبد الرؤوف أبو زنادة مع المؤلف في احدى مناسبات الغرفة

أثرت العمل داخل بيت التجار.

لم أغب عن العمل العام طوال الفترة الماضية، حيث تم اختياري لعضوية مجلس حماية المنافسة الذي جاء تشكيله برئاسة معالي وزير التجارة والصناعة الدكتور هاشم عبدالله يماني انسجاماً مع السياسة الاقتصادية المبنية على مبدأ المنافسة التي تنتهجها المملكة العربية السعودية والتطورات الكبيرة الجارية في المجال الاقتصادي, وتم تشكيله تماشياً مع متطلبات منظمات التجارة العالمية W.T.O .

ورغبة في تعزيز وتأكيد مناخ المنافسة في قطاع الأعمال, وفقاً للمرسوم الملكي رقم (م/٢٥) وتاريخ ٤ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ بالمصادقة على نظام المنافسة، حيث يعتبر مجلس حماية المنافسة مستقلاً ومعنياً بالإشراف على تطبيق نظام حماية المنافسة الذي يهدف بشكل محدد إلى حماية وتشجيع المنافسة العادلة، ومكافحة الممارسات الاحتكارية التي تؤثر على المنافسة المشروعة .

شكر وتقدير
يتقدم رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية
بخالص الشكر والتقدير
لسعادة الأستاذ / إبراهيم يوسف كردي
على جهوده المتميزة التي قدمها كعضو في مجلس إدارة المؤسسة
خلال الفترة من ١٤٢٢/١/٢٩ هـ إلى ١٤٢٩/٦/٢٨هـ
متمنيا له دوام التوفيق والنجاح

درع تكريمي من الدكتور غازي القصيبي خلال عضويتي للمؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية

وعينت عضواً في المجلس بتاريخ 6 رمضان عام 1436هـ (الموافق 9 أكتوبر 2005م) ولمدة دورة واحدة استمرت ست سنوات، حيث تأخر صدور الأمر السامي في تشكيل الدورة التالية، وتعاقب على رئاسة المجلس خلال عضويتي معالي الدكتور هاشم بن عبد الله يماني وزير التجارة والصناعة، ومعالي الأستاذ عبد الله زينل وزير التجارة والصناعة الذي عين خلفاً له. هذا ومن المتوقع أن يلعب مجلس حماية المنافسة دوراً نشطاً وفعالاً في السنوات القادمة لإحداث التوازن في بيئة الأعمال وتخليصها من الممارسات الضارة.

كما تم اختياري أيضاً لعضوية مجلس إدارة المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية ممثلاً لقطاع الأعمال لدورتين متتاليتين بداية من عام 2001م، ترأس الدورة الأولى للمجلس معالي الدكتور علي النملة وزير العمل والشؤون الاجتماعية، وفي الدورة الثانية تم فصل الشؤون الاجتماعية عن وزارة العمل، وعين الدكتور غازي القصيبي كوزير للعمل وأسندت إليه مهمة رئاسة مجلس إدارة المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية.

مجلس إدارة غرفة جدة أبان تواجد المؤلف في عضوية مجلس الإدارة دورتين متتاليتين

عبد الله دحلان والمؤلف في جزيرة فرسان

د. عبد الله دحلان والمؤلف والشيخ عبد الرؤوف أبو زنادة ومحمد العنقري وابراهيم الجميح

والمؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية هي مؤسسة عامة حكومية لها استقلالها المالي والإداري ويشرف عليها مجلس إدارة مكون من أحد عشر عضواً هم: وزير العمل رئيساً للمجلس, ومحافظ المؤسسة نائباً للرئيس, وثلاثة أعضاء يمثلون وزارات العمل، والمالية، والصحة، وثلاثة أعضاء من المشتركين في النظام من ذوي الكفاءات العليا في أعمالهم، وثلاثة أعضاء من أصحاب العمل، وتزاول المؤسسة نشاطها من خلال المركز الرئيسي وواحد وعشرين مكتباً في مختلف مناطق ومحافظات المملكة.

ويعد نظام التأمينات الاجتماعية صورة من صور التعاون والتكافل الاجتماعي التي يقدمها المجتمع لمواطنيه ويقوم على رعاية العاملين في القطاع الخاص وكذلك العاملين على بند الأجور في القطاع الحكومي ليوفر لهم ولأسرهم حياة كريمة بعد تركهم العمل بسبب التقاعد أو العجز أو الوفاة وكذلك العناية الطبية للمصابين بإصابات عمل أو أمراض مهنية والتعويضات اللازمة عند حدوث عجز مهني أو وفاة.

إضاءات

- (الصناعة عنوان تقدم الأمم.. والمدخل الحقيقي لنهضة أي دولة) هذه قناعتي التي آمنت بها منذ وقت مبكر، وهي العبارة التي شعرت بأهميتها وقيمتها خلال زياراتي المتعددة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ودول الشرق الأوسط والأقصى.
- أحسست أن بيت التجار الأزرق المتواجد بالقرب من شاطئ عروس البحر الأحمر يسكن داخل قلوب الكثيرين من رجال الأعمال - وأنا منهم - تعرفت على الكثير من الرجالات الذين أثروا الحياة الاقتصادية ولعبوا دوراً مؤثراً في الحركة الصناعية والتجارية.
- فتحت السعودية حكومة وشعباً أبوابها في وجه الأشقاء.. وقامت بما يمليه عليها ضميرها الإنساني ومسؤوليتها الكبيرة تجاه الأشقاء، وقادت التحالف الدولي لتحرير الكويت الذي أثمر عن عودة الحق لأصحابه ودحر القوات المعتدية، وقام رجال الأعمال بدورهم على أكمل وجه.
- عاصرت مع زملائي تجربة اقتصادية ثرية في دول أمريكا اللاتينية عندما خاضت هذه الدول حرباً للسيطرة على نسبة التضخم المرتفعة بها، وقام الرئيس كارلوس منعم بجهود استثنائية ساهمت في السيطرة على الوضع الاقتصادي والحد من الارتفاع المستمر للأسعار.
- أرى أننا تأخرنا كثيراً في الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، فاستمرت المداولات والمفاوضات ١٢ عاماً كاملة، كان بالإمكان تحقيق مكاسب كبيرة لكننا لم نوقع الاتفاقية بشكل رسمي سوى في الحادي عشر من شهر نوفمبر عام ٢٠٠٥م، الأمر الذي كبدنا - من وجهة نظري - الكثير من الخسائر.
- للتاريخ.. دأبت غرفة جدة منذ سنوات طويلة على اتخاذ قرارات وخطوات جريئة ومدروسة ومثلت دوراً رياديا على صعيد بيوت الأعمال في السعودية ومنطقة الخليج، حيث كانت صاحبة السبق في مشاركة سيدات الأعمال بفاعلية عبر منتدى جدة الاقتصادي.
- ناقشنا عدداً كبيراً من الملفات الاقتصادية الحساسة ووضعنا توصيات وحلولاً لأمور تتعلق بتنمية القطاع الصناعي الذي كان يعاني في تلك الفترة من شح في الأراضي، وواجهنا أبرز التحديات التي تواجه التجار والمستوردين، ومنها مشاكل الشحن والجمارك وتأخر البضائع.
- أثرت تجربة الغرفة التجارية الصناعية خبراتي ومكنتني من الاحتكاك برجال أعمال واقتصاديين مرموقين لهم ثقلهم في الصناعة والتجارة بمنطقة الخليج.
- يظل قطار الزمن يتحرك بسرعته المعهودة وتظهر محطات جديدة في الحياة تتطلب العمل والتركيز على العمل الخاص مع ظهور وجوه وشخصيات جديدة تتحمل المسؤولية وتواصل المسيرة.

الفصل التاسع

حصاد

العمر

أهم الاستثمارات

شريكة عمري ورفيقة دربي
وزوجتي إلهام خليل شومان

(الأبناء هم أهم استثمارات حياتي).. آمنت كثيراً بهذه المقولة الرائعة منذ سنوات مبكرة من حياتي.. وكنت أدرك أن التربية الصالحة وتأهيل وتعليم أبنائي أهم من كنوز الدنيا وما فيها، لذا لم تشغلني أعمالي عن الاهتمام بأبنائي وتربيتهم بالصورة المثالية التي تمنيتها لنفسي، وما ساعد على تحقيق هذا الهدف هو الدور البناء الرائع الذي قامت وتقوم به زوجتي العزيزة إلهام خليل شومان (والدتهم)، حيث كرست حياتها لحسن إدارة المنزل وتدبير الأمور، ومتابعة التحصيل العلمي للأولاد والبنات، وأمتد ذلك للأحفاد والحفيدات، وعندما كانت ظروف علمي ومسؤولياتي تتطلب السفر بين وقت وآخر إلى خارج المملكة، كانت زوجتي هي قبطان السفينة تبحر بها دائماً إلى شاطئ الأمان لما تتميز به من حسن التدبير ورجاحة العقل وبعد النظر.

حرصت منذ البداية على تنمية روح المبادرة بداخلهم.. تعلموا الصبر والجلد والشجاعة.. والاعتماد على النفس، تشربوا حسن التدبير والتفكير الإيجابي.. ودماثة الخلق.. وحب خدمة الآخرين، تركنا لهم مساحة كبيرة يتحركون فيها دون قيود أو وصاية لا أجبرهم أن يفعلوا شيئاً ضد رغبتهم، تعلموا أن يقولوا رأيهم بصراحة ووقار دون أن يجرحوا الآخرين.. أن يعبروا عن ذاتهم.. وينموا مهاراتهم ومواهبهم بصورة تتماشى مع عادات وتقاليد المجتمع.

أنهت ابنتي الكبرى (وسام) الثانوية العامة بتقدير ممتاز من مدارس دار التربية الإسلامية بالرياض وقررت دراسة الطب البشري نتيجة توجه العديد من زميلاتها لنفس الكلية وبتشجيع من الوالدة ومني على ذلك إيماناً منا بأن الأطباء يقدمون خدمة كبيرة للبشرية.. وبعد بداية الدراسة بأسبوعين أو أقل جاءتني تبكي.. وشبه منهارة.. رغم ما عرف عنها من قوة شخصية وقدرتها على تحمل الضغوط.

سألتها: ماذا بكِ؟

قالت: ما بدي أدرس الطب.

سألتها: لماذا؟

قالت: ما بدي.

المؤلف محاطاً بابنيه خليل وسامر وزوج ابنته الدكتور خالد مناع القطان

قلت لها: لا عليكِ.. نبحث عن بدائل لديك كلية إدارة أعمال أو محاسبة أو جغرافيا أو أي شيء تختارينه.

قالت: أي شيء إلا الطب.

أصابني الأمر بدهشة لأنني أدرك مدى ذكائها وقدرتها الذهنية وتفكيرها وقدرتها على مواجهة التحديات.. علاوة على أن درجاتها كانت مرتفعة جداً ولغتها الانجليزية رائعة وتؤهلها على المضي قدماً بسهولة في كلية الطب التي تعتبر من أهم كليات القمة في الجامعات السعودية والعربية.

قلت: دعينا نفكر في الأمر عدة أيام؟

اتصلت بالأستاذ الدكتور حسين علوي الزميل السابق في جامعة جنوب كاليفورنيا، عميد كلية التجارة في ذلك الوقت، والمدير الحالي لجامعة العلوم والتكنولوجيا الأهلية بجدة، شرحت له الوضع كاملاً، وأخبرته بدرجاتها في الثانوية العامة ومستواها الدراسي وطلبت منه المشورة، فقال لي إنها مؤهلة لدراسة الطب دون أدنى صعوبات، واتفقنا على أن يتحدث معها هاتفياً.

نجح الصديق العزيز أن يثنيها عن تفكيرها.. ويقنعها بالعودة إلى كلية الطب بجامعة الملك سعود بعد محادثة هاتفية طويلة، تركت لها الحرية كاملة في اختيار المسار التعليمي الذي تختاره، لكنها بذكائها وفطنتها أدركت الابنة وسام أبعاد القرار وذهبت في اليوم التالي لاستئناف محاضراتها في كلية الطب.. وواصلت مشوارها بنجاح حتى تخرجت منها بتفوق.

د. وسام ابراهيم كردي

عقب التخرج من الجامعة أرادت التخصص في علاج الأطفال، لكن إرادة الله تدخلت للمرة الثانية لتعديل مسارها العملي، حيث كانت هناك فرصة متاحة للعمل في مستشفى الملك فيصل التخصصي تحت قيادة المدير التنفيذي المميز الدكتور فهد العبد الجبار الذي أصبح فيما بعد رئيس الخدمات الطبية في الحرس الوطني، ولم تكن هناك وظيفة طبيبة أطفال شاغرة.. بل كانت الفرصة متاحة لها للعمل في طب النساء والولادة.

د. خالد مناع القطان

نصحني الدكتور فهد العبد الجبار ـ الذي كانت تربطني به علاقة وثيقة ـ أن تتخصص وسام في مجال طب النساء والولادة لأسباب اجتماعية وعملية، لاسيما أنه كان يعمل استشارياً في نفس التخصص وعلى خبرة ودراية بحاجة المجتمع السعودي إلى طبيبات في هذا القسم الهام من الطب البشري، وبالفعل اقتنعت الابنة وسام بالأمر وحققت نجاحاً كبيراً وباتت من الاستشاريات ذوات السمعة الممتازة في مجالها، وتخصصت فيما بعد بأمراض الأجنة وحصلت على الدكتوراه من بريطانيا، وحققت ولله الحمد سمعة كبيرة في هذا المجال، وبات الكثيرون يذهبون إليها من مناطق عديدة من المملكة بحثاً عن العلاج.

خليل ووسام خلال فترة الطفولة أمام منزل العائلة بالمدينة المنورة

وعلى الصعيد الاجتماعي.. تزوجت الدكتورة وسام من الأستاذ الدكتور خالد مناع القطان عميد كلية الطب بجامعة الفيصل بالرياض والجراح المرموق في أمراض الصدر والرئة ورائد زراعة الرئتين في المملكة العربية السعودية والمنطقة العربية، ومن الله عليهما بالأبناء: رزان ولديها ابنة هي تمارا، والدكتورة رنا طبيبة أسنان وتتابع الدراسات العليا في إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، والدكتور عبد العزيز طبيب ويحضر الدراسات العليا، ورنيم في كلية الهندسة بجامعة الفيصل بالرياض، وعبد الله بالمرحلة الثانوية في مدارس نجد بالرياض.

قصة أخرى

يحمل ابني خليل قصة أخرى.. حدد مساره مبكراً، فعقب استكمال دراسته الثانوية في الرياض.. أبدى رغبته في إكمال تعليمه الجامعي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.. وانتقل إلى عروس البحر الأحمر قبل أن ننتقل نحن إليها في الثمانينيات الميلادية، حيث لحقنا به بعد إنشاء شركة السنبلة وبداية عملها في جدة، لحق هو الآخر بكلية الطب البشري.. بناء على رغبته الشخصية، فطوال حياتي اعتدت ألا أجبر أبنائي على شيئين رئيسيين.. الدراسة والزواج، أبدي رأيي من زاويتي الخاصة، لكن أترك القرار النهائي للابن الذي بات لديه من الإدراك والفطنة ما يكفي لتحديد مستقبله.

د. خليل كردي

مر الشاب المتوثب بموقف صعب في بداية تواجده في جدة شكل صدمة نفسية كبيرة له.

وملخص الصدمة النفسية التي مر بها الابن خليل أنه كان في أحد الأسواق بجدة وتم اعتراضه من مجموعة من (المطاوعة) الذين اتهموه أن لباسه يشبه لباس أحد الفنانين الأجانب، وفي حين أنه كان يشتري أشرطة قرآن كريم لاحدى الشغالات العاملات لدينا حديثة العهد بالإسلام، وكان أيضاً صائماً في ذلك اليوم، وتم وضعه في الحجز لمدة 36 ساعة حيث كنا وقتها في الرياض ولم نعلم بالتفاصيل، إلا عندما اتصل بي هاتفياً من هاتف العملة وأبلغنا أنه موقوف، ولم ينته الموضوع إلا بعد أخذ التعهدات المعهودة وحدوث الصدمة التي ليس لها ما يبررها.

وللأسف فإن مثل هذه التصرفات من جانب بعض المحتسبين والتي ليس لها في

الغالب ما يبررها لازالت تحصل حتى الآن دون أي تغيير في الأسلوب مع الشباب والفتيات. ولعلني أتساءل: ما هي الفائدة؟ فهذا أسلوب عقيم لا تنجم عنه أي فائدة ايجابية. بل يؤدي إلى اتساع الهوة بين طبقات المجتمع. فنحن نحتاج إلى أن نحسن الظن دائماً بأبنائنا وبناتنا فهم ثروة المجتمع وقادة المستقبل.

ودفعته هذه الحادثة أن يفكر بجدية في السفر بل والهجرة والدراسة بالخارج. لكن استطعنا أن نثنيه عن ذلك.

وبعد ان تغلب على آثار تلك التجربة المريرة انخرط بشكل رائع في دراسته بجامعة الملك عبد العزيز وحصل على البكالوريوس من كلية الطب بتفوق ثم تخصص في جراحات المخ والأعصاب من الولايات المتحدة الأمريكية ونال ثلاث بوردات في الأشعة والطب النووي وجراحة المخ والأعصاب من جامعة جورج واشنطن. وبات من الاستشاريين المرموقين في جراحة المخ والأعصاب والأشعة بمستشفى الملك فيصل التخصصي بجدة.

وتزوج خليل من نورة أنور عبد ربه ابنة السفير أنور عبدربه ولديه فرح وإبراهيم اللذين يدرسان في المرحلة الجامعية بالولايات المتحدة الأمريكية. وعمر ولانا بالمرحلة الثانوية. وطارق وسلمان وبسمة.

في المقابل.. حصل ابني سامر على الابتدائية من مدارس الرياض في الرياض وانتقل معنا إلى جدة على أمل أن نهيئ له مدرسة في نفس المستوى. أخذته إلى عدة مدارس حكومية وأهلية لم تعجبه جميعها. وتصادف انتقاله مع إطلاق مدارس دار الفكر الشهيرة التي كانت تضع شروطاً ومعايير عديدة لقبول الطلاب تجاوزها كلها. وشعر بكثير من الارتياح في ظل الإدارة الحازمة والرقي الذي تتعامل به.

وبعد التخرج من الثانوية ألقى سامر كلمة نيابة عن زملائه الطلبة في حفل التخرج. وبعد سنوات بات عضواً في مجلس إدارة مدارس دار الفكر. وطلب منه في حفل التخرج الأخير أن يلقي كلمة نيابة عن مجلس الإدارة.. فقال: من حسن الطالع أن ألقي كلمة قبل عدة سنوات نيابة عن الطلبة وتمر السنون وألقي كلمة أخرى نيابة عن مجلس الإدارة.

وطار سامر للحصول على شهادة البكالوريوس من الجامعة الأمريكية في واشنطن بعد أن اختار مجال التسويق وإدارة الأعمال. وحقق نجاحات إدارية في السنوات الماضية كما أنه تبنى في وقت مبكر أكثر من مبادرة لشركة السنبلة منها اقتراح وتطبيق نظام حديث هو نظام .S.A.P منذ أكثر من عشر سنوات. حيث كانت مجموعة السنبلة من أوائل الشركات التي تبنت هذا النظام العالمي الذي تطبقه مجموعة من الشركات العالمية. كذلك قدم مبادرة هامة أخرى وهي السعي لتطبيق قواعد الحوكمة للشركة مما جعلها في مصاف الشركات الكبرى. وكل تلك المبادرات أهلته

لينتخب نائباً لرئيس مجلس إدارة مجموعة السنبلة للصناعات الغذائية والعجائن الفاخرة.

كما حقق نجاحات أخرى على الصعيد العام، حيث بدأ عضواً عاملاً في منظمة رواد الأعمال العالمية (E.O)، وانتخب ممثلاً لها في السعودية، ثم رئيساً إقليمياً لمنطقة الشرق الأوسط، وقبل سنوات بات رئيساً لها على المستوى العالمي، وأحدث تحسينات وتغييرات عديدة فيها قبل أن تنتهي الفترة القانونية له التي استمرت على مدار ثلاث سنوات، وحاضر سامر في كلية كاري للأعمال بجامعة جون هو بكنجز الأمريكية.. ويمارس دوره كعضو فاعل في مدارس دار الفكر بجدة، وعضو اللجنة التنفيذية لمجموعة الأغر، وتزوج من ديما مهدي بلحجيلة، ولديه ابنتان ماريا وآسيا تدرسان في المرحلة الابتدائية.

ومن انجازات سامر كردي قيامه بالإشراف على مشروع شركة السنبلة في مدينة 6 أكتوبر بمصر بداية من التصاريح واختيار خطوط الإنتاج وباقي المعدات حتى استكمال المبنى والتشغيل، وأثبت قدرة جيدة على التعامل مع مختلف المقاولين والشركات وكذا الموظفين.

أشعر بكثير من الفخر والاعتزاز بإنجازاته على الصعيد المجتمعي والإداري مثلما أفخر بإنجازات شقيقيه وسام وخليل في مجال الطب وعلى الصعيد الأسري والوطني.

سامر كردي يشارك في اغلاق بورصة نيويورك

رئيس بنك الفقراء محمد يونس
مع سامر كردي

سامر كردي يتحدث في مناسبة دولية

نطقت بالشهادتين

زوجتي السيدة جلوريا بيلنديز راميريز

حياتي خصبة بالتجارب ومليئة بالتفاصيل التي لا يعرفها سوى المقربون جداً.. ففي عام 1992م ومع نمو أعمالي التجارية وفي ظل سفرياتي المتعددة إلى خارج الوطن، ظهرت بعد المتغيرات في حياتي دفعتني إلى الزواج للمرة الثانية من سيدة الأعمال المكسيكية متعددة المواهب جلوريا بيلنديز راميريز.

تعرفت عليها منذ عدة سنوات خلال احدى زيارتي إلى ألمانيا، كانت تعمل مترجمة في إحدى الشركات اليابانية التي تعاقدنا معها لشراء خط إنتاج رئيسي في شركة السنبلة، وكان هناك موعد لتوقيع اتفاقية وحل بعض المشاكل الفنية التي صادفناها، وخلال معرض معدات الصناعات الغذائية في ألمانيا، كانت تقوم بالترجمة لرئيس مجلس إدارة الشركة اليابانية، ولفت نظري أنها تجيد التحدث بعدة لغات بالإضافة إلى اللغة العربية لأنها عاشت فترة من الزمن في مصر عند عائلة مصرية لدراسة العربية.

مر التعرف في هذه الفترة بهدوء.. واستمر التواصل بيننا عدة سنوات، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يتم الزواج في المركز الإسلامي بالعاصمة الإيطالية روما عام 1992م بعد الحصول على موافقة وزارة الداخلية السعودية، وأنهينا الإجراءات الرسمية في السفارة السعودية هناك، وذهبنا سوياً إلى المركز الإسلامي ونطقت بالشهادتين وأعلنت اعتناقها الدين الإسلامي الحنيف، وجاءت إلى السعودية ومازالت تتردد عليها من وقت إلى آخر، وتعيش بين لبنان ودبي والمكسيك.

وزوجتي جلوريا ـ التي رزقت منها بيوسف وسارة ـ سيدة أعمال نشطة وفعالة، تجيد التحدث بست لغات رئيسية، فإضافة إلى لغتها الإسبانية الأم تجيد التحدث بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية واليابانية والعربية، وكانت هوايتها الرئيسية هي اللغات، ولديها ملكة مميزة وقدرة على التحدث بلغة دون تداخل لغات أخرى، ولها سجل حافل في الدراسة والعصامية، أرسلها والدها للدراسة في ألمانيا وعمرها 18 عاماً، وعندما ذهب والدها ووالدتها لزيارتها اكتشفا أنها تجيد الألماني والإيطالي.

ولقد أتبعت أسلوباً عملياً في تعلم أية لغة وهو أن تختار أسرة من البلد الذي تنوي دراسة لغته وتعيش مع تلك الأسرة بحيث تلم باللغة المستهدفة وتتعرف في ذات

يوسف في حفل تخرجه بأمريكا ٢٠١٥

سارة لدى تخرجها من مدرسة سابيس في ادما لبنان ٢٠١٤م

الوقت على العادات والتقاليد التي تكمل الحلقة التعليمية.

وهي متحدثة جيدة تحاضر في مواضيع التنمية الذاتية والشخصية الايجابية وكيفية بناء وتفعيل العلاقات بين أفراد المجتمع وبث روح السعادة والتفاؤل، وأجرت عدداً من المقابلات التلفزيونية والصحفية وتعرف نفسها بأنها سفيرة السعادة (Happiness Ambassador) ولها كتاب بعنوان "ابتهاجات روحية" يحتوي على عدد من النوادر والمواقف والقصص الجميلة، كما أنها عضو في العديد من الجمعيات والنوادي منها نادي الرؤساء التنفيذيين وخلافه.

أما ابني يوسف فقد ولد عام 1993م وحصل على الثانوية العامة من لبنان، وتخرج من جامعة U C L A المرموقة بالولايات المتحدة الأمريكية خلال شهر يونيو 2015م، حيث حصل على بكالوريوس الاقتصاد والإحصاء، وكان اسمه في قائمة الشرف الأولى بين أبرز طلاب الجامعة المتفوقين.

في المقابل رزقت بسارة عام 1995م، وعاشت جزءاً كبيراً من حياتها في لبنان التي حصلت منها على الثانوية العامة، ثم انتقلت للدراسة في الجامعة الأمريكية بمدينة دبي في الإمارات العربية المتحدة.

أشعر بكثير من الاعتزاز والفخر عندما أتحدث عن انجازات الأبناء والبنات والدور البناء للأسرة جميعها، ولدي إحساس أن الإنجاز الذي حققته على هذا الصعيد لا يقل عن إنجازاتي في القطاع الاقتصادي وكرجل عاصر كواكب الاقتصاد الوطني.. تأثر بهم وأثر فيهم وخرج بتجارب وخبرات متراكمة يمكن أن تصنع طريق نجاح للكثير من رواد الأعمال.

نقاط حزينة

(لكن الشمس لابد لها من نقاط سوداء) مثلما يقول المثل الصيني.. ففي غمرة فرحتي بنجاحات أبنائي المتنوعة فجعت في الثاني عشر من شوال عام 1408هـ (الموافق 29 مايو 1988م) بوفاة والدتي فتركت أثراً حزيناً في نفوسنا جميعاً.. لن أوفيها حقها من التقدير والاحترام والعرفان بما قدمته لي ولأشقائي وللأسرة كلها.. فقد كانت سيدة متزنة، مرجعية للعائلة الكبيرة سواء في المدينة المنورة أو الدمام أو جدة، كانت حكاياتها وقصصها المليئة بالتجارب الإنسانية تطرب الصغار والكبار، عاشت السنوات الأخيرة بين أبنائها حيث جلست سنوات بجانب شقيقي خالد عندما تعرض للمرض، ثم تنقلت بين جدة والمدينة المنورة.

توفيت في المنطقة الشرقية لدى إقامتها في منزل شقيقي كعب، حيث دعي لحضور إحدى حفلات الزواج في البحرين وأصرت أن يذهب مع أسرته، ويتركها في المنزل ولم تكن تشتكي من أي شيء، وجاءت إحدى بنات أخي مع زوجها وتناولت العشاء معها، ثم تركتها وبعد ساعات قليلة اتصلت بي عاملة المنزل مرتبكة وقالت إن قلبها توقف، أبلغوني هاتفياً وذهبت مسرعاً وعاد شقيقي كعب من البحرين.. وجاءت لحظات الوداع حزينة ومؤلمة.

زرعت فينا الألفة والمحبة قبل أن تلحق بأخي عبد الله (1) الذي توفي في العشرين من شوال عام 1398 هـ (26 يوليو 1979م)، وشقيقي خالد (2) الذي توفي قبله في السابع والعشرين من صفر 1393هـ (1 إبريل 1973 م)، في حين توفي شقيقي كعب (3) عام 2005م، وشقيقي مالك (4) عام 2010م في المدينة المنورة بعد سنوات قليلة من قرارهما بالعودة إلى هناك والاستقرار في مسقط رأسيهما.

---

(1) تزوج أخي عبد الله ـ يرحمه الله ـ من الشريفة نفيسة حمزة عينوسة.
أبناؤه: يوسف ـ يرحمه الله ـ محمد (ضابط متقاعد.. زوجته نفيسة عباس سمان)، أسامة ـ يرحمه الله ـ (زوجته سلوى كعب كردي)، غازي (مدرس.. زوجته هيام عبد الحميد زارع)، طلحة (زوجته د. عفاف حمزة بشير)، نزار (زوجتاه حفصة عبد الحميد بانوبا وفاطمة محمد أحمد السعايدة)، مروان (زوجته نهلة محمد حجار)، وابنة واحدة هي عائشة.
(2) تزوج شقيقي خالد ـ يرحمه الله ـ من الشريفة عزة عبد القادر حلبي.
أبناؤه: عصام (لواء طيار متقاعد.. زوجته دلال علي بنوي)، عادل (رجل أعمال.. زوجته جميلة عبد الوهاب منصوري)، وليد (رجل أعمال)، وبنتان: بثينة (زوجة الأستاذ محمد علي زارع) وهيفاء (زوجة الشيخ عبد الغني عبد الله الخريجي).
(3) تزوج شقيقي كعب ـ يرحمه الله ـ من حياة عبد المجيد غولة وبعد وفاتها تزوج من الشريفة صباح العطاس.
أبناؤه: ناصر ـ يرحمه الله ـ منصور (زوجته أمل يوسف صالح كردي)، سناء ـ يرحمها الله ـ (زوجها السيد عبد الله العيدروس)، سلوى (زوجها أسامة عبد الله كردي ـ يرحمه الله ـ)، خولة (زوجها صلاح حسن ملا)، لمياء (زوجها عثمان حمزة خشيم)، ريم (زوجها وليد يحيى خشيم).
(4) تزوج شقيقي مالك ـ يرحمه الله ـ من سميحة صالح هماش وبعد الإنفصال تزوج من صليحة أحمد محمد جرادي.
أبناؤه: بشار (زوجته دينا حمزة بخرجي)، عماد، لؤي ـ يرحمه الله ـ صالح، عبد العزيز، والبنات: وفاء، أمل (زوجة السيد طلال أبو الفرج)، مها (زوجة بسام بخرجي)، ليلى، ميساء (زوجة الدكتور خالد محمد عبد الرحمن الشيباني)، منال (زوجة زياد غلام).

سور الصين وهدية بترجي

وثيقة رسمية بتسلق المؤلف سور الصين العظيم

من المشاهد المهمة التي لا زالت عالقة في ذهني ما حدث عام ٢٠٠٧م عندما سافرت إلى العاصمة الصينية بكين، وأتيحت لي فرصة ذهبية لزيارة سور الصين العظيم الذي يعد من أبرز معالم البلاد السياحية والتاريخية، ويتمتع بمناظر خلابة للغاية، ويعد جزءاً هاماً من التراث الثقافي العالمي، وتمكنت ولله الحمد من تسلقه بشكل ناجح، وحصلت على وثيقة رسمية من السلطات هناك تؤكد تسلقي هذا السور التاريخي.

وابتهجت كثيراً وأنا أشاهد مسناً تجاوز العقد الثامن من عمره يمضي بإصرار وقوة لتسلق السور.. مؤكداً أن الإرادة والعزيمة لا تتوقف عند عمر معين.

ويعد سور الصين العظيم أطول مبنى شيده الإنسان، إذ يبلغ إجمالي طوله حوالي ٦٤٠٠ كيلو متر، والأرجح أن إنشاء هذا السور، بدأ في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد وتم استكماله بين فترة وأخرى حتى انتهي من تشييده في أوائل القرن السابع عشر، وأقامه الصينيون لحماية حدودهم الشمالية من المغول الغزاة، ويعبر شمال الصين بين الشاطئ الشرقي وشمال وسط الصين.

وتعتبر هدية الشيخ محمد إبراهيم بترجي والد الأستاذ مازن بترجي نائب رئيس مجلس إدارة غرفة جدة واحدة من الهدايا المعبرة التي أثرت فيّ كثيراً وشعرت بقيمتها وعمقها.. بل إنني وضعتها في واجهة المكتب الرئيسي لمجموعة السنبلة استشعاراً بقيمتها الكبيرة.

الهدية عبارة عن سجادة تحمل رسالة ملك انجلترا جورج الثاني لحاكم الأندلس هشام

الثالث عندما كان للعرب والمسلمين شأن ووزن. طلب من الخليفة هشام الثالث (حاكم مسلم) سنة ١٠٢٨ الإذن بإلتحاق الأميرات للدراسة في جامعة قرطبة التي أسسها المسلمون في إسبانيا. والتي ختمها بكلمة (خادمكم المطيع جورج الثاني ملك إنجلترا). وزاد من عمق الرسالة أن الحاكم المسلم رد على هدية ملك إنجلترا وفرنسا بهدية من صنع أبناء الأندلس وهو ما يزيد من المغزى الكبير الذي تحمله الرسالة للدلالة على المعاني السامية التي تركها العرب في تراث الإنسانية. وتاريخهم الناصع في بناء الحضارة وترسيخ المحبة والتسامح.

بسم الله الرحمن الرحيم

هكذا كنا فمتى نعود؟

رسالة الملك جورج الثاني إلى الخليفة هشام الثالث

من جورج الثاني ملك إنكلترا و العال (فرنسا) والسويد و النروج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب المنظمة هشام الثالث الجليل المقام بعد التعظيم و التوقير، فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم و الصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بدايه حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أربع أركانها. وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبلنت) على رأس بعثة من بنات أشراف الإنكليز، لتتشرف بلثم أعتاب العرش والتماس العطف، و تكون مع زميلاتها موضع عنايتكم وفي حماية الحاشية الكريمة، والحدب من قبل اللواتي سوف يقمن على تعليمهن، وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل. أرجو التكرم بقبولها، مع التعظيم والحب الخالص.

من خادمكم المطيع جورج - م. أ

جواب الخليفة هشام الثالث على رسالة الملك جورج الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم ...

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على نبيه سيد المرسلين و بعد:

إلى ملك إنكلترا و إيكوسيا و اسكندنافيا الأجل أطلعت على التماسكم، فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعنيهم الأمر من أرباب الشأن، وعليه تعلمكم أنه سوف يتفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين، دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي. أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد و بالمقابل أبعث إليكم بغالي الظنافس الأندلسية، وهي من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم، وفيها المغزى الكافي للتدليل على التفاهم و المحبة، والسلام

خليفة رسول الله في بلاد الأندلس هشام الثالث

ذكرت هذه الرسائل في العديد من المراجع التاريخية العربية والإنكليزية و الالمانية و الفرنسية منها: كتاب "العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى" لمؤلفه المؤرخ الإنكليزي السير جون دانبورت

www.al-moharer.net/mob192/nasr_sbemali192.htm

(إهداء من الشيخ/ محمد إبراهيم بترجي)

هدية الشيخ محمد إبراهيم بترجي المعبرة

حكـــــم وأمثال

قـــررت منذ البداية أن أكون منضبطاً في حياتي.. آمنت بما أقوله.. وقلت ما أؤمن به. وســـرت على عدد من الحكـــم والأقوال المأثورة التي رســـمت خطوطاً مؤثرة في حياتي، على رأســـها قول الله سبحانه وتعالى: (وأما بنعمة ربك فحدث)، والحديث النبوي الشـــريف الذي نقلته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.. قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانهُ، ولا ينزعُ من شيءٍ إلا شانهُ) رواه مسلم.

وكلمات الإمام الشافعي:

سيفتح الله باباً كنت تحسبه.. من شدة اليأس لم يخلق بمفتاح

وحكمته الرائعة:

ولربَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى.. ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها.. فرجت وكان يظنها لا تفرج

وأردد مع أمير الشعراء أحمد شوقي بيته الحكيم:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت.. فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وكذلك كلماته المليئة بالمعاني السامية في نهج البردة:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه.. فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقول أبو الشعر العربي أبو الطيب المتنبي:

لم أَرَ في عيُوبِ الناسِ شيئاً كنَقصِ القادِرِينَ على التّمامِ

وأعشق رائعة الطغرائي:

أعلل النفس بالآمال أرقبها.. ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

وكلمات بشار بن برد:

لابد من شكوى إلى ذي مروءة.. يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وأتمعن كثيراً حكمة فرانكين روزفلت:

إن أول ما ينبغي أن تخافه.. هو الخوف ذاته.

وقد سأل حكيم من أعز الناس لديك؟ فقال:

من أخلاقه كريمة و مجالسته غنيمة و نيته سليمة و مرافقته أليمة
و من كلامه الزمن عليه زاده قيمة.

إضاءات

- (الأبناء أهم الاستثمارات).. آمنت كثيراً بهذه المقولة منذ سنوات مبكرة من حياتي.. كنت أدرك أن التربية الصالحة وتأهيل وتعليم أبنائي أهم من كنوز الدنيا وما فيها.
- تعلموا الصبر والجلد والشجاعة.. والاعتماد على النفس، تشربوا حسن التدبير والتفكير الإيجابي.. ودماثة الخلق.. وحب خدمة الآخرين.
- اعتدت طوال حياتي ألا أجبر أبنائي على شيئين رئيسيين.. الدراسة والزواج، أبدي رأيي من زاويتي الخاصة، لكن أترك القرار النهائي للابن الذي بات لديه من الإدراك والفطنة لتحديد مستقبله.
- حياتي خصبة بالتجارب ومليئة بالتفاصيل التي لا يعرفها سوى المقربين جداً.. وفي ظل سفرياتي المتعددة إلى خارج الوطن، ظهرت بعد المتغيرات المهمة.
- قررت منذ البداية أن أكون منضبطاً.. آمنت بما أقوله.. وقلت ما أؤمن به، وسرت على عدد من الحكم والأقوال المأثورة التي رسمت خطوطاً مؤثرة في حياتي.

الفصل العاشر

شخصيات

في حياتي

رحيمي.. الوالد والمعلم

الشيخ محمد نور رحيمي

لم يكن الشيخ محمد نور رحيمي ـ يرحمه الله ـ مجرد شخصية عظيمة ساعدتني في مرحلة معينة من حياتي.. بل كان نقطة ضوء أهتدي بها عندما يضيق بي الطريق وأشعر بالظلام من حولي.. الأب والأخ الأكبر والمعلم.. صاحب العقل الراجح.. والقلب الكبير.

عاصر كبار شخصيات الدولة في فترة مبكرة من فترات البناء بالمملكة يتقدمهم الشيخ محمد سرور الصبان والشيخ عبد الله السليمان وغيرهما.. حكيماً في تصرفاته.. خبيراً في خطواته.. إدارياً رائعاً يتخذ قرارات سريعة بعد دراسة وتمحيص.. وعلى النطاق الشخصي يحب فعل الخير ولا يتردد عن تقديم الدعم والمساعدة والتشجيع لكل من يتوسم فيه احتياجه لهذه الأمور، وفي مرات كثيرة يتبنى أي موضوع فيه فائدة يقتنع بها من أجل إحقاق الحق.

حباني بكثير من الدعم والرعاية والتشجيع طوال سنوات خدمتي في الجمارك بصورة غير محدودة، رغم أنه في أحيان كثيرة لا يفصح عن هذا التشجيع والمودة والدعم، إلا أنه يهيئ الفرص والظروف لتحقيق طموحاتك وأحلامك.

تبنى مجموعة من الشخصيات في الجمارك وأعطاهم فرصاً عديدة للنمو والتطور.. تشرفت بأن أكون أحدهم، وكنت محظوظاً بالتعرف عليه في سن مبكرة، حيث كنت أتصل به وأعرض عليه الكثير من الأمور، وأشعر الآن أنني تجاوزت الحدود المتعارف عليها في التسلسل الإداري، لكنه ظل دائماً يتيح لي الفرصة للتعبير عن كل ما يجول بخاطري والاستماع إلى وجهة نظري حتى لو لم تكن كلها في محلها.

شجعني مبكراً على دراسة الإحصاء في لبنان.. وقف معي لإكمال دراستي الجامعية بجامعة الملك سعود بالرياض، تبنى أمر علاجي في لندن عندما آلمت بي أزمة صحية طارئة تمثلت في نشاط غير عادي للغدة الدرقية.. وقاد فكرة سفري إلى الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على الماجستير في الإدارة.. وكان حريصاً على دعمي في لجنة اختيار المبتعثين وعلى تواصل بشخصيات عديدة وفي ترقب للنتيجة وكأن الأمر يهمه شخصياً.

أحمد الله أنني تواصلت معه حتى الفترات الأخيرة خلال فترة مرضه سواء في

المستشفى أو المنزل، حيث تراجعت صحته في نهاية المشوار بشكل كبير، وتلقيت خبر وفاته بكثير من الحزن والألم، شعرت أنني فقدت الأب والموجه والمعلم.. ولم يكن هذا شعوري وحدي، فقد ترك أثراً طيباً بين كل معارفه.. بل وفي المنطقة الغربية بأثرها، وظهر ذلك بشكل واضح في أيام عزائه سواء على صعيد الرسميين أو تلاميذه الذين أثر فيهم.. فهو شخصية لها قيمتها الكبيرة.. رحمه الله رحمة واسعة وجزاه كل خير على ما قدمه لي وللآخرين.

العم إسماعيل.. شهبندر التجار

الشيخ إسماعيل أبو داود

لا يستطيع أي مؤرخ للاقتصاد السعودي عامة وعروس البحر الأحمر على وجه الخصوص أن ينسى بصمات شهبندر تجار جدة العم الشيخ إسماعيل أبو داود الذي قاد الحركة التجارية عبر الغرفة التجارية الصناعية عقدين من الزمن.. كان خلالها رباناً بارعاً لكل رجال الأعمال، قدم عشرات الأفكار والمبادرات والمشاريع التي لازالت شاهدة على عمله الكبير حتى الآن.

رجل ذو هيبة وحضور.. شخصية قيادية بارزة.. يؤمن بتعدد الآراء، يملك رؤية وحكمة كبيرة ولا يغرد خارج السرب، يعول كثيراً على مجموعة من أصحاب الخبرة والعلم والتأهيل، ويأخذ برأي وتوصيات اللجان والمعاونين.

له كثير من البصمات الناصعة في عروس البحر الأحمر.. فهو الذي أنشأ ساعة التحلية بجدة وأهداها للبلدية، وإنشاء نادي جدة الأدبي، ومكتبة جدة، ودار الأيتام والعجزة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وغرفة التجارة والصناعة الإسلامية، حيث ترأس مجلس إدارتها سنة 1994 م، ومركز تأهيل شباب جدة، حيث درب في حدود 50 ألف شاب سعودي للعمل في القطاع الخاص، طوال فترة حياته .

ظل رئيساً لمجلس إدارة 6 شركات تجارية وصناعية كبيرة أربع في جدة واثنتان في الدمام وهي شركة إسماعيل أبوداود التجارية المحدودة بجدة، شركة الصناعات الحديثة بالدمام، شركة المنتجات الحديثة بجدة، شركة محمد علي أبوداود وشركاه للصناعات المحدودة بجدة، شركة المنظفات الوطنية المحدودة بالدمام، وشركة الاستثمارات الحديثة بجدة>

وشغل منصب رئيس الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية، ورئيس اتحاد الغرف التجارية الصناعية بدول الخليج العربية، بجانب رئاسته لمجلس الغرف السعودية ومجلس إدارة غرفة جدة، ورئيس مجلس إدارة بنك الرياض، ورئيس مجلس إدارة الشركة السعودية التركية القابضة للاستثمار، وعضو مجلس إدارة شركة الراجحي المصرفية.

من خلال احتكاكي وتجربتي الشخصية مع العم الشيخ إسماعيل أبو داود.. فلقد كان ـ يرحمه الله ـ لا يتردد في دعم أصحاب الأعمال في المملكة، والمساعدة في إيجاد حلول لمشاكلهم سواء في الداخل أو الخارج، وأذكر تبنيه ـ يرحمه الله ـ فكرة دعم

الصادرات السعودية التي كانت تواجه ببعض العراقيل عند التصدير إلى مصر. وقام بالفعل بالدعم لدى الوزير المختص والسيد رئيس الوزراء.. جزاه الله كل خير.

توفي في جدة عن عمر يناهز 88 عاما ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة. وصُليَّ عليه صلاة العصر في المسجد النبوي الشريف ودفن في مقابر بقيع الغرقد بالمدينة.

تعلمت الكثير من حكمة وسعة صدر العم إسماعيل أبو داود.. وعرفت السبب الرئيسي وراء الحب الذي كان يتمتع به في كل مكان يذهب إليه في العالم. حيث كان يجد التقدير والاحترام من الرؤساء والملوك والزعماء نظير السمعة التي يتمتع بها وأعماله الخيرية المنتشرة.

السليم.. عمق وموضوعية

سليمان السليم

عرفت الدكتور سليمان بن عبد العزيز السليم وزير التجارة ثم المالية كرجل صاحب فكر عميق، عمل بتفان وإخلاص لخدمة وطنه في مرحلة الطفرة.. وقاد الكثير من المبادرات والأنشطة المهمة التي كان لها صدى واسع.

حصل على الدكتوراه من جامعة جنوب كاليفورنيا وهي نفس الجامعة التي حصلت منها على الماجستير، وعقب عودته عين أستاذاً بجامعة الملك سعود بالرياض، ثم انضم إلى التشكيل الوزاري في عهد الملك خالد بن عبد العزيز بعد أن تم اختياره وزيراً للتجارة، وفي نفس التشكيل عين الدكتور غازي القصيبي ـ يرحمه الله ـ وزيراً للصناعة والكهرباء.. والاثنان زملاء دراسة بالقاهرة والولايات المتحدة الأمريكية، حيث أشار الدكتور غازي القصيبي في بعض مؤلفاته ورواياته (شقة الحرية ـ العصفورية) بشكل غير مباشر إلى رفيق دربه الدكتور سليمان السليم، كما أشار إليه في كتابه حياة في الإدارة.

بات الدكتور سليمان السليم رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة العامة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق بحكم منصبه وزيراً للتجارة، وتشرفت بلقائه بعد تعيينه في الوزارة ووجدت الرجل مليئاً بالحكمة ورجاحة العقل والموضوعية والتحلي بالصفات القيادية، فهو لا يتردد في إبداء الرأي والنصح بشكل راق لأي شخص لديه طموح.

كلفت مرات عديدة من قبل الدكتور أحمد شيناوي مدير عام صوامع الغلال ومطاحن الدقيق بعرض بعض الأمور على وزير التجارة وكان يزودني بكثير من الإرشادات والنصائح بشكل غير مباشر، ولم يتردد في المساعدة، وحين قررت طلب الإحالة للتقاعد كان الدكتور سليمان السليم أول من فاتحته في هذا الأمر بعد الدكتور أحمد شيناوي فأعجب بتوجهي، لكنه طلب مني التريث وإعادة الحسابات مما جعلني أشعر بمدى تقديره وحرصه على مستقبلي، إلا أنني ذكرت له أنني عقدت العزم على هذا الاتجاه، وعقب تلبية طلبي تسلمت منه خطاب شكر لطيف يشتمل على الكثير من الكلمات التحفيزية ويتمنى لي التوفيق في حياتي الجديدة.

يتميز الدكتور سليمان السليم بالعمق والتفكير المنظم.. وكان صاحب برنامج تلفزيوني شهير تابعه الكثيرون عبر التلفزيون السعودي بعنوان (عين) يلقي خلاله الأضواء على الأحداث الاقتصادية والسياسية، حقق الكثير من الجماهيرية، وحظي بمتابعة المثقفين والنخبة..

كتب مقالاً شهيراً يرثي فيه رفيق دربه الدكتور غازي القصيبي ـ يرحمه الله ـ ويعيش عقب تقاعده في الرياض، حيث أتشرف بالتواصل معه في بعض المناسبات.. أطال الله في عمره ومتعه بالصحة.

الدكتور أحمد عبد القادر شيناوي

د. شيناوي.. مفاوض بدرجة دكتور

بدأت علاقتي بالدكتور أحمد عبد القادر شيناوي في ولاية لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية، خلال حصوله على الدكتوراه في المحاسبة بجامعة جنوب كاليفورنيا.. وصلت إلى هناك لدراسة الماجستير وهو يحتفل بحصوله على درجة الدكتوراه.. حيث حضرت حفل تكريم أقامه له أحد الزملاء قبل عودته إلى أرض الوطن.

تقابلنا بعدها مصادفة في مطعم السفراء بالرياض.. ومثل هذا اللقاء منعطفاً مهماً في حياتي، عندما عرض عليّ العمل في المؤسسة العامة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق التي تسلم مسؤوليتها، وجاء انتقالي للعمل تحت قيادته محطة مهمة في حياتي.

يتميز الدكتور أحمد عبد القادر شيناوي بالكثير من الصفات النادرة.. إداري ناجح.. قائد استراتيجي محنك.. يجمع بين سمات القيادة والمكانة والعلم والتأهيل والخبرة.. وضع في منصب حساس وهام، واستطاع أن يحقق قفزة كبيرة لمشروع كانت البلد في أمس الحاجة له.. وهو مشروع صوامع الغلال ومطاحن الدقيق.

قاد العمل بمهارة ونفذ المشاريع الثلاثة الرئيسية للمؤسسة العامة لصوامع الغلال في الرياض والدمام ثم جدة خلال فترة وجيزة علاوة على مجمعات أخرى تجاوز ت العشر، واستطاع أن يحقق معادلة وطنية رائعة بإقامة هذه المشاريع بجودة عالية وفي فترة قصيرة وبأقل التكاليف.

يملك الدكتور أحمد شيناوي شخصية مستقلة.. أنيق.. له هيبته ومكانته.. تعامل مع الشركات بمستوى راق دون غياب الحزم، وكان الجميع يحسب له ألف حساب، ويعرفون مدى جديته وأنه لا يقبل بأنصاف الحلول، ولا يرضى بأي عمل لا يكون متميزاً.

يتمتع بشخصية مميزة، فهو مفاوض من الطراز الأول، وقدم عملاً وطنياً رائعاً في صمت وهدوء وبعيداً عن الأضواء، مفاوض بدرجة دكتور، يصل إلى أفضل العروض والأسعار، ثم يبدأ في جولة أخرى من التفاوض للحصول على خدمات ومميزات.

أعتبر نفسي تلميذاً في مدرسته.. فقد أعجبت بشخصيته بشكل كبير، وعلاقتي به في السابق والآن تتجاوز الصداقة.. فقد اكتسبت منه خبرات كثيرة في أسلوب العمل.. الحديث.. العمق.. والتفاوض.

الفريق عبد العزيز محمد هنيدي

الشاعر والأديب والصديق.. هنيدي

شاعر وأديب، لديه ملكة رائعة في الكتابة، جذاب في حديثه، واسع في ثقافته.. هكذا هو صديقي الكبير الفريق عبد العزيز محمد هنيدي الذي رافقني سنوات طويلة من الزمن.. جمعتنا الكثير من الصالونات الأدبية والمجالس الجميلة التي يهفو لها القلب، مثلما جمعتنا سفريات عديدة خارج المملكة، يملك قصص نجاح رائعة تحدثت عنها الصحافة المحلية كثيراً.

يمثل الفريق هنيدي التمازج بين الثقافات فوالده تربى وعاش في المدينة المنورة وعمل في اللاسلكي ووالدته من عسير، وهو رجل أمين ومخلص، لديه حرص زائد عن اللزوم في كل عمل يقوم به.. رجل وفي بمعنى الكلمة، يتواصل مع كل أصدقائه، ويحمل الود والتقدير والاحترام للكثيرين.

نقل للعمل في مطار الظهران وأثناء وجوده في العمل بدأ يرى الطائرات ويتعرف على بعض الطيارين، ومن هنا بدأت أحاسيسه تميل للطيران الذي كان يهواه بشكل كبير بجانب الشعر والأدب.

وشهدت هذه الفترة تحولاً كبيراً في حياته بعد أن انتقل إلى التدريب ثم ممارسة الطيران، ليترك الجمارك بشكل نهائي ويحلق بعيداً بأحلامه حتى وصل إلى منصب قائد القوات الجوية الملكية السعودية، قبل أن يتقاعد ومن ثم يتم اختياره لرئاسة الجمعية الوطنية للمتقاعدين ثم يتركها هي الأخرى طواعية.

زاملني العمل خلال مراحل طويلة من حياتي وبالأخص خلال عملنا في الجمارك سوياً بالمنطقة الشرقية، بارع في استقطاب العناصر.. وعقب التحاقه بالطيران في الظهران حاول أن يجذبني إلى نفس المجال لكنني لم أكن هاوياً لذلك المجال، واستطاع أن يقنع عصام ابن شقيقي خالد كردي الذي التحق بكلية الملك فيصل للطيران في الرياض.. وبات من المميزين في هذا المجال وشارك بالكثير من العروض العسكرية، حيث تقاعد برتبة لواء طيار.

لا أنسى أبداً عندما وقف بجانبي في محنتي المرضية، حيث شعرت أن جسمي يضعف وأعاني من هزال شديد، اصطحبني إلى المستشفى العسكري مستثمراً علاقاته

العريضة، عرضني على الجراح الدكتور رضا خليفة ووقف بجانبي حتى ذهبت إلى لندن وأجريت جراحة بسيطة للغدة الدرقية.

استمرت علاقتنا في كل المدن وعلى جميع الأصعدة.. لا تمر أيام دون أن نلتقي سواء بالرياض أو جدة أو المدينة.. نسرد القصص والحكايات ونروي تفاصيل رائعة في مشوارنا، مررنا بكثير من المواقف المشتركة.. نستشير بعضنا في الكثير من الأفكار والموضوعات، وعندما أسأل عن آخر صديق قابلته.. ستكون الإجابة دون تردد: الفريق هنيدي.

توفيق إبراهيم توفيق

توفيق إبراهيم توفيق.. عاشق الخير

يعتبر الأستاذ توفيق إبراهيم توفيق من خيرة الرجال الذين صادفتهم في مشواري.. عاشق لعمل الخير والمساعدة، لا تحتاج أن تبحث عنه لأنك ستجده بالقرب منك.. ودوداً وعطوفاً وجاهزاً دائماً لمد يد العون.

أحمل له الكثير من الذكريات الجميلة، وأعتز بأنني تخرجت من نفس الجامعة التي كان يدرس بها (جامعة جنوب كاليفورنيا)، كنت أعرفه قبل سفري إلى أمريكا وعندما وصلت إلى هناك وجدت منه الترحاب الكبير والاستعداد للمساعدة والوقوف بجانبي للتغلب على المعوقات التي تواجه أي مبتعث في بداية مشواره، وضع كل إمكاناته تحت تصرفي، ذهبنا معاً لشراء احتياجاتي ودعمني بكل ما يملك.

عقب حصوله على الماجستير في إدارة الأعمال عاد إلى وزارة التجارة التي ابتعث منها، وعين مديراً عاماً للتموين بالوزارة، ثم تمت ترقيته إلى وكيل الوزارة للتجارة بينما كان الدكتور عبد الرحمن الزامل وكيل الوزارة للصناعة إبان تولي الدكتور سليمان السليم كرسي الوزارة.

يعرفه الكثير من رجال الأعمال في المملكة، وكان يمثل مرجعاً هاماً عندما تكون هناك حاجة للاستشارة والتوجيه، تعامل بعقلانية ونضج مع كثير من الأزمات التي تمثلت في نقص المواد التموينية أو تلك الأصناف التي كانت الدولة تدعمها، وشارك في وفود عديدة للتباحث مع مسؤولين في دول أخرى ومناقشة شتى الأساليب للتعاون المشترك، وعين عضواً في مجلس الشورى ثم رئيساً لديوان المراقبة العامة.

ظل أحد أكبر الداعمين لي عندما بدأت مشروعي الخاص (السنبلة)، لم يتردد في النصح والإرشاد والمساعدة ـ كعادته مع الآخرين ـ فقد جبل على حب الخير والمساعدة، لجأت إليه في أكثر من مشكلة وكان خير داعم، وتربطني به حتى الآن علاقة جيدة وأحمل له الكثير من التقدير والإعجاب بشخصيته الكريمة.. متعه الله بالصحة والسعادة وطول العمر.

الدكتور عبد الرحمن الزامل

القائد.. عبد الرحمن الزامل

تعرفت على الدكتور عبد الرحمن الزامل رئيس مجلس الغرف السعودية الحالي للمرة الأولى في لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان يدرس العلوم السياسية في نفس الجامعة التي التحقت بها ـ جامعة جنوب كاليفورنيا ـ وكانت له نشاطات اجتماعية وطلابية رائدة ويملك رؤية وله أهداف واضحة ومحددة، يتحمس لأي فكرة يقتنع بها.

على مدار السنوات الماضية لم تواجهني مشكلة عرضتها على الدكتور عبد الرحمن الزامل إلا وساعد في حلها، وعلى نطاق شركة السنبلة للمواد الغذائية وقف معنا ودعمنا في تسجيل اسم الشركة كعلامة وسمة تجارية، وأيضاً فيما يتعلق بعلامة عسل الشفاء التجارية.

صريح وشفاف وحماسي.. إذا عرضت عليه فكرة ولم تعجبه لا يتردد في إبداء وجهة نظره بتجرد، وإذا اقتنع بالمبادرة أو الفكرة، يلتقط الهاتف مباشرة ويبدأ في التنفيذ بحماس كبير، يشجع المبادرين وأصحاب الأفكار الجميلة.

تعاملت معه عندما كنت عضواً في مركز تنمية الصادرات السعودي وكان صاحب مواقف رائعة في دعم الصادرات، وتبنى فكرة إقامة هيئة تنمية الصادرات السعودية والتي وضعت لها دراسة رائعة وباتت من الهيئات المهمة الموجودة على أرض الواقع.

شخصية قيادية لها حضورها وجرأتها.. متحدث نادر.. صورة لامعة ومشرفة في أي محفل يتواجد به، يجذب اهتمام السامعين، لديه القدرة على التعامل مع الكثير من القضايا في وقت واحد، فهو يملك مسؤوليات متعددة فعلاوة على كونه رئيساً لمجلس إدارة غرفة الرياض ومجلس الغرف السعودية، فهو رئيس لمركز تنمية الصادرات، ورئيس لكثير من الهيئات والإدارات الأخرى، ويكلف بكثير من الأمور الكبيرة في دليل واضح على ثقة أولي الأمر فيه كشخصية اقتصادية مهمة.

علاوة على شخصيته القوية.. فهو رجل مرح.. العمل معه له متعته، ويتميز بخفة الدم والقفشات وروح الدعابة.

اللحيدان.. رجل الظل

عبد الله عبد الكريم اللحيدان

أحمل الكثير من المحبة والتقدير للزميل الأخ عبد الله عبد الكريم اللحيدان، تعرفت عليه بواسطة صديقي محمد عبد العزيز العمير إبان تواجدي في الرياض خلال الستينيات الميلادية لأداء الاختبارات في جامعة الملك سعود فهو ابن خالته.

عاش فترة من الزمن في جدة حيث كان يدرس في كلية الدفاع الجوي ثم سافر إلى أمريكا للالتحاق بمكتب المستشار العسكري في واشنطن، وتوطدت العلاقات بشكل كبير على مدار الأعوام الماضية، وكان له دور كبير في تأسيس شركة السنبلة، حيث لجأت إليه عند البحث عن شريك يساهم في تحمل المسؤولية ودعم الشركة الوليدة، وكان خير داعم للفكرة من البداية وحتى هذه اللحظة، ولا يبخل بأي خطوة يتخذها لتبني مواضيع مرتبطة بالشركة، ويستثمر علاقاته العريضة مع قطاع كبير من رجال الدولة للمساعدة في تذليل العقبات التي واجهتنا خصوصاً في المراحل الأولى لتأسيس الشركة ومراحل لاحقة.. فهو نعم الصديق والشريك.

يتميز اللحيدان بصفات نادراً ما تتجمع في شخص واحد.. يكرس جانباً كبيراً من حياته للخير.. يعمل في صمت وسرية وهو دائماً الرجل (الخفي) وراء الكثير من النجاحات، له مساهمات كبيرة لا يعرفها الكثيرون، وله مواقف نبيلة مع الكثيرين ومعي شخصياً، وساهم بفكره وماله في نجاح الكثير من المشاريع الخاصة منها مصنع تكسير الصخور والخرسانة الجاهزة إبان فترة الطفرة الاقتصادية الكبيرة التي شهدها الوطن في السبعينيات والثمانينيات.

يقيم مع زوجته في جنيف منذ ترجله عن العمل.. يأتي مرتين أو ثلاثة في العام.. ويتمتع ـ ولله الحمد ـ بصحة جيدة ولياقة ولباقة كبيرة، ويحرص على قضاء شهر رمضان المبارك سنوياً بين الأهل في المملكة، وأنتظر لقاءه دائماً بشغف.. فهو واحد من أهم الشخصيات التي أثرت في حياتي.. بل من أكثرهم قرباً إلى قلبي.. أطال الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية.

عبد العزيز محمد النويصر

النويصر.. صمت الأذكياء

منذ اللحظة الأولى التي سعدت فيها بلقاء الأخ عبد العزيز محمد النويصر.. أحسست أنه رجل صادق.. صدوق، يبدو وكأنه كتاب مفتوح، وأوحى لي بكثير من البساطة والتلقائية والشفافية، وفي ذلك اللقاء الذي تم بحضور الأخ عبد الله عبد الكريم اللحيدان بهدف دخول شركة إخوان السعودية التجارية التي يترأسها النويصر كشريك في السنبلة.. لم نحتاج إلى وقت طويل لزرع وتبادل الثقة بيننا، اختصر بكياسة عقله الكثير من المسافات بناء على مقدمة تولاها صديق الطرفين.

وقع على عقد الشراكة دون أن يقرأ كلمة واحدة، طلب المدير المالي وحرر شيكاً بحصته، تحدث بتلقائية وتعامل بسهولة فشعرت معه بكثير من الثقة والارتياح ـ وهي أمور ضرورية لنجاح الشراكات ـ أحسست أنه شخص يبدي لك ما في قلبه دون مواربة، وما يخفيه هو ما يظهر على لسانه.

ظل منذ عام 1980م وحتى الآن نعم الشريك والأخ والصديق.. بصمته يفعل ويقوم بتوفير الدعم بشتى أنواعه، إن كان هناك ما يستدعي الاتصال بإحدى الشخصيات المؤثرة بحكم علاقاته العريضة لا يتأخر، أذكر أنني ذهبت إليه ذات مرة أطلب التدخل للمساعدة فاتصل بالشخص المسؤول مباشرة في الحال وتمكن من ترتيب موعد لمقابلة الشخص المعني وتذليل العقبات التي كنا نواجهها.

عندما طرحت فكرة التعاون بين السنبلة وشركة إخوان التجارية فيما يتعلق بمصنع تعبئة العسل وجدت منه قمة العقلانية والنضج والدعم والتأييد لفكرة استحواذ السنبلة على مصنع عسل الشفاء، حيث قدر بذكائه الفطري إلى أن هذه الخطوة ستساهم في تحقيق أحسن النتائج للشركة المملوكة للطرفين.

يتحلى بصمت الأذكياء.. لا يزعجك بالتدخل أو الاتصال لكنه موجود دائماً إذا بحثت عنه، يلعب دوراً بناءً وحيوياً وهاماً بهدوئه المعتاد دون البحث عن الأضواء، رجل يملك أفقاً واسعاً.. ونظرة عميقة.. وقدراته كبيرة فيما يتعلق بالبحث عن الفرص الاستثمارية وخصوصاً في القطاع الصناعي أو العقاري.. سعدت بشراكته ونمو العلاقة بيننا على مدار هذه السنوات.. فهو نعم الأخ والصديق.. أطال الله في عمره وأمده بالصحة والعافية.

الشيخ عبد الرؤوف أبو زنادة

أبوزنادة.. صاحب المبادرات

سيبقى تاريخ الغرفة التجارية الصناعية بجدة شاهداً على العمل الكبير الذي قام به الصديق الشيخ عبد الرؤوف أبو زنادة، الذي لعب دوراً مؤثراً في مسيرتها خلال فترة رئاسة الشيخ إسماعيل أبو داود.. فقد كان الرجل الأكثر تأثيراً في عدد من مجالس إدارات الغرفة، وصاحب المبادرات والمشاريع التي لا يستطيع أحد أن يتجاوزها.

توطدت علاقتي مع الشيخ عبد الرؤوف أبو زنادة كثيراً خلال عضويتي لمجلس إدارة غرفة جدة من عام 1990 إلى 1998م، ونحن نجتمع بشكل أسبوعي في مكتبه ومعنا الشيخ علي باسمح ونقضي بعض الوقت في النقاش وتبادل الأراء فهو مدرسة ثرية ومصدر للخبرات والعبر.

على الصعيد الشخصي.. يتميز الشيخ عبد الرؤوف أبو زنادة بالذاكرة اللماحة.. ويختزل الكثير من القصص والحكايات ذات المغزى الكبير.. روى لنا عشرات النصائح التي أسداها له والده.. طيب المعشر، جلسته رائعة، يحب الدعابة، مع العلم أنه على النطاق العملي صارم ويقوم بالمطلوب بكل حرفية.. متعه الله بالصحة والسعادة وطول العمر.

الشيخ علي سعيد باسمح

قريني.. باسمح

ربط الموظفون والمسؤولون في الغرفة التجارية الصناعية بجدة كثيراً بيني وبين الصديق الشيخ علي سعيد باسمح.. حيث كنا متلازمين إلى حد كبير، لدرجة أنني وصلت ذات مرة بمفردي فقال شخص في الأمانة العامة: أين قرينك.

عينا سوياً في مجلس إدارة الغرفة عام 1990م بقرار من معالي وزير التجارة الدكتور سليمان السليم، وأيضاً تم تعيننا سويا في الدورة التالية عام 1994م، وعملنا سوياً على عدد من الملفات خصوصاً المتعلقة بالقطاع الصناعي.

باسمح.. أحد رجال الأعمال المخضرمين والمميزين بالذاكرة اللماحة والذكاء.. أسهم في بناء إمبراطورية كبيرة لعائلته، بعد أن بدأ العمل مع أخيه أحمد سعيد باسمح منذ وقت مبكر وهو صغير السن، أرسل للدراسة في لبنان وأمضى فترة من الزمن ثم عاد إلى المملكة.. وحقق نجاحاً كبيراً في فترة قصيرة، يفهم كثيراً في الصناعة والتجارة، مفاوض عنيد.. وعلى المستوى الشخصي في منتهى اللطف.. يحب الدعابة، دائماً يكسب تقدير واحترام كل من يتعامل معه.

محبتي الكبيرة لأخي علي باسمح تجعلني أشعر بالحزن عليه في أحيان كثيرة.. فهو يأخذ كل الأمور بمنتهى الجدية، لا يعطي لنفسه حقها من الراحة والاستمتاع المعقول بالحياة، يسافر سفريات بعيدة ومتعبة ويباشر الأعمال بنفسه حتى هذه اللحظة، أشعر أنه يحمل نفسه أكثر مما يحتمل، لكنه ما شاء الله يتمتع بكثير من اللياقة والفطنة.

جلسته لا تمل.. يقود الأعمال الصناعية والتجارية لعائلة باسمح بنجاح منقطع النظير، وكان من أوائل الذين بنوا علاقات تجارية مع شركات سويسرية وإيطالية وحقق نجاحات واضحة.. واستطاع أن يخرج جيلاً جديداً من أبنائه وأبناء إخوانه القادرين على مواصلة النجاحات، وأتصور أنه يحتاج الآن إلى إعطائهم بعض الصلاحيات لكي يعطي نفسه متسعاً من الوقت للراحة والتأمل والاستمتاع.. أقول ذلك من باب الحب والحرص على صحته.. متعه الله بالصحة والسعادة وطول العمر.

شيخ الوسطية.. مناع القطان

مناع خليل القطان

(عالم جليل.. مثقف ضليع.. مفكر كبير.. ورجل دين وسطي من الطراز النادر).. هذا باختصار هو الشيخ مناع خليل القطان، حينما تستمع إليه تجد كل العقلانية والعمق في تناول القضايا، ولا يستغرب عليه ذلك فهو متمكن من علوم الفقه والحديث.. والعلوم الشرعية.

لقد كان على مدار سنوات طويلة يؤم جمهوراً كبيراً في المسجد القديم المجاور لمطار الرياض، وكان الكثيرون من مريديه ومحبيه يحضرون خطبته في صلاة الجمعة، وتشرفت أكثر من مرة بالاستماع إلى خطبته والوقوف عند بلاغته قبل أن تترسخ العلاقة العائلية معه، وقبل أن يتقدم ابنه الدكتور خالد للمصاهرة والزواج من ابنتي الدكتورة وسام.

تعمقت العلاقة بين الأسرتين بشكل كبير.. ووجدت في شخصيته الثقة والراحة النفسية، يدعوك للإنصات والتمعن مع كل كلمة يتفوه بها، وجدت منه الكثير من الوسطية، وعندما أقوم بالمقارنة بينه وبين آخرين أجد أنه يمثل الإسلام الوسطي بروحه السمحة وتوجهاته العقلانية.

أذكر أنه تحدث مرة من المرات عن نظرته لتعليم الأولاد والبنات، وقال إنه أسدى إليهم نصيحة وهي أنه لابد أن يكون لكل واحد ووحدة منهم (مهنة) يستطيع أن يزاولها في أي مكان بالعالم، وركز فضيلته على مهنة الطب بالذات، وتحققت رغبته في أن جميع أبنائه وبناته باتوا كلهم أطباء مرموقين ومميزين.. حصلوا على أعلى الشهادات، فابنه الكبير الأستاذ الدكتور محمد القطان، ثم الأستاذ الدكتور خالد زوج ابنتي، والدكتورة هند، مروراً بالدكتور وائل وانتهاءً بالدكتورة ريم القطان، وجميع الأبناء والبنات اقترنوا بطبيب أو طبيبة.. وبات في الأسرة الآن ما يتجاوز 15 طبيباً وطبيبة ماشاء الله تبارك الله، ليس هذا فحسب بل إن الأحفاد والحفيدات ساروا على نفس النهج، فمن أبناء وبنات الدكتور خالد قطان زوج ابنتي.. الدكتورة رنا التي تحضر الدراسات العليا في طب الأسنان في أمريكا، والدكتور عبد العزيز وهو في طريقه للتخصص بالدراسات العليا بالطب، وكذلك بقية الأسرة.

ومن نماذج العقلانية والعمق التي كان يتحلى بها ـ يرحمه الله ـ .. أن أتى إليه أحد

الأشخاص قرب منزله بالرياض قبل حوالي 25 عاماً.. ونظر إلى السطح وقال: يا شيخ ما شاء الله عليك رجل مبارك وضليع في أمور الدين.. لكن لماذا وضعت هذا الطبق اللاقط للقنوات الفضائية؟

قابله الشيخ بابتسامة هادئة مليئة بالثقة.. وقال: جزاك الله خيراً.. هذا الطبق اللاقط عبارة عن وعاء يمكن أن يعبأ بالخير أو السم، العبرة بما يلتقط وما تريد أن تشاهده أنت، فإذا أردت أن يلتقط الخير ستجده، وإذا أردت السوء سيكون.. الأمر متروك لحسن التمييز والاختيار لكل شخص، وسؤل مرة أخرى عن الأغاني.. فقال: أسمع.. ولا أستمع، بمعنى قد أكون في موقع وهناك أنواع من الأغاني والموسيقى فتأتي إلى سمعي، لكنني لا أنصت بجوارحي وتركيزي.

جاهد الشيخ مناع القطان في فلسطين عام ١٩٤٨م ومن بعدها دعاه الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ يرحمه الله ـ للتدريس في المملكة العربية السعودية، افتتح المعهد الديني في الإحساء ثم انتقل إلى القصيم ليفتتح أول معهد ديني بها، وكان عضواً في اللجنة العليا لسياسة التعليم ومستشاراً خاصاً لوزارة الداخلية، التحق بكلية الشريعة بالرياض كأستاذ ومن ثم أصبح مدير المعهد العالي للقضاء، ثم أسس قسم الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود وكان رئيساً لها، وأشرف على الكثير من رسالات الدكتوراه وتتلمذ على يده الكثير من العلماء والقضاء المعاصرين. له العديد من المؤلفات القيمة التي وصلت إلى 22 مؤلفاً.

الشيخ عبد الرحمن أبا الخيل

أبا الخيل.. أنقذنا

يعتبر معالي الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله أبا الخيل وزير العمل والشؤون الاجتماعية وسفير المملكة العربية السعودية في مصر ولبنان واحداً من الشخصيات الذين ساندوني في لحظة من لحظات عمري.

في نهاية عام 1958م عند ابتعاثي للحصول على دورة بالمعهد الدولي للإحصاء في بيروت كان يتولى الشيخ عبد الرحمن أبا الخيل سدة المسؤولية في سفارتنا هناك. تأخر وصول المخصصات المالية الشهرية لي ولزميلي محمد الصديقي. اتصلنا بالبنك فأكدوا أنها لم تصل من السعودية. راجعنا السفارة السعودية فطلبت منا الانتظار. لكننا أمام المأزق الذي وجدنا أنفسنا فيه ومع انتهاء ما معنا من مال اتصلنا على معالي السفير. فقام على الفور بالحديث هاتفياً مع البنك. وطلب منهم صرف المخصصات لنا على ضمانته الشخصية. وساهم موقفه النبيل في إنهاء الأزمة وتسيير الأمور. وهو موقف يدل على أن مسؤولية السفير ليست محصورة في الصورة النمطية. ولكن تمتد إلى رعاية والاهتمام بالمواطنين السعوديين.

والتحق أبا الخيل بالبعثات التعليمية السعودية المبكرة إلى مصر ونال البكالوريوس من كلية الآداب بجامعة القاهرة (1952م). وعلى إثر ذلك. تنقّل في وظائف دبلوماسية عدة في القاهرة وبيروت حتى نهاية عام 1958م. ثم عاد إلى المملكة وعُيّن مديراً عاماً لوزارة المالية والاقتصاد الوطني لمدة عامين. عاد في إثرها إلى وزارة الخارجية. ثم نُدب للعمل عضو مجلس إدارة منتدب في شركة الاسمنت بجدة. وفي عام 1961م. اختير وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية في الوزارة التي شكّلها الأمير فيصل بن عبد العزيز ولي العهد في أواخر عهد الملك سعود. واستمر لمدة قاربت الخمسة عشر عاماً. انتهت بنهاية عهد الملك فيصل (1975م). ثم عاد في العام التالي إلى وزارة الخارجية سفيراً في مصر لمدّة عشر سنوات. ثم صار مديراً عاماً لمؤسسة المدينة الصحفية لمدّة ثلاث سنوات. واختير في عام 1993م عضواً في مجلس الشورى في دورته الأولى بعد تحديثه. وكان من أبرز ما تميّز به عهده في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية تبنّيه لعدد من الأنظمة ذات الأثر المباشر في حياة المواطنين. ومنها على سبيل المثال تطوير نظام العمل والعمال ونظام الضمان الاجتماعي وإحداث العديد من مؤسسات الرعاية والتنمية الاجتماعية.

الشاعر محمد حسين زيدان

زوربا الحجاز

يعد الأديب والشاعر محمد حسين زيدان ـ يرحمه الله ـ من الشخصيات التي أحمل لها الكثير من الحب والامتنان، فهو شخصية فذة تعتبر مرجعاً رئيسياً لتاريخ الأسر في المملكة العربية السعودية وفي المدينة المنورة على وجه الخصوص.

مؤرخ.. أديب.. ومثقف، يعرف الأسر في منطقة المدينة معرفة جيدة، وكنت أقابله على فترات متباعدة، وبعد أن ضعف بصره بعض الشيء ذهبت إليه فقال لي: أنت من؟ رددت عليه: إبراهيم يوسف كردي.

فقال: آه.. بيت المال، أنت أمك سعاد حوالة، وخالك أحمد حوالة، وسرد لي الكثير من الذكريات والحكايات عن الأسرة التي شعرت معها بالفخر والاعتزاز والغبطة.

وبالمناسبة.. لا أشعر أن هناك حساسية في ذكر اسم الوالدة أو الزوجة أو الابنة.. فنحن نعيش في منطقة تتميز بالانفتاح وتلاقح الأفكار.. وشخصياً أعتز وأفتخر باسم والدتي وزوجتي وبناتي ولا أرى في ذلك أي غضاضة، والمرأة باتت تلعب دوراً مهماً ومؤثراً في الحياة، فهي نصف المجتمع ولا يمكن أن تستمر الحياة أو يسير ركب التنمية دون مشاركتها، لذا أستغرب من يجد في القرن الحادي والعشرين حرجاً في ذكر اسم الأم أو الزوجة أو الابنة.

لقد لقب الشيخ محمد حسين زيدان بـ (زوربا الحجاز)، لاستيعابه الخارق للتاريخ، لاسيما التاريخ الإسلامي، وتذكره آلاف الأحداث ما يدعو للانبهار ويجبر على الإعجاب، فهو موسوعة مُتنقلة على قدمين، وله العديد من المؤلفات التي أثرت الحياة، وكنا ننتظر برنامجه التلفزيوني في رمضان بشكل دائم، حيث كان يتحدث بشكل عفوي وتلقائي وكأنه يقرأ من كتاب مفتوح، يتحدث عن القبائل والحروب والأحداث التاريخية، وكان يتميز ـ يرحمه الله ـ بالدعابة والنكتة والمرح مثل غيره من شخصيات الزمن الجميل ومنها الشيخ علي الطنطاوي.. وآخرون.

دحلان.. رجل الإنجازات

الدكتور عبد الله بن صادق

يمثل الدكتور عبد الله بن صادق دحلان رئيس مجلس الأمناء في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأهلية بجدة والأمين العام الأسبق لغرفة جدة والمحاضر ورجل الأعمال المعروف نقطة ضوء رائعة لكل الباحثين عن العمل والإنجاز.. يجمع بين الديناميكية والتفكير الراقي.. وبين القدرة على تحويل الأفكار إلى إنجازات.. فهو بحق (رجل الإنجازات)، لو تسلم أي موضوع يقوم بدراسته ويبدأ العمل مباشرة دون تردد أو تسويف.

تعرفت عليه للمرة الأولى لدى حضوري نشاطات غرفة جدة في عام 1988م.. وتعززت العلاقة كثيراً خلال وجودي على رأس اللجنة الصناعية، ثم انضمامي إلى مجلس إدارة الغرفة في الدورة الخامسة عشرة عام 1990م ضمن قائمة المعينين، وكان أول من أخبرني بترشيحي لدخول مجلس الإدارة.. ثم زف لي بشرى دخولي بشكل رسمي.

أحمل ذكريات رائعة مع الدكتور عبد الله دحلان الذي يعد نموذجاً رائعاً للإداري التنفيذي الخبير الذي لا يضيع الوقت ولا يقبل التسويف، ويؤدي أعماله بنجاح وحرفية مبهرة، أعجبت بشخصيته القوية ونظامه الصارم في العمل بغرفة جدة منذ ظهوري للمرة الأولى في البيت الأزرق، ونال الكثير من الإعجاب بعد أن توطدت علاقتنا سوياً في سنوات لاحقة.

ظل الدكتور دحلان أميناً عاماً لغرفة جدة على مدار 18 عاماً تمثل أزهى العصور الذهبية في وجود كوكبة رائعة من رجال الأعمال يتقدمهم العم الشيخ إسماعيل أبو داود.. حيث كان ساعده الأيمن، وأبرز من حولوا أفكاره إلى مشاريع ومبادرات واقعية.

برهن على نجاحه كرجل أعمال أصر على أن يستثمر في مجال صعب هو التعليم وأثبت نجاحاً وتميزاً نادراً، وبات عضواً لمجلس الشورى وصاحب رأي حاد وقوي في كثير من المنتديات والفعاليات في المملكة وخارجها .. فهو شفاف لا يعرف الزيف أو المجاملة في كلامه، صريح لدرجة كبيرة.. حازم.. وعملي.. وله منهج منظم في التفكير والعمل.. أمد الله في عمره وأسبغ عليه الصحة والسعادة.

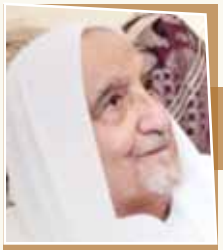

عبد العزيز الطيار

شهامة الطيار

استنفدت الكثير من مدخراتي وواجهت ظروفاً صعبة عقب عودتي من الولايات المتحدة الأمريكية عام 1972م، مع بداية تأسيس بيتي الجديد في الرياض في ظل متطلبات حياتية عديدة.. وقابلت في هذه الأثناء أحد الأشخاص الذين أعتز كثيراً بمعرفتهم خلال مسيرة حياتي وهو الأستاذ عبد العزيز جعفر الطيار.. والذي كان صديقاً لأشقائي الأكبر مني في تلك الفترة.

كان الطيار موظفاً في مصلحة الجمارك وبات فيما بعد أحد رجال الصناعة فهو مالك ورئيس مجلس إدارة مصانع الخليج للبلاستيك.. عرف بعودتي حاملاً الماجستير من الولايات المتحدة الأمريكية.. فبادر بالقول: (أعرف أنك حديث العودة من أمريكا، وربما تحتاج إلى بعض الدعم المادي في ظل سعيك إلى تأسيس منزلك وحاجتك إلى شراء سيارة، كل ما تحتاجه على سبيل القرض الحسن.. أنا حاضر).

أكبرت هذا التصرف الشهم والموقف النبيل في الرجل.. ولجأت إليه في الحصول على قرض في حدود 40 أو 50 ألف ريال، وتمكنت بحمد الله فيما بعد من تدبير المبلغ وسداده مع الشكر، لكنني شعرت بكثير من الامتنان لهذه المبادرة الرائعة، ومازلت أحتفظ بعلاقة راسخة به وبأبنائه طوال سنوات مديدة، وأشعر أنه أحد الأشخاص المهمين الذين زرعوا شمعة ونقطة ضوء في مسيرة حياتي.. متعه الله بالصحة والسعادة وطول العمر.

الصديقي.. رفيق الزمن الجميل

محمد محمود الصديقي

يحتل رفيق دربي الأستاذ محمد محمود الصديقي ـ يرحمه الله ـ مساحة مهمة في مشوار حياتي، قضيت معه فترة رائعة في العاصمة اللبنانية بيروت إبان حصولنا على دورة الإحصاء، وتنامت علاقتنا بشكل كبير منذ بدايتنا في العمل بالمنطقة الشرقية وحتى وفاته مؤخراً، وتربطني علاقة طيبة مع أبنائه وبينهم أطباء ومهندسون.

كان والده الشيخ محمود الصديقي جارنا في الدمام خلال فترة عملي بالجمارك.. وهو رجل فاضل وشيخ وسطي سمح لا يمل حديثه، حيث كان محمد رفيقي في الدراسة من الصف الأول المتوسط وحتى السنة قبل الأخيرة في الثانوية العامة وعمل في مصلحة الزكاة، سافرنا سوياً إلى لبنان للحصول على دورة الإحصاء، تعززت علاقتنا بشكل كبير في لبنان، وبات رفيق دربي في العديد من السفريات إلى سوريا وتركيا والقاهرة.

عندما سكنا سوياً في لبنان احتجنا لشراء كاميرا.. وقررنا أن نشتريها بالشراكة، دفع هو نصف الثمن وأنا النصف الآخر، وعقب نهاية دورة الإحصاء اتفقنا على أن يقوم أحدنا بشرائها، وبالفعل تقبلتها لأنه يعرف حبي وشغفي بالتصوير.. ومازلت أحتفظ بها حتى الآن.

ذهب كل منا إلى طريق مختلف بعد العودة من لبنان.. لكن التقينا من جديد في الرياض عقب العودة من الولايات المتحدة الأمريكية، وظللنا على مدار ثمان سنوات شركاء في كثير من الأعمال، نشتري أراضي ونبيعها خلال فترة الطفرة بالرياض، وبقيت الصداقة والعلاقات المتينة، فقد شعرت بصدق وجدية هذا الرجل، وجمعتنا عدد من المناسبات المتعددة، وظل كلانا يحمل للآخر مشاعر طيبة وذكريات عديدة لأجمل أيام العمر، وظلت العلاقات الأسرية بيننا قائمة حتى مر بأزمة صحية وتوفي قبل أربع سنوات في الرياض.. رحمه الله رحمة واسعة.

محمد عبد العزيز العمير

العمير.. الصديق الوفي

ربطتني صداقة قديمة لسنوات عديدة مع أخي الأستاذ محمد عبد العزيز العمير.. ولا أنسى مواقفه المخلصة والصادقة معي على مختلف الأصعدة، حيث كان رئيساً لإدارة التمثيل المالي في وزارة المالية وله حضوره ومشاركاته في الوزارة، ودائماً ما لجأت له للاستشارة وأخذ الرأي والتوجيه.. فهو نعم الصديق الوفي والناصح الحكيم.

بدأت معرفتي به في المنطقة الشرقية بأوائل السبعينات الهجرية (1953م) كان يأتي إلى الدمام وتقابلت معه هناك، واجتمعت به في كثير من السفريات بالقاهرة وبيروت، وكذلك بإخوانه الأصغر منه صالح وعلي وعمير وعبد الرحمن العمير.. ربطتني بهم جميعاً صداقة متينة، وعلاقات عائلية مبنية على المحبة والود.

لا أنسى أبداً أنه فتح منزله لي في الملز بالرياض عندما كنت منتسباً لجامعة الملك سعود، حيث عشت معه ومع إخوانه في منزل تملكه أسرتهم بجانب منزل العائلة خلال ذهابي لأداء الاختبارات.. واستمر هذا الوضع لمدة أربع سنوات، ولم يتوقف الأمر على السكن فقط، بل كانوا يغمروني بكرمهم ويستضيفونا على الإفطار والغداء والعشاء.

سعدت في مرات قليلة باستضافته في شقتي بعمارة فيليبس.. وتابع الكثير من المواضيع المتعلقة بي خلال عمله في وزارة المالية بالرياض، وكان أول من نقل لي بشرى صدور القرار الوزاري باختياري للابتعاث في الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على البعثة.. وكتب لي كلمته الشهيرة التي أبهجتني كثيراً (عقبال الدكتوراة).

وهو رجل رزين وحكيم ومثقف.. لماح وذكي بشكل لافت للنظر، ومن رجال الأعمال المميزين حيث يعمل في القطاع الصناعي وله مساهمات كبيرة ومهمة في الاقتصاد الوطني، وتفرغ في الفترة الأخيرة للزراعة حيث يملك بستاناً في البكيرية.

عثمان الخويطر

الخويطر.. نقطة تحول

يعد عثمان الخويطر من الشخصيات التي مثلت نقطة تحول رئيسية في حياتي عندما شجعني على أن ندرس سوياً منهج السنة السادسة ابتدائي، ومن ثم نتقدم للاختبار في نهاية العام، وهذا ما حدث فعلاً وكنا نعمل في إدارة الجمارك بالمنطقة الشرقية، تزاملنا في مكتبين متجاورين.. نتبادل الآراء ونتقاسم الأحاديث عن المستقبل.

سألني الخويطر في وقت مبكر: إبراهيم.. أنت ما أخذت الشهادة الابتدائية؟

قلت له: لا حصلت على الصف الخامس فقط؟

قال: تعال نرتب الأمر سوياً وندرس في المساء ونحضر للشهادة الابتدائية.

اتفقنا أن نسير قدماً في هذا الاتجاه وعزمنا على البحث عن مدرسين يساعدونا على شرح ما يصعب علينا فهمه من الدروس، وبالفعل اتصلنا بعدد من المدرسين المصريين الذين كانوا يدرسون في الدمام، ذاكرنا دروسنا سوياً تحضيراً للامتحانات.

لاحظت تمتع عثمان الخويطر بذكاء مفرط.. سرعة بديهة.. وشخصية محببة، وقد شجعني وشجعته وواصلنا طريقنا حتى حصلنا على الابتدائية، وبعدها قرر أن يستقيل من العمل في الجمارك، سألته: إلى أين أنت ذاهب؟

قال: سأتفرغ للدراسة في عنيزة؟

وتمكن أن يؤدي امتحان المتوسط والثانوي خلال فترة وجيزة، وفيما بعد علمت أنه تمكن من الحصول على بعثة لدراسة الهندسة البترولية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تقدم بطلب إلى شركة أرامكو للانضمام إليهم والحصول على بعثة لكن شركة أرامكو لسبب أو آخر لم توافق على طلبه، فذهب للابتعاث على حساب الدولة.

انقطعت أخباره فترة طويلة.. وتوقف الاتصال بيننا لعدة سنوات رغم أنه كان في خاطري وبالي وأحمل له الكثير من الذكريات الجميلة فقد كان المحفز الرئيسي لنبدأ سوياً دراسة الشهادة الابتدائية التي كانت محوراً مفصلياً للمستقبل.

قبل عشر سنوات بدأت ألاحظ مقالات في صحيفة الاقتصادية لمحلل يسمى عثمان الخويطر يتحدث عن صناعة البترول وتسعيرته وأنواعه، وكذا عن البترول الصخري وخطورته على الدول المنتجة للبترول (التقليدي) .. وبدأت أتساءل: هل هذا هو عثمان

الخويطر الذي أعرفه وبدأنا مشوارنا سوياً؟

اتصلت هاتفياً عليه وقلت: هل أنت عثمان الخويطر الذي عمل في الجمارك بالمنطقة الشرقية؟ قال: نعم؟ قلت: هل تذكرني؟ قال: كيف.. طبعاً أذكر كل شيء دار بيننا في تلك الفترة؟

عاد التواصل بيننا.. وعلمت منه أنه عمل في أرامكو عقب دراسته في أمريكا، وتدرج في مناصب متعددة حتى تم تعيينه نائب الرئيس التنفيذي في أكبر شركات النفط بالعالم.. قلت له: أكيد أنت فخور بنفسك.. لكنني أيضاً فخور بك لأنك حققت الكثير مما كنت تطمح إليه؟

أعتز كثيراً بزمالة الخويطر.. وأشعر بالفخر بمقالاته العميقة التي يكتبها في الاقتصادية والتي تصدر عن مرجع أساسي في صناعة البترول.. لكن للأسف لم تتاح لنا حتى هذه اللحظة فرصة اللقاء وجهاً لوجه، حيث يعيش بين الرياض والشرقية.. أطال الله في عمره.. متعه الله بالصحة والسعادة.

مصادر الكتاب

- سلسلة مشاهير الكرد في التاريخ (د.أحمد محمود خليل)
- أصل الأكراد ـ الجزء الأول (د. حنان أخميس)
- معالم وآثار المدينة المنورة (د. عبد العزيز بن عبد الرحمن كعكي)
- معالم المدينة بين العمارة والتاريخ ثلاثة أجزاء (د. عبد العزيز بن عبد الرحمن كعكي)
- المدينة المنورة في الوثائق العثمانية (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة)
- طيبة وذكريات الأحبة (أحمد أمين صالح مرشد)
- وثائق ومستندات المؤلف

الفهرس

إهداء 5
تصدير 7
تقديم 13

الفصل الأول:

الكرد والأكراد 17
من صلاح الدين إلى صالح 18
الوصول إلى المدينة 22
الأمين يوسف 26
الكردية قصة وردية 30
خالد بلع الجنيه 32
يوسف وصالح كردي في الوثائق العثمانية 35
إضاءات 41

الفصل الثاني:

أيام الحب والرعب 43
همسات نساء 44
يا ويلكم يا أمي 47
العيدية والحمار 51
اللحاق بالطائرة 53
نصبة الشاي 54
الكتاتيب والمدرسة 56
إضاءات 61

الفصل الثالث:

رحلة الصعاب والآمال 63

أطول رحلة في حياتي 64
أحلام وعرة 68
حصان إبليس 72
زيارة الملك سعود 74
طريق الموت 78
هنا القاهرة 81
فريق الاتفاق 86
إضاءات 89

الفصل الرابع:

منعطف بيروت وانطلاقة جدة 91
سحر بيروت 92
جدة.. تفتح ذراعيها 98
حطموا سيارتي 101
كلها (خرابيط) 105
فرحة العمر 108
لحظات للعبر 112
إضاءات 117

الفصل الخامس:

من جدة إلى لوس أنجلوس 119
مدينة بلا قلب 120
20 ساعة مغامرات 124
رحلة إلى أريزونا ونيفادا 128
صدمة وزلزال 131
نظرية مستر جلدي 134
إضاءات 139

الفصل السادس:

الرياض المنعطف الأهم 141
مطعم السفراء 142
شبابنا في كنساس 146

رجال أوفياء 154
كلمات الوداع 156
الطفرة وحرب الكرامة 165
إضاءات 167

الفصل السابع:

حكاية السنبلة 169
من الوسام للسنبلة 170
رهنت بيتي 174
لحظات فرح 178
بيروقراطية عربية 183
عسل الشفاء.. قصة نجاح آخرى 184
الشباب السعودي إلى أين؟ 186
صلاحيات.. وتدخلات 188
إضاءات 192

الفصل الثامن:

ذكريات المبنى الأزرق 193
الصناعة وكواكب الاقتصاد 194
تحرير الكويت 199
تأخرنا 12 عاماً 205
سنوات العطاء 209
كل واحد من جيبه 213
إضاءات 219

الفصل التاسع:

حصاد العمر 221
أهم الاستثمارات 222
قصة أخرى 226
نطقت بالشهادتين 230
نقاط حزينة 233

سور الصين وهدية بترجي 234
حكم وأمثال 236
إضاءات 239

الفصل العاشر:

شخصيات في حياتي 241
رحيمي.. الوالد والمعلم 342
العم إسماعيل.. شهبندر التجار 244
السليم.. عمق وموضوعية 246
د. شيناوي.. مفاوض بدرجة دكتور 247
الشاعر والأديب والصديق.. هنيدي 248
توفيق إبراهيم توفيق.. عاشق الخير 250
القائد.. عبد الرحمن الزامل 251
اللحيدان.. رجل الظل 252
النويصر.. صمت الأذكياء 253
أبو زنادة.. صاحب المبادرات 254
قريني.. باسمح 255
شيخ الوسطية.. مناع القطان 256
أبا الخيل.. أنقذنا 258
زوربا الحجاز 259
دحلان.. رجل الانجازات 260
شهامة الطيار 261
الصديقي.. رفيق الزمن الجميل 262
العمير.. الصديق الوفي 263
الخويطر.. نقطة تحول 264
مصادر الكتاب 266

للاستمتاع بمقاطع فيديو حصرية وتصفح الكتاب إلكترونياً زوروا:

www.ibrahimkurdi.com

شكر وامتنان

شكر خاص جداً إلى أخي سعادة الأستاذ الدكتور يوسف أحمد حوالة على كريم دعمه وملاحظاته البناءة مما ساعدني على سد الكثير من الثغرات في مسيرة استكمال هذا الكتاب.

إشراف تحريري: علي مسعود

إخراج وتنفيذ: كمال سعودي

المؤلف في سطور

إبراهيم يوسف كردي

- مؤسس شركة صناعات الأغذية والعجائن الفاخرة (السنبلة)، مدير عام، عضو منتدب، رئيس مجلس الإدارة، منذ تأسيس الشركة في عام 1980 م.
- عضو مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بجدة لمدة ثمان سنوات.
- رئيس اللجنة الصناعية بغرفة جدة لمدة أربع سنوات.
- عضو اللجنة التجارية بغرفة جدة لمدة أربع سنوات.
- عضو مجلس تنمية الصادرات بمجلس الغرف التجارية السعودية.
- عضو مجلس حماية المنافسة لمدة ست سنوات.
- عضو مجلس إدارة المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية لمدة ست سنوات.
- عضو مجلس إدارة الغرفة التجارية العربية الفرنسية لمدة أربع سنوات.

المؤهلات الدراسية:

- بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية من جامعة الرياض ـ المملكة العربية السعودية، عام 1966 م.
- ماجستير إدارة عامة من جامعة جنوب كاليفورنيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية، عام 1972 م.

الخبرات العملية:

- حكومية: الجمارك، صوامع الغلال، لمدة 27 عاماً.
- القطاع الخاص: منذ عام 1980م.